المؤسّسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني
٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م -٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م

Teaching Institutions in Al- Maghrib AL- Aksa
(Morocco) During The Marinid's Period
638-869 A.H / 1240 - 1464 AC

إعداد :

مصطفى عيد أحمد القيم

٩٤٢٠٣٠٣٠٠٥

المشرف

الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله	رئيساً	.....
الأستاذ الدكتور توفيق مرعـــي	عضواً	.....
الدكتور محمـــد الحـافظ النقـر	عضواً	.....
الدكتور فـــايـز القيـــــي	عضواً	.....

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي في كلية الآداب والعلوم في جامعة آل البيت .

نوقشت وأوصي بإجازتها بتاريخ : ٣١ / ١ / ٢٠٠٠ م .

Scanned by CamScanner

الإهداء

إلى والديّ الكريمين .... رب ارحمهما كما ربياني صغيراً .

إلى زوجتي التي تحملت فوضى الورق وقلق الكتابة .

إلى ولدي ليث ..... وبناتي أيام وبراء وأمجاد .

إلى إخواني وأخواتي وأولادهم وبناتهم جميعاً .

وكل أصدقائي وأحبائي

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع .

مصطفى القيم

Scanned by CamScanner

الشكر

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات وبتوفيقه تهون العقبات فلـــه الحمـــد فـــي الأولـــى والآخرة وبعد :

فلا يسعني بعد أن خرجت هذه الرسالة إلى حيز الوجود إلا أن أتقـــدم بعظيـــم الشـــكر والامتنان وخالص الوفاء والعرفان إلى أستاذي الفاضل الدكتور أبـــي القاســـم ســـعد الله الـــذي أحاطني برعايته في كل لحظة قضيتها في تحضير وكتابة الرســـالة، بالإضافـــة إلـــى متابعاتـــه وتوجيهاته السديدة وتصويباته القيمة والمميزة التي بفضلها خرجت الرسالة بصورتـــها الحاليـــة، فله مني كل الاحترام والتقدير، وجزاه الله عني وعن العلم خير جزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأساتذة الكرام الذين تفضلوا بمناقشة هذه الرســـالة ، فجزاهـــم الله خير الجزاء ونفع بعلمهم وملاحظاتهم. ومن الواجب عليّ تقديم الشكر الجزيل إلى أســـاتذتي في قسم التاريخ الإسلامي في جامعة آل البيت الذين أسدوا لي النصح والإرشاد فكانوا خير معين في إخراج هذه الرسالة. وأشكر أيضا موظفي المكتبة الهاشمية في جامعـــة آل البيـــت ومكتبـــة الجامعة الأردنية ومكتبة جامعة اليرموك، والأصدقاء الذين أسهموا معي في إحضار ما احتجـــت إليه من معلومات من مصر والعراق والسعودية والمغرب والجزائر. فجزاهم الله خـــير الجـــزاء وجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم الحساب.

مصطفى القيم

Scanned by CamScanner

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ب
الشكر	ت
المحتويات	ث-خ
الجداول	د
الخرائط والصور	ذ
الملاحق	ر
الاختصارات المستخدمة	ز
الملخص باللغة العربية	س-ش
المقدمة : نطاق البحث وتحليل المصادر :	١-١٦
تمهيد: قيام الدولة المرينية وأهميتها في تاريخ المغرب الأقصى :	١٧-٣٩
أولاً : أصل بني مرين	١٨
ثانيا : مواطنهم قبيل دخولهم المغرب الأقصى	٢١
ثالثا : دخولهم المغرب الأقصى وقيام الدولة المرينية	٢٢
رابعا : أهمية بني مرين السياسية والحضارية في تاريخ المغرب الأقصى	٢٥
خامسا : الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية	٢٩
الفصل الأول : أنواع المؤسسات التعليمية ومواردها المالية :	٤٠-٨٥
أ- مؤسسات خاصة بالتعليم :	٤١
١- الكتاتيب	٤١
٢- المدارس	٤٦
ب- مؤسسات خدمت التعليم :	٥٧
١- المساجد	٥٧

٥٢٨٥٦٦

Scanned by CamScanner

٢- جامع (جامعة) القرويين	٦٢
٣- الزوايا	٦٤
٤- البيمارستانات	٦٨
٥- البيوتات الخاصة	٧٠
٦- المكتبات	٧٢
ثانياً : الموارد المالية للمؤسسات التعليمية :	٧٦
أ الأوقاف (الأحباس)	٧٨
ب- هبات الحكام وإعاناتهم	٨٣
ج- موارد أخرى	٨٤
الفصل الثاني : مكونات التعليم في المؤسسات التعليمية :	٨٦-١٣٢
أولا : المتعلمون :	٨٨
١- مراحل التعليم .	٨٨
٢-سكنى المتعلمين	٨٩
٣-آداب المتعلمين	٩٠
ثانيا : هيئة التدريس :	٩٢
١- مؤهلاتهم العلمية	٩٢
٢- ألقابهم العلمية	٩٣
٣- ظروفهم المعيشية	٩٥
٤- آدابهم	٩٥
ثالثا : أساليب التدريس :	٩٦
١- التلقين أو التحفيظ	٩٦
٢- الإقراء أو السماع	٩٨
٣- الرواية	١٠٠
٤- السؤال والمناقشة	١٠١
رابعا : مواد التدريس :	١٠٢
أولا : العلوم العربية :	١٠٢
أ- علم اللغة	١٠٢

Scanned by CamScanner

ب- علم النحو	١٠٥
ثانياً : العلوم الدينية :	١٠٦
أ- علوم القرآن الكريم :	١٠٦
١- علم القراءات	١٠٦
٢- علم التفسير	١١٠
ب- علم الحديث :	١١٣
ج - الدراسات الفقهية	١١٥
د- التصوف	١٢٠
ثالثا : العلوم العقلية :	١٢٢
أ - الرياضيات	١٢٢
ب- الطب	١٢٥
ج- علم الفلك	١٢٧
د- علم الكيمياء	١٢٩
هـ علم المنطق	١٣٠
الفصل الثالث : تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع والصلات العلمية مع البلدان الأخرى :	١٣٤-١٧٨
اولا : تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع :	١٣٤
١- الناحية الثقافية	١٣٤
٢- الناحية الاجتماعية	١٤١
٣- الناحية السياسية	١٤٤
٤- الناحية العسكرية	١٤٦
ثانياً : الصلات العلمية مع البلدان الأخرى :	١٥٠
١- الأندلس	١٥٠
٢- تونس	١٥٥
٣- الجزائر (المغرب الأوسط)	١٦١
٤- المشرق الإسلامي	١٦٥
الخاتمة	١٧٢-١٧٤

Scanned by CamScanner

المصادر والمراجع	١٧٥-٢٠١
الجداول	٢٠٢-٢٠٥
الخرائط والصور	٢٠٦-٢١٢
الملاحق	٢١٣-٢١٨
الملخص باللغة الإنجليزية	٢١٩-٢٢٠

Scanned by CamScanner

الجداول

رقم الجدول	اسم الجدول	رقم الصفحة
١-	قائمة بأسماء حكام بني مرين	٢٠٣-٢٠٤
٢-	الخط الزمني لتواريخ بناء المدارس المرينية	٢٠٥

Scanned by CamScanner

الخرائط والصور

أ- الخرائط :

رقم الخارطة	اسم الخارطة والصورة	الصفحة
١-	خارطة الدولة المرينية في عهد السلطان أبي الحسن المريني	٢٠٧
٢-	خارطة توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب	٢٠٨
٣-	فاس في عهد المرينيين	٢٠٩
٤-	خارطة بلاد المغرب وإسبانيا (الأندلس) في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي	٢١٠

ب- الصور :

رقم الصورة	اسم الصورة	الصفحة
١-	مدرسة العطارين في العهد المريني	٢١١
٢-	مدرسة مكناس (المدرسة البوعنانية)	٢١٢

Scanned by CamScanner

الملاحق

رقم الملحق	اسم الملحق	رقم الصفحة
١-	وثيقة تثبت عروبة بني مرين	٢١٤
٢-	وثيقة تحبيس على أحد مساجد فاس	٢١٥
٣-	وثيقة تحبيس على زاوية قرب تازة	٢١٦-٢١٨

Scanned by CamScanner

الاختصارات المستخدمة :

الاختصارات المستخدمة بالبحث .

د.ط.	: بدون طبعة
– د. ت	: بدون تاريخ نشر
– ج	: جزء
– م	: تاريخ ميلادي
– ص	: صفحة
– ص ص	: أكثر من صفحة
–ت	: تاريخ الوفاة
–ط	: طبعة
– ق	: قسم (المصادر والأبحاث التي تشمل عدة أقسام).
–هـ	: تاريخ هجري
–مج	: مجلد
– د.ن	: دون ناشر.

- p. = page

- p.p. = pages

Scanned by CamScanner

الملخص باللغة العربية

المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى في العهد المريني
٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م-٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م

إعداد الطالب :

مصطفى عيد أحمد القيم

إشراف :

الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

تناولت هذه الدراسة بالبحث موضوع المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى خلال العهد المريني، ولتغطية الموضوع قام الباحث بدراسة مختلف جوانبه كما تبرهن عليها فصول الدراسة ومحاورها.

وكان الباعث الرئيسي إلى اختيار الموضوع هو محاولة فهم دور المؤسسات التعليمية بالمغرب الأقصى في تنشيط حركة التعليم خلال العهد المريني ومدى التأثير الذي تركته هذه المؤسسات في المجتمع.

وحتى تكون الدراسة دقيقة بقدر الإمكان اتبع الباحث منهجية تاريخية تمثلت بالاطلاع على أمهات المصادر المطبوعة والمخطوطة، والمراجع والأبحاث، والمقالات الحديثة باللغة العربية وبعض اللغات الأجنبية.

وبدأت هذه الدراسة بمقدمة تضمنت مبررات اختيار الموضوع، ونقد أهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة، ثم عرض مختصر لفصول الدراسة.

مهد الباحث لدراسته بمختصر عن قيام الدولة المرينية وأهميتها في تاريخ المغرب الأقصى وعوامل قيامها، ومحاولة سلاطينها توحيد أقطار المغرب الإسلامي.

وتلا هذا التمهيد ثلاثة فصول عرض الأول أنواع المؤسسات التعليمية ومواردها المالية، مبينا أن من أهم أنواع المؤسسات التعليمية الكتاتيب والمدارس والمساجد، بما فيها جامع القرويين، والزوايا والبيمارستانات والبيوتات الخاصة والمكتبات، والتي قسمها الباحث إلى

Scanned by CamScanner

مؤسسات تعليمية خالصة وأخرى خادمة للتعليم مع أغراض أخرى، وتناول الباحث في هذا الفصل أيضا أهم الموارد المالية لهذه المؤسسات مثل: الأوقاف (الأحباس)، والهبات، وإعانات الحكام، وبعض الموارد الأخرى. وفي الفصل الثاني تحدث الباحث عن مكونات التعليم في المؤسسات التعليمية وهي أربعة : المتعلمون ومراحل تعليمهم ومساكنهم وآدابهم، وعند حديثه عن هيئة التدريس بالذات تناول الباحث مؤهلاتهم العلمية وظروفهم المعيشية وألقابهم العلمية وآدابهم، كما تناول أساليب التدريس عندهم وهي : التلقين أو التحفيظ والإقراء أو السماع والرواية والسؤال والمناقشة، بالإضافة إلى المواد المدروسة وقد توزعت على ثلاثة أصناف رئيسة وهي : علوم العربية ، ومنها اللغة والنحو، والعلوم الدينية، ومنها علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والتصوف، والعلوم العقلية، ومنها الرياضيات والطب والفلك والكيمياء والمنطق.

أما الفصل الثالث : فقد تناول فيه الباحث تأثير المؤسسات في المجتمع من النواحي الفكرية والسياسية والاجتماعية والعسكرية، وقد أضاف إليه الصلات العلمية مع البلدان الأخرى مثل : الأندلس والجزائر وتونس وبعض أقطار المشرق الإسلامي كمصر.

وأخيرا رأى الباحث من المفيد أن يذيّل الدراسة ببعض الملاحق التي استفاد منها أثناء البحث ورأى أن تذييل الرسالة بها قد يكون فيه فائدة إضافية.

وفي الخاتمة استعرض الباحث أهم النتائج التي توصل إليها. ولعل أبرزها تعدد المؤسسات التعليمية في العهد المريني، وتنوع الموارد المالية لهذه المؤسسات، ودور هذه المؤسسات في إثراء الحركة العلمية وتنشيطها مما جعلها تؤثر على المجتمع تأثيرا إيجابيا في أغلب الأحيان.

وأخيرا يود الباحث أن يوصي بمتابعة الدراسات حول تجربة بني مرين في التعليم وذلك للتوصل إلى نتائج أكثر دقة وعلمية.

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة : نطاق البحث وتحليل المصادر :

مبررات اختيار الموضوع :

لعبت المؤسسات التعليمية دورها البارز في ترسيخ الإسلام، والثقافة العربية الإسلامية في المغرب الأقصى خلال العهد المريني، واستند عليها النظام السياسي في مجابهة الصعوبات والتحديات التي واجهتها الدولة سيّما الأخطار الإسبانية والبرتغالية في المغرب.

وكان العهد المريني ذا طابع مميز في العناية بإنشاء المؤسسات التعليمية في المدن المغربية مما كان له الأثر البالغ في تعريب البلاد وجعل بعض القبائل البربرية تتعرب وتنسى لهجاتها، وتصبح عربية اللسان.

وقد وقع اختياري على موضوع المؤسسات التعليمية لإبراز دورها المذكور وبيان أهميتها في نشاط حركة التعليم في العهد المريني، خاصة وأن هذا الموضوع لم يتطرق البلحثون حسب علمنا لكافة جوانبه بالتفصيل والتعمق بل أنه ربما لم يدرس إلا كجزئيات متناثرة في بطون المصادر.

ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن هناك دراسات حديثة قد تناولت جوانب جزئية من موضوع هذه الدراسة، مثل كتاب " ورقات عن حضارة المرينيين"، لمحمد المنوني، وكتاب : "التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية" لمحمد عادل عبد العزيز، ورسالة ماجستير غير منشورة بعنوان " الدولة المرينية في عصر أبي الحسن علي بن عثمان " نوقشت في جامعة الموصل سنة ١٩٧٩ للباحث مزاحم علاوي محمد، وقد استطعنا تصوير أوراق منها، وقد أفادت دراستنا من معالجتها موضوع الكتاتيب القرآنية والمدارس والبيوتات الخاصة والزوايا، ومما زاد من أهميتها اعتمادها على مصادر معاصرة وغير معاصرة عادت بالفائدة على دراستنا، وقد أشرنا إلى ذلك في محله، وغيرها من المراجع الحديثة والتي أفادت منها الدراسة بمعرفة الكثير من مصادر البحث، والإشارة إلى أراء المؤرخين المحدثين في الموضوع.

أما الصعوبات التي واجهت الدراسة فهي قلة المصادر التي عنيت بالموضوع عناية مباشرة، فقد كانت المعلومات كما ذكرت متناثرة في بطون كتب التاريخ،، والتراجم والفقه، وغيرها.

Scanned by CamScanner

وقد حالت الظروف المادية، وظروف الجامعة الناشئة دون السفر إلى البلاد التي يتناولها البحث، ومن حسن الحظ أنني قد وجدت معظم مصادر البحث في مكتبة الجامعة الأردنية، مما عوضني عن ضرورة السفر، وقد حصلت على بعض المعلومات القيمة من مكتبات عربية في المغرب، والجزائر، ومصر، والعراق، والسعودية بجهود خاصة ساعدني بها آخرون مشكورين، وهنا أعترف بجهود أستاذي المشرف الذي ساهم معي بشكل واضح في هذا المجال لسعة إطلاعه، وكثرة معارفه في البلدان الإسلامية، وخاصة في المغرب والجزائر.

نقد المصادر والمراجع :

أ- نقد المصادر :

اعتمدت في رسالتي هذه على مجموعة من المصادر، وهنا أود أن أتناول بعضها بالنقد والتحليل، مع الإشارة إلى أنها مرتبة حسب تاريخ وفاة المؤلفين :

١- " **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**"، المنسوب لأبي الحسن علي بن عبد الله (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م):[١]

وأول ما يلفت الانتباه حول هذا المصدر أن كثيراً من المراجع الحديثة أشارت إلى أن مؤلفه مجهول، وبعضها أشار إلى أنه هو علي بن أبي زرع الفاسي، وسبب الالتباس هو أن اسم مؤلف الكتاب لم يعرف على وجه التحقيق، ولكن بمقارنة عباراته ونصوصه يظهر أن مؤلفه هو مؤلف: " الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس".

وأول من تناول هذا الموضوع هو عبد الله كنون الذي كتب بحثاً قارن فيه بين عبارات الكتابين، ورجّح أن يكون مؤلف الذخيرة هو نفسه ابن أبي زرع صاحب القرطاس سابق الذكر.

---

[١] هو علي بن أبي زرع الفاسي، كان بليغا، ورعا، زاهدا، من أسرة علم ذكر منها رجال عرفوا بالزهد والصلاح، وضع العديد من المؤلفات التاريخية منها الكتاب الموسوم أعلاه، (ت سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، انظر عنه : أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص ص ٥-٦. علي الجزنائي (ت ٧٦٦هـ/١٣٦٤م)، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٧م، ص ٢٤. أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي (ت سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م، ص ١٩٣.

Scanned by CamScanner

أما محمد بن أبي بكر التطواني فيرى أن تشابه عبارات الكتابين لا يدل بالتأكيد على أن مؤلفهما واحد لأن عادة مؤرخي ذلك العصر جرت أن ينقل أحدهم كلام غيره دون أن ينسبه، ورغم وجاهة هذا الرأي إلا أننا نرى أن هذا ليس دليلاً كافياً على أن الذخيرة ليست من عمل ابن أبي الزرع، لذلك نميل إلى ما رجحه عبد الله كنون الذي ينسب الذخيرة السنية إلى ابن أبي زرع، ودليلنا على ذلك أيضا أن الشيخ محمد بن أبي شنب يذكر في مراسلة منه للشيخ عبد الحي الكتاني أن بعض أصدقائه نقل له عن كتاب :" المقصد الواجب في معرفة اصطلاح ابن الحاجب مشيرا (ابن أبي شنب) إلى أن كتاب : " الذخيرة " إنما هو لابن أبي زرع.[1]

وقد اقتصرت معلومات كتاب الذخيرة السنية على الدولة المرينية، وإن كانت أحداثه تنتهي في عهد مؤسسها السلطان يعقوب بن عبد الحق، لذا نقول إن دراستنا قد أفادت منه معرفة أصل بني مرين، وإبرازه وثيقة تثبت عروبتهم وذكر مواطنهم قبيل دخولهم المغرب الأقصى، والإشارة إلى بعض المؤسسات التعليمية في العهد المريني الأول، وبعض الأوقاف التي أوقفت على هذه المؤسسات.

٢- " **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**" ، لأبي الحسن علي بن عبد الله المعروف بابن أبي زرع، (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م).

يتحدث هذا المصدر عن تاريخ المغرب عموماً، وتاريخ مدينة فاس خصوصاً كما يدل اسمه، بداية من الدولة الإدريسية الحسنية إلى سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، أي في عهد السلطان المريني عثمان بن يوسف بن عبد الحق.

جاءت بداية هذا المصدر خالية من اسم المؤلف، مما أثار خلافا أيضا بين المؤرخين في تحديد اسم المؤلف، فابن الأحمر يسميه صالح عبد الحليم وبذلك يكون هو نفسه مؤلف كتاب : "الإنساب " كما ذكر في كتاب بيوتات فاس الكبرى، والذي جاء فيه أن صاحب الأنيس المطرب اصدر كتابا آخر باسم : " زهر البستان في أخبار الزمان"، ويضيف المصدر نفسه أن " الأنيس المطرب" اثنان : صغير وهو الذي ألفه صالح عبد الحليم، وكبير وهو من تأليف خطيب القرويين حينئذ : أحمد بن أبي زرع الذي يسميه ابن القاضي على بن أبي زرع، أما ابن الخطيب السلماني وابن خلدون فقد اقتصرا على نسبة الكتاب إلى ابن أبي زرع.[2]

---

[1] أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م. ص ص ٥ - ٦.

[2] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ص ٥ - ٧.

Scanned by CamScanner

ويتميز أسلوب ابن أبي زرع في هذا الكتاب بأسلوب الفقيه المتوسط المعرفة بعلوم اللغة، وتختلف عباراته باختلاف المؤلفين والرواة الذين ينقل عنهم، وهو لا ينسب إليهم كلامهم في أغلب الحالات، لذا يوجد في العبارات المنقولة الأسلوب البليغ والمتوسط والضعيف.

وطريقة ابن أبي زرع لم تكن هي طريقة الحوليات التي سار عليها معظم المؤرخين المسلمين في العصر الوسيط، ولكنها طريقة التأريخ بالدول، فهو يذكر الدولة ونسبها وتشعب قبائلها، ومراحل تأسيسها ثم يذكر سلاطينها بالترتيب ويذكر ما قاموا به من أعمال، ثم يذكر في نهاية الحديث عن كل دولة ما حدث في أيامها من أحداث اجتماعية واقتصادية .... إلخ .

ومما يؤخذ على مؤلف هذا المصدر أنه أثناء الحديث عن الدولة المرينية أغفل الأحداث السياسية والعسكرية التي وقعت بين أفراد الأسرة المرينية الحاكمة، وخاصة بين السلطان عثمان بن يعقوب وولده الأمير عمر على الرغم من أهمية تلك الأحداث لا سيما إذا علمنا أنها وقعت في عصره (المؤلف)، وربما كان ذلك رغبة منه في إظهار قوة سلطان بلاده، أو خشية من غضبه عليه.

أما ما يهم موضوع بحثنا مباشرة، فإن الدراسة قد استفادت من هذا المصدر بعض المؤسسات التعليمية من مدارس ومساجد مثل: المدرسة اليعقوبية، ومدرسة الصهريج، والمدرسة المصباحية، وجامع القرويين، وذكر بعض الموارد المخصصة لها، وبيان اهتمام سلاطين بني مرين بالعلم وأهله.

وبالمقارنة مع مصادر أخرى نرى بأن المؤلف قد نقل لنا هذه المعلومات بدقة وموضوعية ربما ساعده عليها معاصرته لبعض السلاطين المرينيين، وكان شاهد عيان على ما بذله هؤلاء في تشجيع العلم والعلماء.

٣- **" جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس"، لعلي الجزناني (ت ٧٦٦هـ/١٣٦٤م).**[١]

يحتوى هذا الكتاب على بابين رئيسيين، **الأول** : في تأسيس فاس، وقد مهد للموضوع بالتعريف بالمغرب وسكانه من البربر، ثم الفتح الإسلامي، وقيام الدولة الادريسية، وبعد ذلك تخلص إلى تأسيس مدينة فاس فتحدث عنه في شيء من التوسع، وأضاف لذلك ذكر بعض أعلام المدينة، وأشرافها من الأدارسة.

---

[١] أصله من قبيلة كزناية الزيغية البربرية، عاش في القرن الثامن الهجري إذ عاصر الفوضى التي عمت المغرب بعد وفاة السلطان أبي الحسن المريني، انظر : الجزناني، **زهرة الآس**، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص ج.

Scanned by CamScanner

الثاني : يهتم بالوضع المعماري للمدينة، فيتحدث عن أسوارها، والزيادات التي أضيفت لها، وإحصاء ما كان فيها من المرافق العامة أيام الموحدين ثم يفيض في التعريف بجامع القرويين وجامع الأندلس وإبراز مكانتهما.

يعد مؤلف الكتاب من المؤرخين المعاصرين للأحداث ومنها الأوضاع السياسية السيئة التي عمت المغرب بعد نكبة السلطان أبي الحسن المريني بالقيروان، وغرق أسطوله أمام ساحل بجاية. وقد اعتمد الجزنائي في تأليف كتابه على عدد من المؤلفات التي أرخت لفاس والمغرب والأندلس وترجمت لرجالها، وقد تميز بالأمانة العلمية فكان ينسب ما ينقل إلى المصادر التي أخذ منها، أو ما راه شخصيا، ويصرح متواضعا في نهاية مؤلفه بأن عمله لم يكن سوى تقييد لما سمعه من الناس، أو ما اختصره من الكتب.[1]

وأفاد المصدر هذه الدراسة في الحديث عن بعض المؤسسات التعليمية مثل الزوايا والمواد التي كانت تدرس بها، وبعض المدارس مثل مدرسة الحلفاوين والمدرسة المصباحية، وأيضا تعرض إلى البيمارستانات والمكتبات، والإشارة إلى بعض الأوقاف التي أوقفت على المؤسسات التعليمية.

٤-"**الإحاطة في أخبار غرناطة**"، للسان الدين ابن الخطيب، (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م).[2]

يعد هذا المصدر من أهم المصادر الإسلامية لمملكة غرناطة، وتاريخ رجالاتها وآدابها وحضارتها، فضلا عن كونه موسوعة لتراجم أعلام الأندلس وبلاد المغرب خاصة، ومن هنا تأتي أهميته كمصدر لدراستنا لأنه معاصر للعهد المريني.

---

[1] الجزنائي، زهرة الآس، مصدر سابق، مقدمة المحقق، ص ج - خ.

[2] هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، قرطبي الأصل، ولقبه ذو الوزارتين، وهو مؤرخ وأديب، وله العديد من المؤلفات أكثرها في الأدب والتاريخ والطب، أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفد القسنطيني (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)، **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧١م، ص ص ٢٧٠-٢٧١، أحمد بابا التنبكتي (ت ١٠٣٦ هـ / ١٦٢٦ م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط١، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى، ١٩٨٩م، ص ص٤٤٥ - ٤٤٦. إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إستانبول، ١٩٥٥م، م٢، ص ١٦٧. عمر كحالة، **معجم المؤلفين**، ج١٠، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧، ص ٢١٦.

Scanned by CamScanner

وقد أفادت هذه الدراسة منه الحديث عن الصلات العلمية بين المغرب الأقصى وغرناطة، وتراجم العلماء القادمين من المغرب إلى الأندلس أو العكس والأحداث التي تدخل فيها المرينيون في الأندلس ودور العلماء فيها.

٥- "**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**" لمحمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).[١] وهو الكتاب المعروف برحلة ابن بطوطة، وهو منشور ومترجم إلى أكثر من لغة، وقد صاغ هذه الرحلة المؤرخ ابن جزي على ما ذكره ابن بطوطة نفسه. ولكن ابن بطوطة أثناء رحلته لم يكن يدون ما رآه، بل دونت الرحلة فيما بعد بناءً على ما بقي في ذاكرته، مما يجعله ربما أقل دقة من المؤرخين المعاصرين له كالبلوي.

وأفادت الرحلة هذه الدراسة في الإشارة إلى العلوم التي كانت تدرس في الكراسي (الحلقات) العلمية في مساجد فاس، وذكر أسماء بعض العلماء المغاربة الذين وجدهم في القاهرة، والحديث عن الصلات العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب الأقصى في عهد بني مرين.

٦- "**المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**"، لمحمد بن مرزوق التلمساني (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م).[٢]

---

[١] هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي أبو عبد الله بن بطوطة، صاحب الرحلة المشهورة المذكورة أعلاه، وقد تجول في كثير من بلدان العالم آنذاك، وعند عودته إلى المغرب أمره السلطان ابو عنان المريني بتدوين رحلته وقام بتحريرها الكاتب أبو عبد الله بن جزي الذي تولى منصب القضاء في المغرب الأقصى. شهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٨ م)، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط٢، ج٤، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٠٠.

[٢] هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي السلماني أبو عبد الله ، كان يلقب "شمس الدين"، ويعرف بالخطيب الأكبر، ولد بتلمسان سنة (٧١١ هـ / ١٣١١ م)، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م. لسان الدين بن محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط٢، م١، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٧٣م، ص ص ٢٢٣-٢٢٦. أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفذ القسنطيني، **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض ، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧١م، ص ٣٧٣. ابن حجر، الدرر، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٤٥٠-٤٥٢، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي (ت ٩٦٤ هـ/ ١٥٥٦ م)، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق أحمد الشتيوي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٢٢٩. أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي (ت ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣، ج١، ص ص ٢٢٥-٢٢٧. التنبكتي، النيل، مصدر سابق، ص ٤٥٠. محمد بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٤٩هـ، ص ٢٧٥.

Scanned by CamScanner

عاش مؤلف هذا الكتاب في كنف الدولة المرينية، وتقلب في وظائفها ولعب دوراً بارزاً في حياتها السياسية، وشؤونها الثقافية، ونال حظوة ورعاية من بعض سلاطينها، خاصة السلطان أبا الحسن المريني، وتقرب من السلطان أبي عنان لمدة أربع سنوات، وخدم في بلاط السلطان أبي سالم المريني، مما يعطينا فكرة عن هذه الشخصية التي شغلت في المغرب مناصب سامية لم يحظ بها إلا من كان ذا كفاية عالية ومقدرة علمية كبيرة، كما لعب دوراً كبيراً في ميدان السياسة والإدارة في الدولة المذكورة.

اشتمل المسند على خمسة وخمسين باباً إضافة للمقدمة والخاتمة وكلها تدور حول أصل وتاريخ الدولة المرينية، ورغم أن الكتاب ألف من أجل أبي الحسن كما يدل عليه عنوانه فإن المؤلف تحدث عن دولة بني مرين جميعها بالعطف والتقدير، وخصص جزءًا كبيراً من مؤلفه هذا للحديث عن السلطان أبي الحسن، والسلطان أبي يعقوب يوسف بينما لا يتناول السلطان أبا عنان والسلطان أبا سالم إلا باختصار. وربما يعود سبب ذلك إلى ما لقيه ابن مرزوق على يد أبي عنان خاصة من عذاب ومحن.[١]

ويذهب بعض الباحثين إلى أن ابن مرزوق لم يبرهن حتى في ميدان التفكير والتاريخ عن الاستقامة الضرورية والنزاهة التي يجب أن يتصف بها كل باحث[٢]، وتشير إلى ذلك محققة كتابه (المسند) بقولها : " إن كتابه ملئ بالمبالغات والمديح وبيان مزايا السلطان أبي الحسن، ولا يجد ابن مرزوق حرجاً في أن يعلن ذلك صراحة في عنوان الكتاب وفي مضمونه "[٣].

ورغم الحكم السابق فإن كتاب المسند يعد من المصادر التاريخية التي لا يمكن الاستغناء عنها لأنه يظهر فيما ينقله إلينا عن العهد المريني مما أصبح معروفاً من مصادر أخرى.

وقد أفاد بحثنا من هذا المصدر على وجه الخصوص فيما يتعلق ببناء بني مرين لبعض المؤسسات التعليمية كالمساجد والمدارس والزوايا والبيمارستانات، وعن أصل بني مرين ورعاية السلطان أبي الحسن المريني للعلماء، والصلات العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب الأقصى وغير ذلك مما أسهم في إثراء معلومات بحثنا.

---

[١] ويبدو أن موقف السلطان أبي عنان هذا لا يدل على سياسة مرينية متناقضة تجاه العلماء، بل هو تصرف قلما يحدث من السلاطين المرينيين، يدل على ذلك ما تؤكده بعض المصادر المعاصرة من تشجيع هؤلاء السلاطين ودعمهم للعلماء ليس من داخل المغرب الأقصى وحسب بل ومن خارجه أيضا.

[٢] محمد ابن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر**، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٨٢م، ص ص ١٢٣-١٢٩.

[٣] محمد ابن مرزوق التلمساني (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٧م، ص ٦٠.

Scanned by CamScanner

٧-" **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**" ، لإبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، المدني ابن فرحون (٧٩٩هـ/١٣٩٦م). [١]

هذا المصدر عبارة عن تراجم لأعيان المذهب المالكي سواء من المشارقة أو المغاربة من زمن الإمام مالك إلى زمن المؤلف أواخر القرن الثامن الهجري. والملاحظ على ابن فرحون في مؤلفه هذا أنه لم يؤرخ في طبقات الفقهاء إلا للمالكية، ومع هذا فإنه لم يكن مؤرخاً وإنما كان ناقلاً أو مختصراً لأقوال من سبقوه، ويتبين ذلك من المقارنة بين ما أورده في التراجم وبين ما ذكرته مصادر الترجمة فيهم، ولكنه في مقابل ذلك كان يتميز بالدقة والأمانة في النقل، والبصر بنقد الروايات وتمحيصها. [٢]

أما ما يهم هذه الدراسة فقد أفاد هذا المصدر في التعريف ببعض الأعلام التي ترجع إلى العهد الذي ندرسه ومعرفة مؤلفاتهم وتنقلهم في بعض أقطار العالم الإسلامي آنذاك وأنواع تعلمهم ومواد التدريس عندهم.

٨- " **مقدمة ابن خلدون**" **لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)** [٣]

تطلق مقدمة ابن خلدون على المجلد الأول من سبعة مجلدات يتألف منها كتاب : " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر". اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظات حسية (مشاهدات شخصية) لظواهر علم الاجتماع،

---

[١] كان عالماً بالفقه والنحو والأصول والفرائض، وتولى القضاء بالمدينة المنورة سنة (٧٩٣ هـ / ١٣٩٠ م). ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٣٤٨. ابن حجر، **الدرر**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٩. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٤٨٨-٤٨٩. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٣-٣٥. عبد الحي ابن العماد الحنبلي، (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨ م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط٢، ج٦، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م، ص ٣٥٧.

[٢] إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري ابن فرحون المدني المالكي، (ت ٧٩٩ هـ / ١٣٩٦ م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م، مقدمة المحقق، ص ص س - ع.

[٣] هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين ابن خلدون، ومشهور بابن خلدون، وكانت ولادته بتونس سنة (٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، وبدأ بطلب العلم منذ الصغر حيث درس على يد كثير من العلماء العلوم الشرعية والعربية والطبيعية والرياضية وعلوم المنطق والفلسفة، وتوفي فجأة سنة (٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م). ابن العماد، **الشذرات**، مصدر سابق، ج٧، ص ٧٦. التنبكي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ٢٥٠-٢٥٢. محمد بن علي بن محمد الشوكاني،(ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، ط١، دار الفكر، دمشق، سوريا، ودار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ص ص ٣٤٥ - ٣٤٨.

Scanned by CamScanner

وفي عمليات عقلية هدفها الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين. كانت طريقة عرض أرائه في المقدمة انه كان يعنون كل فقرة من بحثه بقانون أو فكره من القوانين أو الأفكار التي انتهى إليها ثم يأخذ في بيان الحقائق التي استخلص منها هذا القانون أو هذه الفكرة أي يأخذ في البرهنة عليها، ويعد هذا دليلاً على مدى الدقة التي تميز بها كتابه "المقدمة"، ولعل علاقته المضطربة مع السلاطين المرينيين في بعض مراحل حياته وتقربه من بعضهم ودعمهم له في مراحل أخرى، وعبقريته المدهشة وخبرته الواسعة في التدريس والملاحظة، كل ذلك انعكس ايجابيا في اشتمال المقدمة على بحوث قيمة في تاريخ العلوم والفنون وموضوعاتها، وذلك يعد دليلاً على رسوخ قدم ابن خلدون في معظم العلوم والفنون المعروفة في عصره.[١]

أما ما يهم بحثنا فقد كانت " المقدمة " من المصادر الهامة لفترة البحث لتناولها أكثر من جانب من محاور البحث، فقد كانت مصدراً مهماً لكل فصول الرسالة تقريباً، إذ استفاد منها في إعطاء فكرة عن مساكن المتعلمين في المدارس، وتعليم الصبيان في الكتاتيب، وشروط التدريس في المؤسسات التعليمية، وأسلوب تربية الصبيان، وتناول بعض أساليب التدريس ونقد بعضها كطريقة الحفظ والإقراء، والتعريف ببعض العلوم كالقراءات والحديث والفلك وغيرها مما سنتناوله في الدراسة، والإشارة إلى بعض المؤلفات العلمية وبعض العلماء، والصلات العلمية بين المغرب الأقصى وتونس في عهد بني مرين وبني حفص.

٩- " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) :

يشتمل هذا الكتاب على سبعة مجلدات الأول منها يشمل المقدمة التي تحدثنا عنها سابقاً، وستة مجلدات أخرى عبارة عن بحوث تاريخية خالصة.

قسم ابن خلدون هذه البحوث التاريخية إلى قسمين، درس في الأول منها، "أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى عهد المؤلف"، وفي القسم الثاني تحدث عن : "تاريخ البربر ومن إليهم من زناته".

أجرى ابن خلدون في القسم الأول من مؤلفه هذا تحقيقات علمية هامة في تراث أسلافه من المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ العرب والإسلام، وضمنه بحوثاً استمدها من مشاهداته وقراءاته الخاصة التي لم يطلع عليها مؤرخو العرب من قبله، ومن بعض مصادر كانت موجودة

---

[١] علي عبد الواحد وافي، " مقدمة ابن خلدون " ، **موسوعة تراث الإنسانية**، م١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والتراث للطباعة والنشر، القاهرة، (د . ت)، ص ص ٢٨٦-٣٠٦.

Scanned by CamScanner

في عصره ولم تصل إلينا، ويبدو هذا على الأخص في حديثه عن دول الإسلام في صقلية ودول الطوائف بالأندلس، والممالك النصرانية في إسبانيا، وتاريخ بني الأحمر في غرناطة.

ويعد القسم الثاني الخاص بتاريخ البربر أقوى الأقسام وأكثرها تحقيقاً وتجديداً وطرافة معاً، وأكبرها فضلاً على بحوث التاريخ، بسبب أن معظم ما جاء في هذا القسم لم ينقل من مراجع مدونة، وإنما سجله ابن خلدون نفسه لأول مرة من مشاهداته أثناء اتصاله بمختلف قبائل البربر وتنقله بين دول المغرب والأندلس.

والقسم الثاني هو مصدر الإفادة لدراستنا، فالباحث يلمس بوضوح مدى الدقة والجدة التي تميز بها ابن خلدون وخاصة أنه كتب تاريخه هذا بعد تركه الخدمة في البلاط المريني.[١]

وقد أفادت الدراسة من هذا المصدر في معرفة كثير من النواحي السياسية والعسكرية في المغرب الأقصى، وخاصة فترة الصراع بين الموحدين وبني مرين قبيل قيام الدولة المرينية، والأحداث السياسية الهامة خلال العهد المريني والتي كانت أهمها محاولة السلاطين المرينيين توحيد المغرب الإسلامي خاصة في عهد السلطان أبي الحسن المريني، كما تناول المصدر بعض الجوانب التعليمية مثل مدى فائدة أهل المغرب من التركيز على تعليم القرآن الكريم في مرحلة الكتاب، وذكر بعض البدع في المجتمع المريني، والإشارة إلى الصلات العلمية بين المغرب الأقصى وتونس الحفصية.

١٠- * **روضة النسرين في دولة بني مرين**، لابن الأحمر أبو الوليد،إسماعيل بن يوسف بن محمد (ت ٨١٠هـ /١٤٠٧م)[٢].

يشتمل هذا الكتاب على محورين، الأول : يتعلق بالدولة المرينية ونسب بني مرين، وسلاطينهم حتى أيام أبي سعيد الثاني، الذي ألف الكتاب باسمه مما يعطي الدليل الواضح على كون المؤلف معاصراً للأحداث التي ذكرها. والثاني : عالج فيه المؤلف دولة بني عبد الواد وأخبارهم كما ركز على طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية القائمة مع الدولة المرينية.

---

[١] وافي، مقدمة ابن خلدون، مرجع سابق، ص ص ٢٨٦-٣٠٦.

[٢] مؤرخ وأديب، له العديد من المؤلفات، مثل : نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، وروضة النسرين في دولة بني مرين وغيرها، توفى بمدينة فاس سنة (٨١٠ هـ/ ١٤٠٧ م). أبو عبد الله محمد بن محمد المجاري (ت ٨٦٢ هـ / ١٤٥٧ م) **برنامج المجاري**، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص ٢٩. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٦٦-١٦٧. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ١٤٥-١٤٦.

Scanned by CamScanner

وقد استقى ابن الأحمر معلوماته في المحور الأول من الكتب السابقة له حين أرخ للفترة التي سبقت عصره، أو عن طريق رواياته عن بعض المعاصرين من أعلام عصره، وذوي السلطة ومشاهداته الشخصية التي عاصرها. وربما يؤخذ على مؤلف هذا الكتاب عدم حياده في ذكر بعض الحوادث.[١]

ولكن أهمية هذا المصدر تبرز بانفراده بذكر المعلومات النادرة والتي لم تذكرها المصادر الأخرى المعاصرة للعهد المريني، مثل : رفعه لنسب بني مرين إلى علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه.

وأفادت الدراسة منه في استقاء معلومات عن أسماء سلاطين بني مرين وصراعهم مع الموحدين في بداية ظهورهم وما أعقبه من صراع استمر ما يقارب ثلاثة قرون بين بني مرين، وبني عبد الواد ملوك تلمسان.

١١- " **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**" لأحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م).[٢]

يعد هذا الكتاب من أبرز كتب الونشريسي، وقد اعتمد في فتاواه التي أوردها في كتابه "المعيار" على مصنفات الفقه المالكي بأصنافها المتعددة سواء الأمهات أو المختصرات في الأصول والفروع والنوازل والوثائق، كما اعتمد في فتاوى المغربين الأدنى والأوسط على نوازل الفقيه أبي القاسم البرزلي القيرواني (ت ٨٤٤ هـ/ ١٤٤٠ م)[٣] وغيرها من النوازل.

يشتمل كتاب المعيار على مجموعة ضخمة من النوازل والفتاوى الفقهية التي تعبر بصدق ووضوح عن واقع الحياة اليومية، فالملاحظ أن الحوادث التي عاشها أهل المغرب

---

[١] أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد ابن الأحمر (ت ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧ م)، **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٧، ص ١٣٠.

[٢] هو أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، ولد بتلمسان سنة ٨٣٤ هـ/١٤٣٠ م، وبها نشأ وترعرع وأخذ المعارف والعلوم، وخرج سنة (٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)، إلى مدينة فاس ليقيم بها، وله العديد من المؤلفات أهمها كتاب " المعيار" المذكور أعلاه. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٥٦-١٥٧. أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط١، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان والمكتبة العتيقة، تونس، ١٩٨٢م، ص ٦٣.

[٣] أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق محمد حجي وآخرين، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨١، ص و.

Scanned by CamScanner

الإسلامي والأندلس عندئذٍ قد اصطبغت بصبغة محلية مما دفع الفقهاء من أهل الفتوى والاجتهاد لاستنباط الأحكام والفتاوى الشرعية المناسبة وفق الكتاب والسنة بالإجماع والقياس في ضوء المذهب المالكي.[١]

تبرز أهمية هذا الكتاب في الجوانب المتعددة التي عالجها عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية التي أفادت منها هذه الدراسة نظراً لأهمية النوازل والفتاوى وعلو قيمتها، فالمصدر يتضمن كما سنرى الكثير من المعلومات والنصوص والوثائق التي قلما ترد في المصادر التاريخية الأخرى المعاصرة لفترة البحث والتي تمس مختلف جوانب المجتمع، فهناك معلومات قيمة عن الكتاتيب والزوايا والمدارس والمكتبات، والعلماء والأسر العلمية الشهيرة، وبعض وثائق التحبيس على مؤسسات التعليم في مدارس فاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى بالإضافة إلى بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المغرب المريني.

١٢- "**جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**"، لابن القاضي أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م).[٢]

إن المصدر وإن كان غير معاصر للدولة المرينية فإن معلوماته منقولة نقلاً حرفياً عما كتبه مؤرخون سابقون وخصوا فاس بالتأليف كعلي الجزنائي صاحب كتاب: "جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس"، وعلي بن أبي زرع صاحب كتاب " الأنيس المطرب" ويظهر ذلك بوضوح أثناء حديث ابن القاضي عن جامع القرويين.

استفادت دراستنا منه أيضاً في تراجم لأشهر علماء العهد المريني في العلوم المختلفة، وهذه التراجم التي أوردها ابن القاضي منقولة نقلاً قد يطول أو يقصر من الكتب السابقة له، وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن القاضي كان يشير تارة إلى المصادر التي ينقل منها أحياناً وأحياناً يغفلها، لكن كتابه يعد من أهم المصادر التي تحدثت عن علماء فاس في الفترة المرينية.

إن لهذا المصدر أهمية أخرى بالنسبة لموضوعنا، فعندما يتناول بعض الأعلام بالتراجم يذكر معلومات عن بعض المؤسسات التعليمية ويصفها أحياناً، ويذكر العلماء الذين درسوا فيها والمواد التدريسية التي اهتموا بتدريسها مما ساعد على إثراء دراستنا.

---

[١] كمال أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي- من خلال نوازل الونشريسي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٨.

[٢] هو أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي ثم الفاسي، له العديد من المؤلفات في الفقه والحساب والهندسة والتاريخ وغير ذلك من العلوم، توفي بمدينة مكناس سنة ١٠٢٥ هـ / ١٦١٦ م. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص٥. الحفناوي، **تعريف الخلف**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٠١.

Scanned by CamScanner

ب- نقد المراجع :

اعتمدت في دراستي أيضاً على مجموعة من المراجع الحديثة التي أود أن أشير إلى بعضها وهي :

١-"**ورقات عن حضارة المرينيين**"، لمحمد المنوني، وقد صدرت الطبعة الأخيرة من هذا الكتاب سنة ١٩٩٦ بزيادات هامة عن النسخ السابقة التي كانت تحمل اسم : "ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين".

بذل الباحث مجهوداً واضحاً في هذا الكتاب بما احتواه من معلومات قيمة وترتيب دقيق يسهل مهمة القارئ ، فمن ناحية الهوامش صارت منسقة أسفل الصفحات مما يسهل الرجوع إلى المصادر المتنوعة التي اعتمد عليها الباحث بالإضافة إلى ما اشتمل عليه الكتاب من ملاحق ونصوص وثائقه مما أضفى على الكتاب ميزة أخرى قد لا توجد في غيره.

لقد تميز كتاب المنوني بالدقة والموضوعية بما ذكره من أحداث عن الدولة المرينية، وذلك باعتماده على مصادر محققة ومخطوطات نادرة بالإضافة إلى تضمينه آراءه الخاصة عن موضوعات الكتاب مما جعلنا نستفيد منه استفادة جمة.

يعد كتاب المنوني هذا من أهم الكتب الحديثة التي عالجت الدولة المرينية بشكل واسع خاصة من الناحية العلمية موضوع بحثنا، فهو قد تحدث عن المساجد والمدارس والزوايا والموارد المالية، والعلوم الأصيلة وهي الموضوعات التي يدور حولها بحثنا، وعن العلاقات العلمية مع الدولة الحفصية (تونس)، وعن التأثير العلمي في المجتمع في بعض النواحي الفكرية والاجتماعية وغيرها، بالإضافة إلى تقديمه معلومات مركزة عن قيام الدولة المرينية.

٢- " **التربية الإسلامية في المغرب ، أصولها المشرقية وتاثيراتها الأندلسية**"، لمحمد عادل عبد العزيز:

يبدو أن هذا الكتاب هو خلاصة الدراسات التي قام بها المؤلف في مجال التربية الإسلامية في المغرب حتى نهاية عصر بني مرين، ويتميز هذا الكتاب بإعطائه للقارئ معلومات موجزة عن الحياة العلمية في المغرب خاصة في العهد المريني، وقد وضع الهوامش في أسفل الصفحات مما يجعل من السهل للقارئ الرجوع إليها، ورغم أهمية موضوع الكتاب إلا أن الباحث لم يعتمد على نصوص وثائقية تدعم بحثه، وإن كانت نظرته للنواحي العلمية قد تميزت بالشمول.

مما قد يؤخذ على الكتاب أن مؤلفه لم يدقق أحياناً في بعض الإشارات للمصادر التي استقى منها المعلومات، فمثلاً يقول أثناء حديثه في صفحة (٥١) بأن الجزنائي لخص الدور

Scanned by CamScanner

العلمي والثقافي الهام الذي اضطلع به جامع القرويين، ولكن بالرجوع إلى الجزنائي في (جنـــي زهرة الأس) نجد أن النص المذكور يتعلق بجامع الأندلس وليس جامع القرويين.

٣- " **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**"، للمستشرق الفرنســي الفرد بل وترجمة عبد الرحمن بدوي.

الكتاب عبارة عن دراسة في تاريخ الإسلام الديني والفـــرق الإســلامية فــي الشــمال الإفريقي منذ الفتح العربي، ويمتاز بغزارة المادة وسعة الأفق والاستناد إلى المصادر الكثيرة.

تميز الكتاب بالتعليقات والإحالات المفيدة في الحاشية، ومما يلاحظ عليه أنه لم يحل إلــى المصادر في الحواشي ولكنه يذكرها في المتن، وتميز الكتاب أيضا بالتحليل والنقد أثناء الحديــث عن الموضوعات التي تناولها. وفيما يخص فترة بحثنا فقد استفادت منه الدراســة فــي مجــال التصوف والمدارس.

ونلمس من خلال الرجوع لبعض المصادر التي اعتمد عليها المؤلف مدى الدقـــة التــي تميز بها، بالإضافة إلى الأراء الفردية التي زادت من أهمية كتابته ولو لم يتفق الآخرون معــه، وذيل المؤلف كتابه بفهارس تجعل القارئ لا يجد صعوبة في الرجوع لمواضيع الكتاب.

٤- " **النبوغ المغربي في الأدب العربي** "، تأليف عبد الله كنون.

هذا الكتاب عبارة عن دراسة أدبية وسياسية للدول التي حكمــت المغــرب الإســلامي، وتميز بذكر التفصيلات الواسعة حول الموضوعات التي تناولها، كما يضم تراجم قصيرة للأدبــاء والعلماء من كل عصر .

مما يؤخذ على المؤلف أنه لم يذكر المصادر التي اعتمد عليها في الحاشية بــل اكتفــى بعرض الموضوعات، ويمكن التأكد من دقة معلوماته التي أوردها بالرجوع إلى المصادر التــي ذكرها في آخر الكتاب مع الإشارة هنا إلى أن هذا الكتاب ليس دراسة أكاديمية.

استفادت دراستنا من هذا الكتاب تناوله لبعض أنواع العلوم في العهد المريني مما أســهم في رفد بحثنا بمعلومات قيمة، بالإضافة إلى إبرازه أشهر العلماء في هــذه العلــوم ومســاهمتهم فيها.

٥- " **فاس في عصر بني مرين**"، للمستشرق الفرنسي روجيه لوتورنو، وترجمة نقولا زيــادة، إن هذا الكتاب عبارة عن دراسة تاريخية حضارية لمدينة فاس في العهد المريني، فقد تنــاول هــذا الكتاب الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية والأدبية في العهد المريني.

يؤخذ على المؤلف أنه لم يوثق المعلومات التي أخذها من المصــادر بــل أشــار إلــى وجودها في المتن، ولكن بالرجوع إلى المصادر التي ذكرها نلمس مدى الدقة التي تميز بها فــي

Scanned by CamScanner

ذكر المعلومة التاريخية، وقد ضمّن الكتاب آراءه ومقارناته، وذيله بفهارس تسهل مهمة القارئ في الرجوع إلى موضوعات الكتاب المتنوعة.

استفاد بحثنا من هذا الكتاب معلومات عن بعض المنشآت العمرانية للمرينيين كالمدارس والبيمارستانات وغيرها، والحديث عن الكتاتيب كمؤسسة تعليمية للصبيان وبعض المعلومات عن الموارد المالية للمؤسسات عامة وبعض تأثيراتها في المجتمع المريني.

٦- **"مظاهر الثقافة المغربية من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر "** لمحمد ابن شقرون.

يتناول هذا الكتاب العديد من جوانب الثقافة المغربية في عهد بني مرين، ومنها التعليم ومؤسساته واعتمد مؤلف هذا الكتاب على العديد من المصادر المخطوطة منها والمطبوعة وسواء أكانت عربية أو بلغات أجنبية مما جعل المعلومات التي ذكرها ذات أهمية كبيرة للاعتماد عليه كمصدر عن الثقافة في عهد بني مرين. لقد ذكر المؤلف أسماء المصادر التي اعتمد عليها في هوامش أسفل الصفحات، مما يجعل مهمة القارئ سهلة في الرجوع إليها، بالإضافة إلى اشتمال الكتاب على ملاحق ومصورات من مخطوطات ووثائق غير متوفرة في غيره مما أضفى على الكتاب ميزة أخرى قد لا توجد عند المؤرخين الآخرين.

إن كتاب ابن شقرون هذا قد تميز بالدقة والنزاهة الفكرية إلى حد كبير بما ذكره عن الجوانب العديدة للثقافة المغربية خلال العهد المدروس. استفادت دراستنا من هذا الكتاب معلومات عن بعض العلماء مثل ابن مرزوق التلمساني وغيره من العلماء، وعن بعض المؤسسات التي خدمت التعليم كالبيمارستانات، والحديث عن بعض العلوم كالطب والرياضيات وأشهر من برز فيها من العلماء مع ذكره لأهم المؤلفات العلمية في العهد المريني.

ج- فصول الدراسة :

بعد هذا العرض المختصر لأهم مصادر ومراجع البحث أود أن أذكر هنا أن الرسالة تقوم على خطة تشمل تمهيدا وثلاثة فصول وخاتمة.

قبل الدخول في فصول الرسالة مهدت لموضوع البحث بعرض مختصر تحدثت فيه عن أصل بني مرين، ومواطنهم قبيل دخولهم المغرب الأقصى، ومنذ دخولهم وقيام دولتهم ، وأهميتهم السياسية والحضارية في تاريخ المغرب الأقصى، ومحاولاتهم توحيد بلاد المغرب الإسلامي.

في الفصل الأول تحدثت عن أنواع المؤسسات التعليمية من كتاتيب قرآنية ومساجد وزوايا ومدارس، أما جامع القرويين فقد أفردت له فقرة خاصة لأهميته في حركة التعليم في

Scanned by CamScanner

العهد المريني، ثم تناولت البيمارستانات والبيوتات الخاصة والمكتبات ، بالإضافة إلى الموارد المالية لهذه المؤسسات التعليمية من أوقاف (أحباس)، وهبات وإعانات الحكام، وموارد أخرى كالجزية وغيرها.

في الفصل الثاني المعنون بـ" أركان التعليم" تناولت الحديث عن المتعلمين، وهيئة التدريس، وأساليب التدريس، وموارد التدريس من علوم نقلية وعقلية.

في الفصل الثالث المعنون بـ" تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع والصلات العلمية مع البلدان الأخرى" فقد درست فيه تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع من النواحي الثقافية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، ثم الصلات العلمية مع البلدان الإسلامية الأخرى مثل الأندلس وتونس والجزائر والمشرق الإسلامي.

وأما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها .

وأخيرا أرجو أن تكون دراستي المتواضعة قد أسهمت ولو بجهد صغير في مجال البحث العلمي والتواصل الحضاري بين مغرب العالم الإسلامي ومشرقه، فإن أصبت الهدف من ذلك فأسأل الله أجرين وإن أخطأته فحسبي أجر المجتهدين، **والله أسأل التوفيق** ،،

مصطفى القيم

المفرق/ جامعة آل البيت

٢٠ / ١٢ / ١٩٩٩م

Scanned by CamScanner

تمهيد

قيام الدولة المرينية وأهميتها في تاريخ المغرب الأقصى

أولاً : أصل بني مرين

ثانياً : مواطنهم قبيل دخولهم المغرب الأقصى

ثالثاً : دخولهم المغرب الأقصى وقيام الدولة المرينية

رابعاً : أهمية بني مرين السياسية والحضارية في تاريخ المغرب الأقصى

خامساً : الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية

Scanned by CamScanner

تمهيد

قيام الدولة المرينية وأهميتها في تاريخ المغرب الأقصى

شهد المغرب الإسلامي منذ مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي تحولات سياسية، تمثلت بقيام ثلاث دول من أصول بربرية، نتيجة ضعف السلطة الموحدية.

ففي المغرب الأدنى أسس بنو حفص دولة لهم عاصمتها مدينة تونس، وتمكن بنو عبد الواد في المغرب الأوسط من تأسيس دولة لهم عاصمتها مدينة تلمسان، وانفصل بنو الأحمر عن الموحدين وأصبحت غرناطة مركزاً لحكمهم.

بينما اختص بنو مرين بالمغرب الأقصى بعد صراع مع الموحدين كما سنرى، فقد خاضوا معهم حروباً ومعارك استمرت نصف قرن من الزمان أو يزيد، وانتهى هذا الصراع بدخول بني مرين مراكش عاصمة الموحدين سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، ليبدأ تاريخ جديد للمغرب الأقصى الذي غدا خلال الحكم المريني يتمتع بأهمية في مختلف المجالات السياسية والحضارية كما سنرى بعد قليل.

أولاً : أصل بني مرين:

ينحدر نسب بني مرين عند أغلب المؤرخين من قبائل زناته المشهورة في بلاد المغرب العربي، التي تفرعت عنها قبائل عديدة.[١]

ولكن اختلف المؤرخون في نسب المرينيين الذي سموا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم مرين الذي انتموا إليه،[٢] فمن المؤرخين من رفعه وقال : إنهم من بطون زناته التي يعود أصلها إلى

---

[١] مثل مغراوة، وزواغة، ومغيلة، ومديونة، وعبد الواد، وغيرها. انظر : ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ص ١٤-١٥.

[٢] المصدر ذاته، ص ١٥. عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط١، ج٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ١٩٦.

Scanned by CamScanner

مضر ويلتقون في النسب مع النبي صلى الله عليه وسلم[١]، وهؤلاء المؤرخون يرجعون النسب المريني إلى الأصل العربي وتحديداً إلى بر بن قيس بن عيلان الذي هاجر من بلاد نجد إلى ديار أخواله البربر[٢]، القاطنين عندئذٍ في فلسطين، والبلاد المجاورة لبلاد الشام ومصر.[٣]

وعلى الرغم من شبه إجماع الآراء على إرجاع زناته إلى بر بن قيس إلا أن الأمر لم يخل من بعض الروايات التاريخية التي تطعن في هذا النسب. ومنها رواية ابن حزم الذي قال : "...هم يزعمون أنهم ولد بر بن قيس، وما جعل الله لقيس ولداً يقال له برّ "[٤].

و هذه الرواية يبدو أنها تتفق مع رواية مؤرخ آخر يقول : " وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه برّ ".[٥]

أما ابن خلدون فينكر عروبة بني مرين وهو يرجع نسبهم إلى زناتة البربرية ويقول بأنهم (زناتة) دخلوا في النسب العربي لصراحته وما فيه من المزايا مثل تعدد الأنبياء.[٦]

وعلى خلاف ما أورده البلاذري، وابن حزم، وابن خلدون، نجد في المصادر التي بين أيدينا نصوصاً تاريخية تنسب زناته إلى بر بن قيس بن عيلان، منها :

١- وثيقة تاريخية تثبت عروبة بني مرين نقلها ابن أبي زرع أثناء حديثه عن وصول حسان بن النعمان (الغساني)[٧] إلى جبل أوراس بجيشه الذي كان معظمه من قبائل قيس أثناء فتوحاته

---

[١] أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد الملزوزي، (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، **نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٣م، ص ٦٧. ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ١٥. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٢٧٨. ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ١٠٧. أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر(ت ٨١٠ هـ/١٤٠٧م)، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩١م، ص ١٧.

[٢] الملزوزي، **نظم السلوك**، مصدر سابق، ص ٦٧. ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ١٦.

[٣] يحيى بن أبي بكر محمد بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ / ١٣٧٨م)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، ج١، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠م، ص ٥٦.

[٤] أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م)، **فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، ق١، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧، ص ٣١٥.

[٥] علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٣ م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧١م، ص ٤٩٥.

[٦] ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٥، ١٩٦.

[٧] أحد قادة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وعين قائداً من قبل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة (٧٣هـ/٦٩٢م). عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الحكم القرشي (ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠ م)، **فتوح مصر وأخبارها**. تحقيق محمد الجيوي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦، ص ٢٠٠.

Scanned by CamScanner

في بلاد المغرب العربي، فقد وقفت بوجهه زناته، فطلب منهم الدخول في الإسلام، وناشدهم قائلاً : " يا معشر زناته أنتم إخواننا في النسب، فلم تخالفونا، وتعينون علينا أعداءنا؟ أليس أبوكم بر بن قيس بن عيلان؟ قالوا بلى ! ولكنكم معشر العرب تتكرون لنا ذلك، وتدفعوننا عنه، فإذا أقررتم بالحق ورجعتم إليه فاشهدوا لنا به على أنفسكم"[١]، فوافقوهم (أي العرب) وكتبوا لهم وثيقة بذلك.[٢]

وعلى الرغم من الأهمية التاريخية لهذه الوثيقة فإن الملاحظ أن المؤلف لم يذكر المصدر الذي اعتمد عليه في روايتها بل اكتفى بالقول : " لم نزل نعرف ذلك، ونتوارث علمه وصحته من أبائنا، ومشايخنا، وأهل العلم بالتاريخ والمعرفة بالأنساب منا، يأخذه كابر عن كابر وعادل عن عادل[٣] " ، وهذه الوثيقة التي يبدو أن ابن أبي زرع قد انفرد بذكرها تؤكد أن بني مرين من قبيلة زناته البربرية وأنهم عرب من أولاد بر بن قيس بن عيلان كما سبق وأن أشرنا، ورغم إنكار بعض الروايات لهذا النسب، فإنه يبدو أن بني مرين يعودون إلى أصل عربي بسبب توافق رأي أغلبية المؤرخين على ذلك.

٢- ما تناقلته بعض المصادر التاريخية عن بكاء تماضر بنت قيس أخاها برّ بن قيس عندما انتقل من بلاد الحجاز إلى بلاد أخواله البربر وتغيير لسانه عن العربية.[٤] فقد قيل إن برّ بن قيس قبل وفاته أنجب ولداً وحيداً اسمه مادغيس الذي أنجب بدوره مجموعة من الأولاد فعاشوا بين أخوالهم البربر وتكلموا لغتهم البربرية، مما جعل أخته تماضر تحزن عليه حزناً شديداً وأخذت ترثيه وتبكيه وتذكر بعده عن وطنه وذويه.[٥]

٣- ما ذكره بعض المؤرخين عن نسب بني مرين وهو نسب يرقى لعلي بن أبي طالب، كرم الله وجهه[٦]، ولكن يبدو أن هذه الرواية لم تكن سوى محاولة يتقرب بها صاحبها من سلاطين الدولة

---

[١] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ١٧.

[٢] انظر نص الوثيقة في الملحق رقم (١).

[٣] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ١٧.

[٤] المصدر ذاته، ص ١٩، ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٢٨٠. ابن الأحمر، **روضة النسرين**، مصدر سابق، ص ص ١٨-١٩.

[٥] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ١٩. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ص ٢٧٩-٢٨٠.

[٦] ابن الأحمر، **روضة النسرين**، مصدر سابق، ص ١٧.

Scanned by CamScanner

المرينية، وتدلنا بعض الشواهد التاريخية على ذلك، فمثلاً عمد صاحب روضة النسرين إلى تمجيد بني مرين، والحطّ من شأن بني عمومتهم بني عبد الواد رغم أن أصلهم واحد.[١]
ومهما كان الأمر، فإن الدولة المرينية قد اعتزت بنسبها العربي بالفعل عندما أقرت اللغة العربية لغة رسمية لها [٢]، وحرص أمراؤها على مصاهرة أشراف العرب المقيمين في المغرب، ومن ذلك زواج الأمير عبد الحق بن محيو مؤسس الدولة المرينية من النساء اللائي ينتسبن إلى البيت العلوي الشريف، وقد سار على نهجه بقية أمراء بني مرين الذين صاهروا أشراف القبائل العربية هناك.[٣]

ثانياً : مواطنهم قبيل دخولهم المغرب الأقصى :

كانت المواطن الأصلية لبني مرين تنحصر في المنطقة الممتدة من منطقة فجيج إلى سجلماسة وصولاً لمنطقة الزاب [٤] (جنوب شرق الجزائر اليوم)، واشتهروا بعدم معرفتهم بالحرث أو التجارة، وكان اعتمادهم على الصيد والغارات [٥]، ولكن طائفة منهم كانت تتجه في فصلي الربيع والصيف من كل عام صوب شمال المنطقة المذكورة للصيد ورعي المواشي، وجمع الحبوب، وممارسة الفروسية كهواية عربية أو كتدريب عسكري لصد الغارات التي قد يقوم بها آخرون عليهم خاصة تلك القبائل التي تسكن في أطراف البلاد، ولكنهم كانوا يعودون إلى مواطنهم عند حلول فصل الخريف.[٦]

---

[١] ابن الأحمر، **روضة النسرين**، مصدر سابق، ص ٥٥.

[٢] عبد الله كنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط٣، ج١، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م، ص ١٩٣.

[٣] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ٢٣.

[٤] المصدر ذاته، ص ٢٥. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج ٧، ص ١٩٧. مصطفى أبو ضيف احمد، **أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين**، ط١، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٢م، ص ١٦١م. والمنطقة المذكورة هي ما يعرف بالمغرب الأوسط (الجزائر اليوم).

[٥] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ٢٥.

[٦] المصدر ذاته، ص ص ٢٥-٢٦.

Scanned by CamScanner

ثالثاً : دخولهم المغرب الأقصى وقيام الدولة المرينية:

في عام ٦١٠هـ/١٢١٣م توغلت طائفة من المرينيين في أرض المغرب الأقصى ولاحظوا ضعف الموحدين، وعجزهم عن حماية البلاد، بسبب خسارتهم في موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ/١٢١٢م [١]، وقد تأزم موقف الموحدين أيضاً على إثر وفاة الخليفة الناصر عام ٦١٠هـ/١٢١٣م، فقد تولى ابنه يوسف المستنصر الحكم من بعده وكان المستنصر صغيراً لم يبلغ الحلم بعد، فصرف همه إلى اللهو والفساد وترك الحكم في البلاد لأقاربه [٢]، فكان لذلك الأثر الواضح في ضعف الدولة الموحدية " فضاعت الثغور، وضعفت الحامية، وتهاونوا بأمرهم، وفشلت ريحهم" [٣]. ويبدو أن هذا الضعف شجع المرينيين على الزحف صوب المغرب الأقصى غير عابئين بالسلطة الموحدية هناك.

وفي عام ٦١٣هـ/١٢١٦م، ظهر بنو مرين جهة مدينة فاس، وتغلبوا على واليها أبي إبراهيم إسحاق بن يوسف بن عبد المؤمن، ثم زحفوا شمالاً مكتسحين البلاد [٤]، حتى وصلوا منطقة الريف حيث دارت بينهم وبين جيش الموحدين معركة شديدة انتصر فيها المرينيون [٥]، وقد سمي عام النصر هذا بعام المشعلة.[٦]

يبدو أن النصر المريني هذا كان النواة لظهور بني مرين على المسرح السياسي في بلاد المغرب الأقصى، والدليل على ذلك هو تشجع بني مرين على خوض صراع عسكري مستمر بعد ذلك ضد الموحدين انتهى بتمكن يعقوب بن عبد الحق من الاستيلاء على مدينة مراكش

---

[١] هي إحدى المعارك الحاسمة بين الموحدين ونصارى الأندلس، وانتهت بهزيمة الموحدين وبالتالي تراجع قوة دولتهم، وسماها العرب بالعقاب نسبة لحصن أموي قديم هناك. انظر : ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ٢٤. وأيضا : ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٢٨٢.

[٢] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ٢٤. وأيضاً ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٢٨٣. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ١٩٨.

[٣] ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ١٩٨.

[٤] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ص ٢٧-٢٨.

[٥] المصدر ذاته. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٠٠.

[٦] المشعلة : نبات سمي به عام ٦١٣هـ/١٢١٦م، لأن مهزومي الموحدين كانوا يخصفون عليهم من ورقه أثناء وصولهم فاس فارين أمام بني مرين. انظر : ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ٢٨. وأيضاً ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٢٨٣. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٠٠.

Scanned by CamScanner

عاصمة الموحدين عام ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وبسقوطها حلّ المرينيون محل الموحدين في حكم المغرب الأقصى.[١]

ونحن هنا لن نخوض في تفاصيل الصراع العسكري والسياسي بين المرينيين والموحدين ولكن لابد من عرض مختصر نبين فيه أسباب الانحلال عند الموحدين وأسباب الاندفاع عند المرينيين.

أولاً : أسباب الضعف والانحلال عند الموحدين :

نستطيع القول أن ثمة أسبابا أدت إلى سقوط الدولة الموحدية، ومن أهمها :

١-سقوط المدن الأندلسية بيد الإسبان، وعدم قدرة الموحدين على الدفاع عنها بسبب الضعف الذي حل بهم بعد موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م.[٢]

٢-ضعف الحكومة الموحدية في المغرب الأقصى من بداية سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م، حيث انحسر نفوذ السلطة الموحدية في المدن دون البوادي وأدى ذلك لاشتعال الثورات في جهات كثيرة في المغرب، وانعدام الأمن في الطرقات، وامتنع عامة الشعب عن أداء الضرائب[٣].

٣-ضعف السلطة المركزية حيث أصبح الأمر بيد أشياخ الموحدين الذين تلاعبوا بالخلفاء الموحدين يقتلون أو يعزلون أو يعينون منهم من يشاءون.[٤]

٤-الغلاء والمجاعات التي اجتاحت المغرب والأندلس سنوات طويلة.[٥]

٥-إهمال الأمراء الموحدين لشؤون دولتهم واعتكافهم في قصورهم، واهتمامهم باللهو وسماع الأغاني، وازدياد ظلمهم وتسلطهم على الضعفاء، وانتشار الفساد في أرجاء الدولة.[٦]

٦- وأدت الأسباب السابقة إلى ضعف لدولة الموحدية وعدم قدرتها السيطرة على أرجاء دولتها، إلى أن جاء دور القبائل العربية في المغرب ليجهض على ما تبقى لدولة الموحدين

---

[١] عبد الواحد بن علي المراكشي (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، ١٩٤٩م، ص ٣٣٦.

[٢] محمد المنوني، **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط٢، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، ١٩٩٦م، ص ١١.

[٣] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ص ٣٥-٣٦.

[٤] المصدر ذاته، ص ٢٩، ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ص ٢٥٨-٢٥٩.

[٥] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ٣٦.

[٦] المصدر ذاته : مراجع عقيلة الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، ط٢، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، ١٩٨١، ص ص ٢٣٨-٢٤٠.

٥٢٨٥٦٦

Scanned by CamScanner

من قوة، فعندما كانت هذه الدولة قوية استطاعت أن تفرض هيبتها على القبائل العربية والبربرية خاصة تلك التي كانت تحاول إثارة القلاقل وإشاعة الفوضى بالمغرب الأوسط مثل قبائل بني هلال وبني سليم في عهد عبد المؤمن.[١]

عندما بدأت بوادر الضعف والانحلال في جسم الدولة تحركت القبائل وساهمت في هذا الضعف، فقد قطعت الطرق وهاجمت المدن والقرى، وجمعت الإتاوات من أهل القرى والمدن التي وقعت تحت سطوتها، وهكذا أسهمت هذه القبائل في إثارة الفتنة وإشاعة الفوضى في وجه دولة الموحدين وخاصة بعد الهزيمة في معركة العقاب.

نتج عن هذه الفوضى التي تسببت فيها تلك القبائل انعدام الأمن مما أدى إلى تعطيل الحركة التجارية وخاصة تجارة القوافل، وتدهور الصناعة، وتوقف الزراعة، مما جعل الدولة تشهد تدهورا اقتصاديا أضر بالمصالح العامة للدولة في المغرب والأندلس.[٢]

ويبدو أن هذه الأسباب جعلت المرينيين يتحينون الفرصة للاستيلاء على حكم المغرب الأقصى.[٣]

وبالمقابل كانت هناك عدة عوامل ساعدت على قيام الدولة المرينية نذكر منها :

١- **العامل الاقتصادي** : ذكرنا أن بني مرين قبل حكمهم لبلاد المغرب الأقصى كانوا قبائل متنقلة غير مستقرة تسير وراء الكلأ والماء[٤]، فلما بدأت دولة الموحدين بالضعف تحرك بنو مرين من موطنهم إلى النواحي الخصبة من المغرب الأقصى، وأخذوا بالإغارة على المدن والقرى وسلب الناس أموالهم فأقلقوا الأمن وأشاعوا الفوضى [٥]، وقطعوا طرق القوافل التجارية، وتسربوا إلى شرق المغرب الأقصى للتمتع بخيراته لحل أزمتهم الاقتصادية.[٦]

---

[١] الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

[٢] المرجع ذاته، ص ص ٢٦٣-٢٦٥.

[٣] للمزيد عن أسباب سقوط الدولة الموحدية، انظر : علي الصلابي، **دولة الموحدين**، دار البيارق للنشر، عمان، ١٩٩٨م، ص ص٢٢٠-٢٣٠. الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

[٤] أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي (ت ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧م) ، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، ج٣، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ص ٤٠٣. محمد عبد الله عنان، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، ط١، ق١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤م، ص ٣٣٤. الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، مرجع سابق، ص ٢٦٥.

[٥] المرجع ذاته، ص ٢٦٧.

[٦] إبراهيم علي حسن، **السلطان أبو الحسن علي المريني**، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص ١٥.

Scanned by CamScanner

٢- **العامل القبلي** : تحالفت بعض القبائل العربية مع بعض القبائل البربرية وأخذت جميعها تعمل على التحالف بإيعاز من بعض زعماء الدولة، والذين كانوا يتنافسون من أجل السلطان (الحكم)، ومن أمثلة ذلك : تحالف قبيلة الخلط العربية مع قبيلة هكسورة التي هي من قبائل مصمودة عصب دولة الموحدين، ولكن بعد سوء أحوال الموحدين تطلع زعماء هاتين القبيلتين إلى النفوذ والسلطان، وأخذتا تعملان معا لإثارة القلاقل والفتن في وجه الخلفاء الموحدين.[١] أما العامل السياسي [٢] فيرجع إلى انحلال دولة الموحدين، وقد سبقت الإشارة إليه.

رابعاً : أهمية بني مرين السياسية والحضارية في تاريخ المغرب الأقصى :

كان لظهور بني مرين في مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي دور هام على صعيد العلاقات السياسية في المغرب العربي بشكل عام، وكان لهم أهمية على الصعيد الحضاري في المغرب الإسلامي بشكل عام والمغرب الأقصى بشكل خاص.

تتجلى الأهمية السياسية لدولة بني مرين في محاولة سلاطينها توحيد بلاد المغرب، ولعل جهود السلطان أبي الحسن المريني في هذا المجال دليل على ما نقول[٣]. فقد كان توحيد أجزاء المغرب العربي أحد المحاور السياسية التي اتبعها هذا السلطان لبناء دولته. وأول خطوة في اتجاه توحيد المغرب العربي كانت استيلاءه على سجلماسة ثم دولة بني عبد الواد ثم الدولة الحفصية كما سنرى.

أ- الاستيلاء على سجلماسة :

كانت سجلماسة تحت سيطرة الأمير عمر أخ السلطان أبي الحسن وقد أسرع الأول

---

[١] ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٦، ص ص ٥٢٨-٥٢٩. الغناي، **سقوط دولة الموحدين**، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

[٢] إبراهيم حركات، " معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين" ، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد الثاني، ١٩٩٧م، ص ٢٠٨.

[٣] انظر الخارطة رقم (١) خارطة الدولة المرينية في ظل حكم السلطان أبي الحسن المريني.

Scanned by CamScanner

بالاتجاه صوب درعة [١]، وبعدها تقدم صوب مراكش مما أغضب السلطان أبا الحسن فقرر معاقبته، ورغم أن سلطان تلمسان أبا تاشفين حاول إنقاذ حليفه عمر، إلا أن القوات المرينية التي كانت متمركزة في تاوريرت [٢]، قد صدت الهجوم الزياني، وتمكنت من اقتحام سجلماسة وذلك بعد سنة كاملة من الحصار، ودخلها السلطان أبو الحسن في ٧٣٣هـ/١٣٣٢م [٣].

وبدخول سجلماسة يكون السلطان أبو الحسن قد وضع يده على أول مرحلة في توحيد أجزاء المغرب العربي بعد أن كانت سجلماسة مستقلة ولمدة تقارب العشرين سنة، عن الدولة المرينية في المغرب الأقصى قبل أن يضمها من جديد السلطان أبو الحسن المريني.

ب - الاستيلاء على دولة بني عبد الواد في تلمسان:

تميزت العلاقات بين الدولة المرينية ودولة بني عبد الواد في تلمسان بالتوتر الدائم منذ قيام الأخيرة في تلمسان في سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م، ويبدو أن سبب التوتر هذا هو نيات التوسع التي كانت مسيطرة على زعماء الدولتين، لذا فقد وقع العديد من الحروب بينهما، ونحن هنا لسنا بصدد التوسع في متابعة العلاقات بين الطرفين بقدر ما يهمنا الإشارة إلى أن عداءً قديماً كان قائما بينهما. وبلغ العداء القديم ذروته عندما أصبحت تلمسان مقرا للهاربين من طاعة المرينيين، بل إن حكام تلمسان قد أذكوا في نفوس بعضهم حب الثورة والتمرد على الدولة المرينية.

---

[١] كانت درعة إحدى المدن التجارية الهامة، وتقع جهة سجلماسة، وقد اشتهرت بواديها الذي يجري فيه نهر يصب من المشرق إلى المغرب وينبعث من جبل درن (الأطلس). انظر: محمد عبد المنعم الحميري (ت ٧١٠ هـ/ ١٣١٠ م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٧٥، ص ٢٣٥.

[٢] هي إحدى المدن القديمة التي بناها الأفارقة فوق نهر مرتفع على نهر زاع، وكانت تقع بين دولة بني مرين ودولة بني عبد الواد الذين تعاقبوا على حكمها عشر سنوات في خمسين سنة حتى خربت سنة ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨م، للمزيد انظر : الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت ٩٥٦ هـ/ ١٥٤٩م)، وصف أفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، ١٩٨٣، ص ص ٣٤٩-٣٥٠.

[٣] ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٣٠١ - ٣٠٢.

Scanned by CamScanner

ووسط اشتداد التنافس والصراع السياسي والعسكري بين المرينيين وبني عبد الواد أمر السلطان أبو الحسن أسطوله البحري بالتوجه إلى بجاية التي كانت تحت الحكم الحفصي وذلك لمضايقة بني عبد الواد الذين كان جيشهم متمركزاً قربها، بعد أن عقد قيادته للقائد محمد البطوي، وتحرك هو سنة ٧٣٥هـ/١٣٣٤م إلى تلمسان مفتتحاً وجدة وندرومة وهنين وتاسالة ووهران، ومنها توجه إلى تلمسان حيث أعاد بناء المنصورة التي دمرها بنو عبد الواد [١]، وصنع أبراجاً متدرجة للتقرب من أسوار العاصمة كي يسهل على جنده مهمة الوصول إليها، كما استخدم المجانيق لدكها حتى دخلت القوات المرينية إلى تلمسان عنوة سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م بعد حصار دام سنتين.[٢]

ج- الاستيلاء على تونس :

تميزت العلاقات بين الدولة المرينية وبني حفص في تونس على العموم بالود والتفاهم، ويبدو أن أسباب ذلك عديدة لعل أبرزها ذلك الخطر المستمر على الدولتين من قبل بني عبد الواد حكام المغرب الأوسط، واتسمت هذه العلاقة بحرص كل من الدولتين على مساندة الأخرى لإضعاف بني عبد الواد.

ولكن العلاقات المرينية الحفصية سادها التوتر بعد وفاة السلطان الحفصي أبي بكر سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م [٣]. وسبب ذلك يرجع إلى مؤامرة الأمير عمر بن السلطان الحفصي الذي أعلن

---

[١] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ص ٢٨٦-٢٨٧. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٣٠٤. عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو الزياني- حياته وآثاره**، ط٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢، ص ٢١.

[٢] ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٣٠٥.

[٣] أبو العباس أحمد الخطيب بن قنفذ القسنطيني (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م)، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النفير وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م، ص ص ١٦٩-١٩٧٠. أحمد بن أبي الضياف (ت ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م)، **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، ج١، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦، ص ٢٢٠.

Scanned by CamScanner

البيعة لنفسه وتجاهل أخاه ولي العهد، ثم قتل أخاه الأخر في العاصمة (تونس)، ولقب نفسه بالناصر.[١]

عندما علم ولي العهد الحفصي بما حصل بعد وفاة أبيه عمل في شعبان من السنة نفسها على استرداد مركزه، وقبل اشتباك القوتين هرب الوزير الحفصي ابن تافراجين إلى المغرب [٢]، وتخلى عن الأمير ولحق القسم الأكبر من قوات الأمير عمر بأخيه أحمد ولي العهد، فشعر الأمير بعدم القدرة على المواجهة مما دفعه للهروب إلى مدينة باجة، ودخل الأمير أحمد إلى العاصمة وأعلن نفسه سلطاناً على البلاد، ثم فوجئ بعد أيام من دخوله العاصمة بعودة الأمير عمر الذي سيطر على العاصمة وقتل أخاه وعدداً من المقربين منه، ونصب نفسه مكانه سلطاناً على البلاد. [٣]

إن هذه الاضطرابات السياسية الداخلية الحفصية هيأت الفرصة الثمينة المناسبة لتحقيق حلم السلطان أبي الحسن في ضم دولة بني حفص إلى دولته، إضافة إلى تحريض الوزير ابن تافراجين الهارب إلى المغرب الأقصى، وتشجيعه للسلطان أبي الحسن على ضمها، وكان ابن تافراجين شاهداً على البيعة للأمير أحمد، وعندما اغتصب الأمير عمر الولاية من أخيه أحمد وقتله عدّ ذلك إساءة له، لذا فكر في الانتقام من الأمير وضم دولة بني حفص للمرينيين.

انطلق الجيش المريني في صفر ٧٤٨هـ/ أيار ١٣٤٧م، ودخل مدينة بجاية ومدينة قسنطينة، وفي باجة تسلم رأس الأمير عمرالحفصي، وتمت السيطرة على الشخصيات السياسية

---

[١] أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي الزركشي (ت ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م)، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، ط٢، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م، ص ٨٠. محمد بن محمد السراج الأندلسي (ت ١١٤٩ هـ/ ١٧٣٦ م)، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ق٤، ج١، الدار التونسية للنشر(د. ت.)، ص ١٠٥٢.

[٢] هو أبو محمد عبد الله بن تافراجين، وكان هذا الوزير سبباً في الفتنة بين أولاد السلطان أبي بكر الحفصي، فقد أعلن البيعة للأمير عمر مباشرة وقبل دفن والده، بينما كان السلطان قد منحها لولده أحمد، انظر : ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٣١٧-٣١٨. ابن قنفذ : **الفارسية**، مصدر سابق، ص ص ١٦٨-١٦٩. الزركشي، **تاريخ الدولتين**، مصدر سابق، ص ص ٦٨، ٧٣، ١٠١. محمد بن أبي القاسم ابن أبي دينار القيرواني (ت ١١١٠ هـ/ ١٦٩٨م)، **المؤنس في ذكر بلاد افريقية وتونس**، ط٣، دار المسيرة للصحافة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ١٦٧.

[٣] الزركشي، **تاريخ الدولتين**، مصدر سابق، ص ٨١.

Scanned by CamScanner

البارزة في الدولة الحفصية، ثم دخل الجيش المريني العاصمة تونس سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، في موكب رسمي واستقبل السلطان المريني بالحفاوة والتكريم.[١]

رغم أن أحد المؤرخين المحدثين وصف المرينيين بالغزاة[٢]، إلا أن هذه الخطوة كانت هامة في مسعى أبي الحسن لتوحيد أجزاء المغرب العربي، وهو حلم طالما راود السلطان أبا الحسن المريني الذي كان يرى نفسه وارثا لتركة الموحدين سياسياً، وهي توحيد كل بلاد المغرب وربما الأندلس أيضا تحت رايته.

وهكذا تمكنت الدولة المرينية من أن تعيد للمغرب العربي وحدته ولو لفترة قصيرة فكانت حدودها تمتد من مصراته [٣] شرقا إلى السوس الأقصى غربا ثم إلى رندة في الأندلس. وذكر ابن مرزوق أن دولة أبي الحسن امتدت من : " آخر المعمور بالمغرب إلى حدود برقة" [٤].

خامساً : الحياة السياسة والاقتصادية والاجتماعية :

أ- **الحياة السياسية** : يتألف جهاز الحكم عند المرينيين من أركان أو عناصر يمكننا حصرها فيما يلي :

١- السلاطين، حكموا بطريقة فردية ووراثية، ولقبوا أنفسهم في بداية أمرهم بأمراء المسلمين[٥]، وبقى الأمر كذلك حتى عهد السلطان أبي عنان الذي تسمى بأمير المؤمنين، ثم أطلق هذا اللقب على من جاء بعده من أمراء المرينيين. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله : " ثم نزع المتأخرون منهم إلى اللقب بأمير المؤمنين وانتحلوه لهذا العهد..." [٦].

---

[١] الزركشي، **تاريخ الدولتين**، ص ص ٨١-٨٢. ابن قنفذ، **الفارسية**، مصدر سابق، ص ص ١٦٩-١٧٠.

[2] Laroui Abdallah, **The History of the Maghrib an interpretive essay**. Translated from the French by Ralph Manneim, Casablanca, 1977. P.79.

[٣] هي الآن مدينة ليبية وتقع على ساحل البحر المتوسط، وتبعد عن طرابلس الغرب زهاء ٢٠٠ كم ، انظر : الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج٢، ص ١١١.

[٤] **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٤٧.

[٥] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ١١٨.

[٦] عبد الرحمن بن محمد خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م)، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط٣، ج٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٦٤٥.

Scanned by CamScanner

ومن أبرز اختصاصات أمير المسلمين : قيادة الجيش والإشراف على تجهيزه وتسليحه[١]، بالإضافة إلى قيامه بأعمال أخرى كاعتنائه بتجهيز الركوبات لمن أراد أداء الحج والعمرة.[٢]

٢- ولاية العهد : كان الكثيرون من سلاطين بني مرين يلقبون أبناءهم بألقاب الإمارة ويجلسونهم مع الخاصة والكتاب ليمارسوا شؤون الحكم قبل التولية.[٣]

وكان لولاية العهد في العهد المريني بيعتان :

أ- بيعة خاصة : تؤخذ من أبناء الأسرة الحاكمة وأشياخ بني مرين.

ب- بيعة عامة: تؤخذ من بني مرين والقبائل الموالية والعرب والعساكر والحاشية والموالي والصناع والعلماء ونقباء الناس وخاصتهم وعامتهم.[٤]

وإلى جانب السلاطين هناك عدد من الموظفين البارزين الذين يساعدونهم في إدارة شؤون البلاد وهم جميعاً يؤلفون الفئة أو الطبقة العليا في الدولة :

١- الوزير : وكان من اختصاصاته رئاسة الجيش والحرب إذا عهد إليه السلطان بذلك، وكذلك المحافظة على الأمن [٥]، والنظر في شؤون الولاة والجبايات، ورفع الشكاوي للسلطان ومباشرة الحكم في بعضها.[٦]

٢-صاحب الشرطة العليا : ويسمى " المزوار"، وهو رئيس الجند المتصرفين بباب السلطان في تنفيذ أوامره وعقوباته وحفظ المعتقلين في سجونه، ويقوم أيضاً بتنظيم المقابلات السلطانية.[٧]

٣-صاحب الأشغال : وهو الذي يتولى أمر الجباية والخراج وديوان الجيش.[٨]

---

[١] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٣٨٨.

[٢] المصدر ذاته، ص ص ٣٨٣، ٣٨٥.

[٣] صالح محمد فياض أبو دياك، المواكب والرسوم السلطانية للدولة المرينية في المغرب الإسلامي، **مجلة المنهل**، مج ٣٥، العدد ٤٩٤، دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢م، ص ٢٧.

[٤] أبو دياك، المواكب والرسوم السلطانية للدولة المرينية في المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص ٦٧.

[٥] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ج٢، طبعة دار نهضة مصر، ص ٦٦٥.

[٦] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٣٦٢.

[٧] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ج٢، طبعة دار النهضة، مصر، ص ٦٨٨. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٨٣.

[٨] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار النهضة، مصر، ج٢، ص ٦٧٨.

Scanned by CamScanner

١-صاحب العلامة : وهو الذي يكتب بخط يده نيابة عن السلطان علامته (السلطان) على المراسيم.[١]

بالإضافة إلى ما سبق كان هناك موظفون سامون يُساعدون السلطان في شؤون الحكم والإدارة، مثل : القاضي ؛ والذي كان من اختصاصاته الفصل بين الخصوم، والنظر في أموال المحجور عليهم على اختلاف أصنافهم، وينظر في وصايا المسلمين وأوقافهم، وتصفح الشهود ليحصل له الوثوق بهم، وكان يباشر التعازير ويقيم الحدود في الجرائم الثابتة، وكان للقاضي الحق في مراقبة صاحب الشرطة والمحتسب.[٢]

كانت أحكام القضاة تصدر وفق المذهب المالكي، فقد منع الأمراء المرينيون أخذ الرخص والفتاوى من المذاهب الأخرى واشترطوا أن تكون مأخوذة فقط من المذهب المالكي لاهتمامهم بتوحيد المذهب في بلادهم.[٣] بالإضافة إلى القاضي كان هناك قائد الأساطيل والمشرف على الحسبة وناظر الأخبار وصاحب السقيف وأمانة دار السكة المركزية.[٤]

لا بد من الإشارة هنا إلى نظام الدولة العسكري حيث كان الجيش المريني يتكون من جنود نظاميين تشملهم الفرق التالية : بنو مرين، وقبائل كثيرة من العرب المستقرين بالمغرب، والغز الذين ينتمون إلى جماعات الأتراك والمصريين الذين كانوا قد دخلوا شمالي إفريقيا على عهد الموحدين، والأندلسيين. وإلى جانب الجند النظامي يوجد حرس خاص يتكون من : الوصفان والأعلاج والعدويين والروم القشتاليين.[٥]

---

[١] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٩٥.

[٢] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م)، **مقدمة ابن خلدون**، مؤسسة الأعلى للمنشورات بيروت، لبنان، (د. ت.) ص ص ٢٢١-٢٢٢.

[٣] كنون، **النبوغ المغربي**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٤. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٨٩.

[٤] لمزيد من التفاصيل عن الحياة السياسية في العهد المريني، انظر : محمد المنوني، حضارة المرينيين، مرجع سابق، ص ص ٨١-٩٥. محمد المنوني، نظم الدولة المرينية، **مجلة البحث العلمي**، العدد ٢، المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٤م، ص ص ٢٠٤-٢١٤. إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ط٢، ج٢، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م، ص ص ٩٩-١٢٢.

[٥] ويعرف المنوني الوصفان بأنهم مماليك يسكنون حوالي القصر السلطاني، والأعلاج بأنهم مماليك مسلمون مقدار الواحد منهم ٥٠٠ من الفرسان الرماة، والعدويون بأنهم الذين ينفذون الأوامر السلطانية إلى الجهات القريبة والبعيدة أما الروم القشتاليون فيعرفهم بأنهم الذين يتولون حراسة القصر المريني ليلا.
المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٩٩-١٠٠.

Scanned by CamScanner

وكان هناك جيش بحري للمرينيين حيث كان الأسطول المريني يشكل مجموعة قطع موزعة على موانئ الدولة في سبتة وسلا وطنجة وأنفا وبادس.[١]

ب : الحياة الاقتصادية :

شهد العهد المريني نشاطا اقتصاديا كان على ما يبدو استمرارا للنهضة الاقتصادية التي عرفها عصر الموحدين، . فقد ثبت أن هؤلاء اعتنوا بالعديد من الصناعات مثل صناعة التعدين والإنتاج " الميكانيكي" والفني والصناعات الخشبية وغيرها،[٢] كما اعتنوا بالزراعة وخاصة غرس الأشجار المثمرة مثل الزيتون، وكانت للمغرب الأقصى موانئ مهمة مثل الرباط وطنجة حيث كان لهذه الموانئ دور كبير في نشاط التجارة الخارجية للمغرب الأقصى، فقد كانت طنجة تصدر الصوف والجلود والفواكه المجففة والعسل بينما تستورد الثياب والأسلحة والخردوات.[٣] وقد استمر هذا النشاط الاقتصادي خلال العهد المريني أيضا إذ وجدت العديد من المهن التقليدية التي استقطبت الكثير من الأيدي العاملة مثل صناعة الخزف وصناعة الحلى والنسيج والدباغة.[٤]

ومما يلفت الانتباه ونحن نتحدث عن الصناعة في العهد المريني أن المرينيين قاوموا الغش في الصناعات. فقد خصّ المرينيون أهل الذمة بصناعات معينة لما عرف عنهم من غش في الصناعات ومنعوا من الاشتغال بغيرها كما حصل في عهد السلطان أبي الحسن[٥]: ويبدو أن هذا الإجراء من قبل المرينيين يأتي من قبيل حرصهم على ازدهار صناعتهم لتكون مميزة بجودتها، ولإبعاد الشوائب عنها حتى لا تفقد الثقة بالصناعات المرينية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي.

---

[١] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٣٣١.

[٢] عبد الملك بن محمد ابن صاحب الصلاة (ت ٥٩٤ هـ / ١١٩٧ م)، **المن بالأمامة: تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**. تحقيق عبد الهادي التازي، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ١٩٨٧، ص ٥٢. عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ط١، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٣٢.

[٣] حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ص ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

[٤] إبراهيم حركات، " الحياة الاقتصادية في العصر المريني"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، الرباط، العدد الثالث، ١٩٧٨، ص ١٤٠.

[٥] علي بن يوسف الحكيم الكومي (ت بعد ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)، **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق حسين مؤنس، ط١، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٠م، ص ص ١٧٧-١٧٨.

Scanned by CamScanner

أما الزراعة فقد تنوعت في هذا العهد إذ يشير المؤرخون إلى زراعة قصب السكر الذي كان يزرع في جهات عديدة مثل سبته وغيرها من المواطن[١]. بالإضافة إلى الكتان الذي كان يزرع بفاس وسلا، والأخيرة كان يزرع فيها القطن أيضا [٢]، ويبدو أن الزراعة على العموم كانت رغم تعرض الأرياف للفتن تتميز بالوفرة والتنوع كما سجله بعض المعاصرين مثل ابن خلدون وابن قنفذ القسنطيني.[٣]

نشطت التجارة أيضا مع الخارج كما كان هو الحال في عصر الموحدين، حيث كان ميناء سبته يجتذب سفن البندقية وجنوة ومرسيليا وغيرها فكانت البضائع تشحن من هذه الموانئ إلى المغرب ومن هذه البضائع : المنسوجات والسلاح والثوب والكتان، وكانوا يصدرون من سبته الصوف والقطن والخيل والجلود والغنم وغيرها.[٤]

بهذا العرض المختصر لبعض الأنشطة الاقتصادية في العهد المريني نلحظ بأن هذا النشاط الاقتصادي كان سببا في تعدد الموارد المالية للمرينيين مثل الزكاة والخراج والمكوس والجزية وغيرها من الضرائب، مما انعكس أثره في نشاط التعليم كما سنرى، وأتاح توفر العديد من الموارد المالية للإنفاق على المؤسسات التعليمية من حيث البناء أو عطاءات المدرسين أو منح المتعلمين أو الصيانة لهذه المؤسسات.

ج- الحياة الاجتماعية :

بالإضافة إلى النواحي السياسية والاقتصادية للدولة المرينية نريد أن نذكر بعض النواحي الاجتماعية لهذا العهد، وبداية نود أن نشير إلى الفئات التي كان يتكون منها المجتمع المريني، حيث كانت عناصر المجتمع تتكون من مختلف عناصر البربر والعرب القادمين من الأندلس والقبائل العربية التي تم ترحيلها من إفريقية في أواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي على يد الموحدين، وظل المصامدة يكونون العنصر الأكبر الذي كان يشغل مساحة

---

[١] محمد بن القاسم الأنصاري السبتي (كان حيا في سنة ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م)، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٩، ص ٢١.

[٢] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ١٤٨.

[٣] انظر : المرجع ذاته، ص ١٤٨.

[٤] حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ج٢، ص ١٢٩.

Scanned by CamScanner

واسعة من المغرب [١]، إذ نلاحظ هنا أن عناصر السكان في العهد المريني استقرت على ما كان عليه تقريباً في عهد الموحدين [٢].

وكان المجتمع المريني يتكون من عدة فئات منها :

١- الحكام ومن في حكمهم : وقد عالجنا دورهم في الفقرة الخاصة بالحياة السياسية.[٣]

٢- فئة العلماء : وقد تناولنا ذلك في مكان آخر من الرسالة.[٤]

٣- فئة التجار : وكان هؤلاء يشكلون طبقة غنية في المجتمع المريني، ومن دلائل ذلك أن بعضهم كان يشتري البضاعة من التجار الأوربيين المستوطنين في بعض المدن مثل مليلة وبادس وسبتة، ويقومون ببيعها للأسر الغنية في المدن المغربية الكبرى مثل فاس، وكان هؤلاء التجار يوفرون المال اللازم للحج،[٥]، وكانوا يدفعون الضرائب للدولة.[٦]

٤- أصحاب الحرف : كالصناع والجزارين، والدباغين، والنجارين[٧]، والحاكة، والدرازين.[٨]

٥- الفلاحون : ويعمل هؤلاء في الأراضي الزراعية في الأرياف، وكانوا يتوجهون في نهاية كل موسم إلى المدينة عندما يكون سعر الناتج جيداً، أما إذا كان غير ذلك فإنهم يؤجلونه لموسم أفضل [٩]،وهذا يدلنا على أن بعضاً من هؤلاء الفلاحين كانوا ملاكين للأراضي حتى استطاعوا التصرف بناتج الأرض، ومن الأدلة على ذلك ما ذكره أحد المؤرخين المعاصرين من أن السلطان أبا الحسن المريني قام بتوزيع قطع أراضيه على الأيتام من سائر القبائل : "يستغنون به عن التكفف والعالة" [١٠]

---

[١] حركات، معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين، مرجع سابق، ص ٢١٤.

[٢] حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ج١، ص ١٢٣.

[٣] انظر سابقاً : الحياة السياسية.

[٤] انظر : الفصل الثالث :" تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع".

[٥] روجيه لوتورنو، **فاس في عصر بني مرين**، ترجمة نقولا زيادة، نشر مؤسسة فرنكلين، بيروت، نيويورك، ١٩٦٧م، ص ١٥٩.

[٦] المرجع ذاته، ص ٨٥.

[٧] المرجع ذاته، ص ص ١٢٩-١٣٥.

[٨] المرجع ذاته، ص ١٣٢. روجي لوطورنو، **فاس قبل الحماية**، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص ٤٠٤.

[٩] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٥١.

[١٠] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٢٠.

Scanned by CamScanner

وتميز الفلاحون بالاستقرار ولم يعرف خلال العهد المريني أن هـاجر هـؤلاء بـأعداد كبيرة فيما إذا تعرض الموسم للجفاف بسبب عدم نزول المطر من جهة [١]، أو لأسـباب طارئـة كمرض الطاعون الذي أصاب بلاد إفريقية سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، والذي كان كمـا ذكـر ابـن خلدون كارثة كبيرة : "طوت البساط وما فيه " [٢]، إذ لا شك أنه أثر على الأراضي الزراعية مـن حيث عدد العمال فيها بسبب الوفيات وقد انعكس ذلك فيما يبدو علـى نـاتج الأرض، كمـا أن الحروب والفتن قد أثرت على استقرار الفلاحين والإنتاج الفلاحي.

٦- نقابة الأشراف : وقد اهتم السلاطين المرينيون بهؤلاء وتدلنا المصادر على أن السـلطان أبا الحسن المريني قد بالغ في الإحسان إليهم [٣]، وكان لهؤلاء الأشراف نقيب ينظر في شـؤونهم، ويمنعهم من الكسب الحرام، ويدعوهم لنصرة الدين وحمايته.[٤]

٧- عامة الناس : وهم من لم يدخل في أي صنف من الأصناف المذكورة.

تشكل الأسرة عنصراً هاماً في البنية الاجتماعية للعهد المريني الذي ندرسه، ولكن الحيـاة الأسرية لم تكن متشابهة، فكل وسط اجتماعي له حياة خاصة، وداخل كل بيئة اجتماعية تختلـف التقاليد الخاصة من أسرة لأخرى، وقد لعبت المرأة دوراً رئيسياً في المسؤولية العائليـة، فـهي تشرف على شؤون بيتها وتعليم أبنائها بينما يقوم الزوج بالعمل لتأمين حاجات المنزل اليومية.[٥]

ومن المظاهر الاجتماعية التي تتعلق بالحياة العامة تعدد الاحتفالات في العهد المرينـي، احتفالات الزواج التي كانت من أهم المناسبات العائلية [٦]، وتعدد الألعاب مثل المصارعـة بيـن الأسود والثيران، بالإضافة إلى العناية بالرماية والسباق، وهذا ربما نعـدّه داخـلاً أيضـاً فـي المنظومة التربوية. وانتشرت عادة الغناء واللهو في المجتمـع المرينـي وشـاعت الموشـحات الأندلسية، كما انتشر الزجل والشعر الشعبي.[٧]

---

[١] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٥١.

[٢] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ج١، طبعة دار نهضة مصر، ص ٥٠.

[٣] الجزنائي، **زهرة الأس**، مصدر سابق، ص ٢٩.

[٤] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٨٦.

[٥] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ص ١٠٤-١٠٥.

[٦] المرجع ذاته، ص ١٠١.

[٧] حركات، **المغرب عبر التاريخ**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ١٢٦-١٢٧.

Scanned by CamScanner

لعل ما تناولناه من جوانب سياسة في هذا العهد وبعض المظاهر والاقتصادية والاجتماعية [١] التي برزت على عهد المرينيين قد جعل للدولة المرينية أهمية حضارية بارزة وهي التي كانت مدار اهتمام الباحثين الذين حاولوا إبرازها. ومن أهم ما ميز حضارة بني مرين هو النهضة العمرانية التي شهدها المغرب الأقصى في عهدهم، والتي كانت في حد ذاتها تعبيراً حيوياً عن أنشطتهم السياسية والعسكرية والعلمية والدينية، فهي ما تزال شاهدة على ما نقول، فالعهد المريني كان حافلاً بالإنجازات العمرانية، مما جعل أحد الباحثين المحدثين يصف عصر السلطان أبي الحسن المريني ربما في شيء من المبالغة، بأنه يمثل: " ذروة المجد والقوة والحضارة التي استطاع أن يصل إليها المرينيون".[٢]

تمثلت النهضة العمرانية هذه ببناء العديد من المدن، والقصور والأبراج والأسوار ودور الصناعة والقناطر والسقايات، ولعل من أهم ذلك العديد من المؤسسات التعليمية التي سنتناولها مثل : المدارس والزوايا والمساجد التي خدمت التعليم والثقافة إلى جانب وظيفتها في العبادة، والذي يهمنا هنا هو أن التعليم كان مظهراً حضارياً مميزاً في تاريخ هذه الدولة، فقد أجمع معظم المؤرخين على أن التعليم قد نشط في العهد المريني في المغرب الأقصى أكثر من أية فترة سابقة له، رغم النشاط العلمي الملحوظ الذي ساد عصر الموحدين. ورغم الانتقاد الذي وجه للحركة التعليمية المرينية في بعض نواحيها، إلا أننا سنرى أن مجرد ذكر أسماء المفكرين والكتاب الذين اشتهروا بما ألفوه من كتب في مختلف العلوم وتعدد المؤسسات التعليمية وانتشارها يبقى شاهداً على نشاط الحركة العلمية في هذا العهد.

لا بد هنا من ذكر بعض العوامل التي أسهمت في هذا النشاط العلمي الملحوظ وأهمها:

١-بناء المدارس، وإلحاق خزائن كتب ببعضها، والإنفاق على العلماء والمتعلمين.[٣]

٢-تقدير السلاطين المرينيين لرجال العلم، وعقدهم المجالس العلمية للمذاكرة والمناظرة.[٤]

٣-نشاط الحياة الاقتصادية في العهد المريني كما ذكرنا وهو الذي أسهم في تطور الحركة العلمية.

---

[١] للمزيد عن الحياة الاجتماعية، انظر : حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج٢، مرجع سابق، ص ص ١٢٣-١٢٩. وأيضاً : إبراهيم حركات، " الحياة الاجتماعية في عصر بني مرين"، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، العددان الخامس والسادس، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٧٩م، ص ص ٤٥-٥٥. وأيضاً : حركات، معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين، مرجع سابق، ص ص ٢٠٩ - ٢٣١.

[٢] عثمان عثمان إسماعيل، **تاريخ شالة الإسلامية**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م، ص ٢٩٥.

[٣] انظر لاحقاً حول المدارس والموارد المالية للمؤسسات التعليمية (الفصل الأول).

[٤] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ص ٢٥٨-١٦٩.

Scanned by CamScanner

٤-التخلص من القيود التي وضعها الموحدون في مناقشة المسائل الفقهية والكلامية ونحوها.

لا تعني العوامل السابقة أن الحركة العلمية في هذا العهد لم تتعرض إلى انتكاسات أحيانا مثل ذلك الطاعون الذي أصاب معظم مناطق العالم ابتداء من سنة ٧٤٧ هـ/ ١٣٤٦م، والذي انتقل إلى إفريقيا الشمالية عن طريق موانئ البحر المتوسط في الفترة ما بين ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م-٧٥٣ هـ/١٣٥٢م[١]، وقد نتج عنه وفاة العديد من العلماء[٢]، وهناك وصف دقيق لابن خلدون للطاعون قائلا إنه : "ذهب بالأعيان والصدور وجميع المشيخة...." [٣]، ونتج عنه أيضا هجرة عدد من العلماء من تونس إلى المغرب الأقصى، ويبدو أن سبب هجرة هؤلاء العلماء يعود إلى ما شاهدوه من السلاطين المرينيين، من دعم وتشجيع للعلماء خاصة وأن الحياة أصبحت صعبة بسبب مرض الطاعون، أو ربما خشية من الوشايات التي قد تضر بهم عند السلاطين الحفصيين الجدد بعد رحيل السلطان أبي الحسن المريني الذي قرب بعضهم.

استعرضنا باختصار قيام الدولة المرينية وأهميتها في تاريخ المغرب الأقصى خاصة والإسلامي عامة، إلا أن حكام [٤] دولة بني مرين الذين ذكرتهم المصادر التاريخية حينا بالسلاطين وحينا أخر بالأمراء، في حين أن بعضهم قد تلقب بلقب أمير المسلمين كالسلطان أبي عنان، الذي أطلق على نفسه هذا اللقب أثناء وجود والده في تونس وظن أن والده قد توفى بالوباء الذي اجتاح إفريقية عندئذ فكان عمله هذا (فيما زعموا) إنقاذا للدولة، وعندما تبين له أن والده بقي حيا لم يستطع التراجع عن إعلانه هذا والذي دل على أن طموحه لم يكن أقل من طموح أبيه في السيطرة على بعض الأقاليم كتونس [٥]. ومهما كان الأمر فإن لقب (أمير المسلمين) قد لاحظناه في بعض الوثائق الصادرة عن سلاطين المرينيين، مثل الوقفيات، والظاهر أن الكتاب استعملوا اللقب نفسه في مخاطبة السلاطين.

وعلى أية حال فإن الضعف قد بدأ يدب في أوصال الدولة عندما تسلم أمرها سلاطين ضعاف ففقدوا المغربين الأدنى والأوسط، كما استولى البرتغاليون على مدينة سبته سنة

---

[١] حسين عاصي، **ابن خلدون مؤرخا**، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٩٩١م، ص ١٥٣.

[٢] عن أسماء بعض هؤلاء العلماء انظر : محمد بن تاويت، **تاريخ سبتة**، ط١، دار الثقافة ، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م، ص ص ١٤٧-١٥٢. ومنهم بعض شيوخ ابن خلدون، كالأبلي، وعبد المهيمن الحضرمي.

[٣] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ج١، طبعة دار نهضة مصر، ص ٥٠.

[٤] انظر الجدول رقم (١) الذي يوضح أسماء حكام الدولة المرينية.

[٥] حسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، ط١، ج٢، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ٥٣.

Scanned by CamScanner

٨١٨هـ/١٤١٥م، وعلى جزء كبير من ساحل المغرب واحتلوا طنجة سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م [١]. وكان ذلك إيذاناً بنهاية هذه الدولة.

ولم يكن هذا العامل الخارجي هو الوحيد الذي كان سببا في انتهاء حكم بني مرين لبلاد المغرب الأقصى بل كان لاضطراب الأوضاع السياسية الداخلية الدور الكبير في ذلك حيث دخلت دولة بني مرين مرحلة النزاع بين الوزراء ورجال الدولة على الملك خاصة بعد انتهاء فترة حكم السلطان أبي عنان فارس المريني، ومما زاد الأمور سوءاً تمرد العرب وطمعهم في نواحي الدولة وجنوح بعض رؤساء القبائل إلى الاستقلال بنواحيهم [٢] مثل عرب رياح الذين استقلوا ببلاد الهبط في المنطقة الممتدة من قصور كتامة إلى ساحل المحيط والأثبج وبطونها من جشم وسفيان والخلط وبنو جابر والعاصم من بلاد تامسنا وتادلة في المنطقة المحصورة بين وادي أبي الرقراق جنوباً ووادي أم الربيع شمالاً، ثم عرب المعقل وبطونهم ذوي حسان وذوي منصور وذوي عبيد الله في المنطقة الممتدة جنوباً إلى وادي السوس ودرعة وسجلماسة. [٣]

كل الأسباب السابقة عجلت بسقوط الحكم المريني سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٤م، وعلى إثرها تشكلت حكومة محلية بفاس على يد أحد الشرفاء الأدارسة وهو الشريف أبو عبد الله محمد بن علي الإدريسي نقيب الأشراف بفاس، ولكن هذه الحكومة الإدريسية لم تدم سوى سبع سنوات، فقد أعلن محمد بن أبي زكرياء الوطاسي [٤] نفسه سلطانا على المغرب سنة ٨٧٦هـ/١٤٧٢م، مؤسساً بذلك الدولة الوطاسية. [٥]

يرى بعض المؤرخين أن بني وطاس فرقة من قبيلة بني مرين إذ تولوا ملك المغرب بعد القضاء على الفرع العبد الحقي منها، لذلك يعد بعض المؤرخين أيام الفريقين واحدة

---

[١] السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٧٨٦.

[٢] مؤنس، **تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٥.

[٣] أبو ضيف، **أثر القبائل العربية**، مرجع سابق، ص ص ١٨٤-١٨٥. وانظر توزيع هذه القبائل ببلاد المغرب في الخارطة رقم (٢).

[٤] الوطاسي : نسبة إلى وطاس وهم قبيلة من قبائل بني مرين نزلوا ضواحي بلاد الريف حيث آلت إليهم جباية أمصاره ورعاياه، انظر : السلاوي، **الاستقصا**، ج٢، مصدر سابق، ص ١٥٩. أبو ضيف، **أثر القبائل المغربية**، مرجع سابق، ص ١٩٣.

[٥] عبد الفتاح مقلد الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ط١، ج٥، مكتبة مدبولي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٤م، ص ص ٣٣٦-٣٣٧. أبو ضيف، **أثر القبائل العربية**، مرجع سابق، ص ١٩٣.

Scanned by CamScanner

وينسبون دولتيهما إلى الأصل الكبير (زناته) فيدرجونهم معا تحت اسم الدولة المرينية [١]، ويبدو أن الوطاسيين يشكلون على الصعيد السياسي استمرارا للدولة المرينية، فقد انضموا إلى بني مرين منذ اكتسح المغرب عبد المؤمن الموحدي، وظل الوطاسيون في خدمة المرينيين إلى سقوط دولتهم. ولم يدخل الوطاسيون أي تغيير سياسي أو ديني على نظام الحكم المريني، ومن ثمة كانوا استمرارا للدولة المرينية[٢]، التي سقطت عام ٨٦٩هـ/١٤٦٤م، بعد أنها حكمت المغرب الأقصى ما يقارب من القرنين من الزمان، وجادت بعطائها الفكري والعلمي والحضاري، ومن هنا كان توقف بحثنا عند نهاية دولة بني مرين.

---

[١] عبد الوهاب بن منصور، **قبائل المغرب**، ج١، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨م، ص ١٣٢.

[٢] حركات، معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب على عهد بني مرين، مرجع سابق، ص ٢١٢.

Scanned by CamScanner

الفصل الأول

أنواع المؤسسات التعليمية ومواردها المالية

أولاً : أنواع المؤسسات التعليمية :

أ- مؤسسات خاصة بالتعليم

١-الكتاتيب.

٢-المدارس.

ب- مؤسسات خدمت التعليم

١-المساجد.

٢-جامع (جامعة) القرويين.

٣-الزوايا.

٤-البيمارستانات.

٥-البيوتات الخاصة.

٦-المكتبات.

ثانياً : الموارد المالية للمؤسسات التعليمية :

أ- الأوقاف (الأحباس).

ب- هبات وإعانات الحكام.

ج- موارد أخرى

Scanned by CamScanner

الفصل الأول

أنواع المؤسسات التعليمية ومواردها المالية

أولاً : أنواع المؤسسات التعليمية :

تنوعت المؤسسات التعليمية في العهد المريني كما سنرى، وهي في الواقع تنقسم إلى نوعين، الأول : مؤسسات كانت تؤدي أغراضاً تعليمية بحتة، لذا استحقت أن نطلق عليها مؤسسات خاصة بالتعليم. والثاني : مؤسسات خدمت التعليم أي أنها إلى جانب وظيفتها التعليمية كانت تؤدي وظائف أخرى سواء دينية أو طبية. وسنعرض فيما يلي لأهم المؤسسات التعليمية في المغرب المريني ودورها في تنشيط حركة التعليم :

أ- مؤسسات خاصة بالتعليم :

١- الكتاتيب :

تعد الكتاتيب أول مرحلة تعليمية للتلاميذ في المغرب الأقصى خلال العهد المريني كما كانت في عهد من سبقهم في حكم المغرب وهم الموحدون، ولا بد هنا من التعرف على طبيعة هذه الكتاتيب لنتعرف على دورها في حركة التعليم في هذا العهد.

فكلمة كتاب مشتقة من كتَبَ، أما المَكتِب، والمُكتَّب، فهو الشخص الذي يعلم التلاميذ الكتابة (الخط) والأدب.[١] والمكتَّب هو مكان يتسع لمجموعة من الأطفال[٢] وكان يسمى بالمحضرة لحضور التلاميذ إليه، كما كان يسمى بالمسيد[٣] (تحريف مسيجد)، وبذا تعد الكتاتيب مدارس أولية للصغار.[١]

---

[١] أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦ م)، **الأنساب**، تقديم محمد أحمد علاق، ط١، م٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص ٣٤٨. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م)، **لسان العرب**، ج١، دار صادر، بيروت، (د.ت.)، ص ٦٩٩. حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط١، ج٤، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م، ص ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

[٢] محمد عبد الحميد عيسى، **تاريخ التعليم في الأندلس**، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٢٠.

[٣] أبو يحيى عبد الله بن أحمد الزجالي القرطبي (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق محمد بن شريفة، ج١، فاس، مطبعة محمد الخامس، ١٩٧١م، ص ٢٣٢.

Scanned by CamScanner

أما الموقع المفضل للكتاتيب فهو مكان مشهور عند الناس في السوق أو في الشارع العام، ولا يكون في موضع ليس بمسلوك من قبل الناس تفادياً للشك.[١] ولكن على الغالب يكون الموقع في جوار المسجد لتوفر الشروط المذكورة فيه[٢]. ويبدو أن هذا قد جاء تنفيذاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال : " جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراركم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر، وجمروها في الجمع" [٣]، ورغم أن هذا الحديث ضعيف الإسناد إلا أننا نرى منه الحرص على أن يكون موقع الكتاتيب خارج المساجد لأن الأطفال يسودون حيطانها وينجسون أرضها إذ لا يتحرزون من البول وسائر النجاسات.[٤]

ومن متطلبات الكتّاب أن يكون الموضع الذي يتصرف فيه الأطفال للضرورة البشرية معروفاً ومؤمناً، وإذا لم يوجد هذا الموضع فعلى المؤدب أن يسرّح التلميذ إلى بيته (بيت التلميذ) إذا تطلب الأمر، ويكون ذلك التلميذ منفرداً ولا يترك المؤدب غيره يذهب حتى يعود الأول، وعليه أن يمنعهم من قضاء حاجاتهم في الطرقات وخلف جدران البيوت [٥]، وهذا يؤكد الاهتمام بالناحية الصحية للمكتب والحرص على السلامة الصحية للصبيان أثناء تلقيهم التعليم الأولى، كما يؤكد الحرص على غرس الأخلاق الحميدة في الصبيان ليكونوا ثمرة يستفيد منها المجتمع ويسهموا في تطويره وبنائه.

أما سن ابتداء التعليم فقد كانت بوجه عام متروكة لتقدير آباء الصبيان، فإذا وجدوا الطفل قد بدأ في التمييز والإدراك دفعوا به إلى المكتب.[٦] وقدر أحد الباحثين المحدثين هذه المرحلة بين الخامسة والسادسة من عمر الطفل[٧]، ولكن على ولي التلميذ أن يتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الإقراء، فقد ذهب ابن الحاج إلى أن السلف الصالح كانوا يقرئون أولادهم في سن

---

[١] أبو عبد الله محمد بن محمد ابن الحاج العبدري، (ت ٧٣٧ هـ/ ١٣٣٦ م) ، ج٢، **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات**، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٩٢٩م، ص ٣٢٣.

[٢] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٦٩.

[٣] الإمام أبي الحسن الحنفي السندي (ت ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥ م) **سنن ابن ماجة**، تحقيق خليل مأمون شيحة، ط١، ج١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص ٤١٥.

[٤] عبد الرحمن بن نصر الشيرزي (ت ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣ م)، **كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، نشر السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م، ص ١٠٣.

[٥] ابن الحاج، **المدخل**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢٤.

[٦] المصدر ذاته، ص ٣٢٥. أحمد فؤاد الأهواني، **التربية في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.)، ص ٥٩.

[٧] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٦٩.

Scanned by CamScanner

السابعة؛ لأن الأطفال في هذه السن لا يحتاجون إلى من يأتي بهم إلى المكتب[١]، ومن هنا تكون سن ابتداء التعليم المناسبة هي سبع سنوات لأنها السن المعتدلة التي يمكن للطفل أن يستوعب دروسه فيها [٢]، وتنتهي الفترة التي يقضيها الصبي في المكتب عند الاحتلام، وهي سن تتراوح بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة.[٣]

أما عن تهيئة مواد المكتب فكانت تقع على عاتق المعلم من حيث شراء مواد التعليم، وكراء الموضع، وقد يتحمل ذلك بعض أولياء التلاميذ [٤]، وكان يوجد في كل مكتب قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال [٥]، وكانت الألواح الخشبية هي الوسيلة التعليمية في الكتاتيب حيث يكتب عليها التلاميذ ليتعلموا القراءة والكتابة [٦]، بالإضافة إلى قلم من ريشة الأوز ودواة للحبر يستعملونها في الكتابة على اللوح الخشبي[٧]، وبالنسبة للاستراحة اليومية فإن الأطفال يستريحون ثلاث مرات في اليوم : بعد محو الألواح للإفطار، وقبل الظهر للغداء وعند العشاء، حسب طول النهار أو قصره.[٨] أما الاستراحة الأسبوعية فهي يومان في الأسبوع وهما الخميس والجمعة، وهناك عطل أخرى للأطفال منها : قبل عيد الفطر وعيد الأضحى بيومين أو ثلاثة وكذلك بعدهما، وإذا مرض الصبي يصرفه المعلم إلى بيت وليه ولا يتركه يستمر بين التلاميذ دون قراءة لأنه يؤثر بذلك في غيره من الأطفال.[٩] ولأن ذلك قد يزيد من مرضه.

---

[١] ابن الحاج، **المدخل**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٢٥.

[٢] محمد طلس، **التربية والتعليم في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧، ص ٨٦.

[٣] الأهواني، **التربية**، مرجع سابق، ص ٦٠.

[٤] أحمد بن أبي جمعة المغراوي (ت ٩٢٠ هـ/١٥١٤ م)، **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق أحمد جلول البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د . ت.) ص ٥٢. مزاحم علاوي محمد، **الدولة المرينية في عصر أبي الحسن علي بن عثمان ٧٣١-٧٥٢ هـ/١٣٣١-١٣٥٢م : دراسة حضارية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٧٩م، ص ١٦٤.

[٥] الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ص ٢٦١.

[٦] ابن الحاج، **المدخل**، مصدر سابق، ص ٣٢٧. الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦١.

[٧] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٠.

[٨] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٧٧.

[٩] ابن الحاج، **المدخل**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٢٣١-٢٣٢. الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦٢.

Scanned by CamScanner

وكان التلاميذ عادة يسكنون بالقرب من المكتب حتى يأتوا إليه مبكرين[١]، وأيضاً لا يتعرضون إلى أخطار الطريق في الظلام أو عند رداءة الطقس، حرصاً على سلامتهم.

وتوخى المسلمون في عهد بني مرين عدداً من الأهداف من إرسال أبنائهم إلى الكتاتيب ومن أبرز هذه الأهداف :

أولاً : الأهداف التربوية : كان التلاميذ يتدربون على اتباع الآداب الإسلامية، وكان المعلم يعلم الصبيان القواعد التي يجب على المسلم الصالح أن ينشأ عليها [٢]، كما يحفظ الصبيان من قرناء السوء.[٣]

ثانياً : الأهداف التعليمية : ركز أهل المغرب في العهد المذكور على تعليم الصبيان القرآن الكريم، وهم لا يدخلون معه أي علم من العلوم كالحديث والفقه، وذلك خشية انعدام الفائدة من التعلم [٤]، وقد يضيف المؤدبون أحياناً إلى تعليم الصبيان إعراب القرآن الكريم، والشكل والهجاء، والخط الحسن، وحسن القراءة، مع أحكام الوضوء والصلاة، وفرائضها، وسننها، وصلاة الجنائز ودعائها، وصلاة الاستسقاء، والخسوف[٥]، ولكن يبدو أن تعليم القرآن الكريم يظل هو الأساس في هذه المرحلة.

ثالثاً : الأهداف العقلية : فإذا نظرنا بتفحص إلى هذا النوع من التعليم نجد أن له ميزة رئيسة وهي اعتماده على الذاكرة وتقويتها [٦]، ويبدو أن هذا من الأهداف التعليمية السليمة في هذه المرحلة المبكرة من عمر الطفل لأن ما يتعلمه الطفل ويحفظه من القرآن في هذه المرحلة سيظل معه بقية حياته.

يلاحظ أحد المؤرخين المعاصرين على تجربة بني مرين في التعليم أن المغاربة قد تفوقوا في حفظ القرآن الكريم تفوقاً كبيراً، ولكنه ينتقد طريقة الحفظ هذه لاعتقاده أنها لا تؤدي

---

[١] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٠.

[٢] المرجع ذاته، ص ١٧١.

[٣] أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م)، **إحياء علوم الدين**، ج٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت.) ص ٧٢.

[٤] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة مؤسسة الأعلى، ص ٥٣٨.

[٥] الونشريسي، **المعيار**، مصدر سابق، ج٨، ص ٢٤٤.

[٦] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧١. وانظر الفصل الثاني: " أساليب التدريس" حول الهدف من الحفظ.

Scanned by CamScanner

يلاحظ أحد المؤرخين المعاصرين على تجربة بني مرين في التعليم أن المغاربة قد تفوقوا في حفظ القرآن الكريم تفوقاً كبيراً، ولكنه ينتقد طريقة الحفظ هذه لاعتقاده أنها لا تؤدي إلى تكوين ملكة اللغة لديه [١]، وبالتالي كانت عنايتهم بالحفظ أكثر من اهتمامهم بالمحاورة مما قد يطيل مدة الدراسة عندهم .[٢]

ونحن نتفق مع ما ذهب إليه أحد المؤرخين المحدثين حين انتقد رأي ابن خلدون حول نتائج حفظ القرآن الكريم، فدراسة القرآن الكريم وحفظه يساعدان على تنمية القدرة اللغوية، و القرآن الكريم كان من أهم العوامل التي حافظت على اللغة العربية [٣].

ويجدر بنا أن نشير إلى المراحل التي يقطعها التلميذ في الكتاب، فقد كان التحفيظ يوميا ويقتصر على آية أو أكثر من القرآن الكريم، وقد جرت العادة أن يختم التلميذ القرآن في سنتين أو ثلاثة، ثم يستأنف ذلك عدة مرات إلى أن يجيد الطفل حفظ القرآن بإتقان، ويحفظه عن ظهر قلب، وقد لا يدرك ذلك إلا بعد انقضاء سبع سنين على أبعد تقدير.[٤] ولكن البعض من الصبيان قد لا يستطيع حفظ القرآن في هذه المرحلة وعندها يضطر إلى ترك الكتاب.[٥]

ويبقى أن نشير إلى أنه عندما يختم الطفل القرآن [٦] يقوم الأب بصنع وليمة فخمة لكل التلاميذ، ويتم كساء الطفل وكأنه ابن أمير، ثم يذهب للوليمة على ظهر جواد أصيل باهظ الثمن يعيره اياه أمير المدينة الملكية (فاس الجديد)، ويصطحبه بقية الأطفال على ظهور الجياد أيضا، وهم ينشدون ألحانا في تمجيد الله والرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم تكون الوليمة التي يحضرها أصدقاء الوالد، وبهذه المناسبة يقدم هؤلاء مع التلميذ المحتفى به هدايا للمعلم.[٧] والهدف من ذلك هو تشجيع التلاميذ الآخرين على حفظ القرآن الكريم.

---

[١] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٥٣٩.

[٢] الحسن السائح، **الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦، ص ٢١١.

[٣] عبد الله النعيمي، **المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون**، ط٢، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ١٩٨٤م، ص ٨٨.

[٤] الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦١.

[٥] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٢.

[٦] كان ختم القرآن الكريم يُسمى الحذقة وهي ما يدفع إلى المؤدب عند حفظ القرآن الكريم. أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي (ت ٣٧٩ هـ/ ٩٨٩م)، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٤م، ص٢٧٨.

[٧] الوزان، **وصف أفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٦١.

Scanned by CamScanner

٢- **المدارس** : اتجه المرينيون في بناء المدارس إلى العاصمة فاس[١] التي شهدت في عهدهم تفوقاً ملحوظاً في هذا المجال، ثم شهدت بقية المدن المغربية اهتماماً في بناء المدارس مما جعل أحد الباحثين المحدثين يطلق على عهد المرينيين عهد :" بناة المدارس".[٢]

وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن دوافع إنشاء المدارس في العهد المريني نود أن نشير إلى تاريخ المدارس في المغرب الأقصى قبل عهد بني مرين حيث سجلت مدونات المؤرخين إشارات عديدة عن مدارس شيدت في العصر الموحدي على يد الخلفاء، ومنها ما ذكره ابن أبي زرع أثناء حديثه عن الأمير يوسف بن عبد المؤمن حين قال : " وبنى المساجد والمدارس في بلاد إفريقية والمغرب والأندلس"،[٣] وكذلك شيد الخليفة يعقوب المنصور (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، بمدينة سلا المغربية مدرسة في جوف مسجدها بطالعة سلا وذلك سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م).[٤]

يتضح لنا من خلال الدراسة أن بناء المدارس لم يبدأ في العهد المريني، بل أن المدارس كانت موجودة قبل هذا العهد، ولكنه انتشر بشكل ملحوظ في المغرب الأقصى منذ عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق مؤسس الدولة المرينية، ويبقى هناك تساؤل بهذا الصدد وهو ما الأسباب التي أدت إلى اندثار المدارس التي أنشئت قبل العهد المريني؟ الجواب على ذلك قد يكون صعباً، ولكن يمكن إرجاعه إلى عدة أسباب منها :

١- أنه وبعد موقعة العقاب سنة ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م، سابقة الذكر بدأ النفوذ الموحدي يضمحل في المغرب الأقصى، مما أدى إلى حدوث ثورات اشتعلت في جهات كثيرة منه، وانعدام الأمن في الطرقات ونتج عن ذلك خراب المدن، وبالتالي اضمحلال الكثير من المنشآت العمرانية فيها[٥]، ومنها المدارس.

---

[١] انظر : خارطة فاس في عهد المرينيين، وفيها العديد من المدارس التي أنشئت في العهد المريني. الخارطة رقم (٣).

[٢] عثمان إسماعيل، **تاريخ شالة**، مرجع سابق، ص ٣٥٣.

[٣] **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٢١٧.

[٤] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٩٥.

[٥] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ٣٥. وأيضاً ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٢٩. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ١٧٠.

Scanned by CamScanner

٢- إن المدارس الموحدية كانت تستقبل نوعية خاصة من الطلاب، فهي بذلك لم تكن مدارس عمومية، وإنما كانت مدارس خاصة لإعداد كوادر جديدة من الطلاب يقع على عاتقهم عبء نشر الدعوة الموحدية بعد ذلك.[١]

٣- ظهور نوع من المدارس الموحدية المتخصصة لتخريج طبقة من الموظفين لخدمة أغراض الدولة السياسية أو الفكرية [٢].

٤- اعتماد مناهج التعليم الموحدي على الكتب التي وضعها ابن تومرت [٣]، مثل كتابي المرشدة[٤]، والتوحيد[٥]، وهي كتب حرص المرينيون على محاربتها بشتى الوسائل وعلى العودة إلى السنة والاجتهاد مرة أخرى.[٦]

وبما أن المدارس السابقة على المرينيين كانت مرتبطة بالدولة الموحدية فقد كان من المتوقع أن ينتهي دورها بزوال الدولة الموحدية نفسها، وهذا مما يفسر قول ابن مرزوق : " إن إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى أنشأ مولانا المجاهد، الملك العابد، مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس" [٧]، فربما كان ابن مرزوق يقصد أن إنشاء المدارس بدأ مع يعقوب بن عبد الحق المريني الذي بدأ عهده بإنشاء المدارس في المغرب.

لا يعني ما سبق أن جميع المدارس الموحدية قد اندثرت ولم يبق لها أثر، بل إننا نجد بعض الدلائل التاريخية التي تؤكد أن هناك مدارس موحدية قد استمرت تؤدي دورها في التعليم خلال العهد المريني وبعده، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره أحد المؤرخين المعاصرين حول

---

[١] محمد الكحلاوي، " المدارس المغربية"، -دراسة أثرية معمارية- **مجلة العصور**، مج ٦، ج١، لندن، ١٩٩١، ص ٧١.

[٢] حركات، **المغرب**، مرجع سابق، ج١، ص ٣٦٨. الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ٧٥.

[٣] الحسيسن، **النهضة الحديثية**، مرجع سابق، ج٢، ص ١٤٢. الكحلاوي، **المدارس المغربية**، مرجع سابق، ص ٧٥.

[٤] هي رسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الصفحتين، فيها عرض موجز لمسائل العقيدة خالية من البراهين، ويعتبر من أكثر مؤلفات المهدي انتشاراً في المغرب والمشرق لأنها تعتبر خلاصة لفكره. عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية بالمغرب**، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣، ص ١٥٠.

[٥] كتاب يعتبر أكثر تفصيلا من المرشدة، ويشتمل على تعاليم في العقيدة إلى جانب تعاليم أخرى في الأخلاق والتشريع، المرجع ذاته، ص ١٢٥. وانظر : الحسن السائح، **الحضارة المغربية عبر التاريخ**، ط١، ج٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٥م. ص ص ١٧٨-١٧٩.

[٦] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ص ١٧٣-١٧٤.

[٧] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٠٥.

Scanned by CamScanner

المدرسة العامة في قصبة مراكش والتي أشير إليها بدون ذكر اسمها، مستدلاً بها على وثيقة وقفية للسلطان أبي عنان المريني :" ..... الكائنة بالمدرسة التي بجوف (أي الشمال) جامع المنصور بمراكش " [١]، فهذه الوثيقة تدل على استمرار هذه المدرسة إلى منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ومن الأدلة الأخرى على وجود هذه المدرسة خلال العهد المريني أن الوزان الفاسي قد أفاد ببقاء هذه المدرسة إلى عصره عند القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي[٢] ، ولا شك أن شهادة الوزان المعاصر لوجود المدرسة تدل دلالة صريحة على استمرارها خلال عهد بني مرين أيضا.

أما في العهد المريني فقد كان الباعث على إنشاء المدارس هو الفراغ الكبير الذي نتج عن سقوط المدن العلمية الأندلسية مثل قرطبة وأشبيلية، وما نتج عنه من ضرر للثقافة العربية والإسلامية عموما والثقافة المغربية على وجه الخصوص، لذا لم يكن غريبا أن يتجه المغاربة نحو المشرق العربي لتعويض ما فقدوه من سقوط المدن العلمية الأندلسية [٣]، وبرز الاتجاه المغربي واضحا في بناء المدارس وأخذوا يقلدون مصر التي كان فيها مدارس كثيرة عندئذ.[٤]

من الدوافع لإنشاء المدارس في العهد المريني هو حرص المرينيين على إحياء مذهب الإمام مالك، لذلك بنى المرينيون المدارس العلمية، وأشرفوا على سير التعليم فيها حسب توجههم الفقهي[٥]، وذلك بغية التمركز مذهبيا داخل مناطق نفوذ المخزن المريني عبر المغرب الأقصى لمواجهة المذهب الموحدي " المهدوي"، ثم لمواجهة الزوايا المعارضة وكذلك بعض الفقهاء المعارضين للسلطة حول وضع التعليم ودوره في المجتمع المغربي في العهد المدروس[٦]. ولما كانت دولة بني مرين هي الدولة التي حلت محل الموحدين بالمغرب، فقد كان من المتوقع أن

---

[١] محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٩م، ص ٢٠٤.

[٢] **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ص ١٣٢-١٣٣.

[٣] المنوني، **الحضارة المغربية**، مرجع سابق، ص ١٩٧.

[٤] محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة الطنجي، (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٧ م)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، ج١، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سورية، (د.ت.)، ص ٢٦.

[٥] السائح، **الحضارة المغربية**، مرجع سابق، ص ٢٥٥.

[٦] الناجي الرضوان، من تاريخ التعليم الرسمي بالمغرب، تجربة المدارس المرينية ونتائجها، **مجلة فكر ونقد**، السنة الثانية، العدد ١٩، الرباط، المغرب، ١٩٩٩م، ص ٦٠.

Scanned by CamScanner

تعمل على إزالة ما تبقى من آثارهم وتتصدى بقوة للتخلص من الأفكار الموحدية ولاسيما في العقيدة.[١]

عندما نقل المرينيون عاصمتهم من مراكش إلى فاس أنشأوا في الأخيرة كما سبق أن أشرنا إليه العديد من المدارس، وها نحن نذكر أبرزها مرتبة حسب تاريخ بنائها :

١- **مدرسة الحلفاوين** : هي أول المدارس المرينية في مدينة فاس، وتعرف هذه المدرسة أيضاً باليعقوبية، نسبة إلى مؤسسها السلطان يعقوب بن عبد الحق الذي أنشأها سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م [٢]، وخصص لها أوقافاً لسد حاجاتها ومتطلبات نفقة طلابها ومجالسها العلمية [٣]، ولم تعطنا المصادر التي بين أيدينا معلومات وافية عن بناء هذه المدرسة وشكلها ، ومساحتها، وتكاليف بنائها.

٢- **مدرسة فاس الجديدة** : أنشأ هذه المدرسة السلطان أبو سعيد بن يوسف بن يعقوب المريني سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، وقد كمل بناؤها، وبدأ التدريس فيها في شهر ذي القعدة سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م[٤]،وتعرف بمدرسة دار المخزن أي مدرسة القصر المركزي وفقاً لمسماه المغربي، كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين المحدثين من خلال إطلاعه على نص الوثيقة المتعلقة بها[٥]، كما تعرف بمدرسة المدينة البيضاء لبنائها في مدينة فاس الجديدة التي بناها المرينيون.[٦]

وقد نسب صاحب كتاب بيوتات فاس الكبرى هذه المدرسة إلى السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن المريني[٧]، ويبدو أن هذا الرأي يفتقر للدقة نظراً لأن تاريخ بناء هذه المدرسة

---

[١] تقوم العقيدة الموحدية على عدة أمور نذكر منها: وجوب اعتقاد الإمامة و عصمة الإمام، ومن ناحية التشريع تقوم العقيدة الموحدية على إبطال الرأي والظن في التشريع، والرجوع إلى الأصول مباشرة، ونبذ الاعتماد على كتب الفروع، وإبطال المذاهب الفقهية وغير ذلك. للمزيد انظر : رشيد بورويبه، **ابن تومرت**، ترجمة عبد الحميد حاجيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢م، ص ١٠٦ وما بعدها. النجار، **المهدي بن تومرت**، مرجع سابق، ص ٣٦٣.

[٢] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٨١. ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٠٥. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٩. السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٢، ص ٦٥.

[٣] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤١٢. الغنيمي، **تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ج٥، ص ٢٧٧.

[٤] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤١٢.

[٥] انظر : الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ٩٢.

[٦] المرجع ذاته.

[٧] أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد ابن الأحمر (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م)، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٦٤.

Scanned by CamScanner

المسجل على لوحة الحبس هو سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م[١]، وهذا التاريخ يقع قبل عهد السلطان أبي عنان الذي تولى الحكم المريني في الحقيقة سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م[٢]، ويبدو أن المدرسة كانت وقت إنشائها تمتاز بحسن عمارتها، وجمال زخرفتها، وهذا ما يفهم من الوصف الذي أورده ابن أبي زرع عنها، إذ قال :" فبنيت على أتم بناء، وأحسنه وأتقنه" [٣]، وقد ورد ذكر هذه المدرسة في كتاب الأنيس المطرب حيث يقول صاحبه :" وفي ستة وعشرين وسبعمائة، أمر أمير المسلمين أبو سعيد ... ببناء مدرسة بحضرته من فاس الجديد...." [٤].

٣- **مدرسة الصهريج** : تقع هذه المدرسة غربي جامع الأندلس في فاس[٥]، ولهذا غلب عليها اسم مدرسة الأندلس، وأسس هذه المدرسة أبو الحسن المريني، وذلك في سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م أي أثناء ولايته للعهد، ويبدو أن سبب تسميتها بهذا الاسم يرجع إلى أن السلطان أبا الحسن بنى حوله سقاية ودار وضوء، وفندقا (زاوية)ليسكنه الطلبة، كما قام بجلب الماء إليها في صهاريج من عين بخارج باب الحديد[٦]. وقد بلغت تكاليف بناء هذه المدرسة ما يزيد على مائة ألف دينار بعملة ذلك الوقت.[٧]

أما بخصوص الجانب العمراني لهذه المدرسة فنلاحظ أن فناءها يتكون من جناحين : أحدهما بيوت للطلبة، والآخر مكان للوضوء. وهناك قاعة مخصصة للدرس والعبادة تحتوي من جهة المحراب على الخزائن التي كانت توضع فيها الكتب التي وهبت للمدرسة، وتتميز هذه المدرسة بوجود طابق علوي فيها، توجد فيه حجرات عديدة للطلبة أيضا، وتحتوي هذه الحجرات على نوافذ مطلة على ساحة المدرسة.[٨]

---

[١] الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ٩٣.

[٢] ابن الأحمر، **روضة النسرين**، مصدر سابق، ص ٣٢.

[٣] **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤١٢.

[٤] المصدر ذاته، ص ص ٤١١-٤١٢.

[٥] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٣٧. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤١٢.

[٦] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤١٢. ابن القاضي، **لقط الفرائد**، مصدر سابق، ص ١٧٨.

[٧] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر ساق، ج٣، ص ١٧٦.

[٨] عبد الهادي التازي، **جامع القرويين: المسجد والجامعة في مدينة فاس: موسوعة لتاريخها المعماري الفكري**، ط١، ج٢، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م، ص ٣٦٢.

Scanned by CamScanner

سميت هذه المدرسة أيضا بالمدرسة الكبرى تمييزا لها عن المدرسة الصغرى التي تتصل بها وأيضا مدرسة أشنيخن نسبة لاسم الزنقة (الشارع) القديم[١].

٤- **مدرسة السبعيين** : تقع هذه المدرسة شرق مدرسة الصهريج (غربي جامع الأندلس)، وأسسها أبو الحسن أثناء ولايته للعهد، وذلك سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م[٢]، وسميت بهذا الاسم لأنها كانت خاصة بالطلبة الذين يقرؤون بالروايات السبع[٣]، لذا عدها بعض المؤرخين المحدثين أول مدرسة متخصصة في العهد المريني لاقتصارها من الناحية التعليمية على تدريس القراءات فقط[٤]، وكانت هذه المدرسة تعرف بالمدرسة الصغرى للتمييز بينها وبين مدرسة الصهريج التي أنشئت كما سبق، بجوارها [٥]، وأيضا عرفت بمدرسة الأساتيذ [٦].

أما من حيث شكلها فهي عبارة عن مساحة محاطة بأربع واجهات مسقفة، كما يوجد فيها بعض الغرف، وتمتلك طابقا علويا، وأما قاعة الدرس والعبادة فهي حجرة كبيرة، وعوض المحراب المعروف أشير إلى قبلتها بقوس[٧]، لذا فقد ذكر أحد المؤرخين المحدثين أن هذه المدرسة لا تعدّ من المدارس الكاملة لصغر مساحتها، وعدم وجود محراب قبلة لها، وقد كانت وقت إنشائها مزينه بزخارف نباتية ونقوش كتابية.[٨]

---

[١] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٦٢.

[٢] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤١٢. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٤٠.

- Dhina, Atallah, **Les Etats de l'occident Musulman Aux XIV et XV Siecles**, O.P.U. E.N.A.L., Alger, 1984, P. 311.

[٣] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص٣٦٢. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٤٠. لوطورنو، **فاس قبل الحماية**،ج١، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

[٤] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٥.

[5]- Terrasse, Charles, **Mederasas Du Maroc**, Paris: A.Morance, 1928, P.20.

[٦] وقد ورد هذا الاسم (الأساتيذ) لهذه المدرسة من خلال اطلاع المنوني على أوراق ترجع إلى حسابات دخل المدارس العلمية بفاس ونفقاتها المتنوعة، وتوجد هذه الأوراق في خزانه القرويين رقم ٣٩٩. انظر: **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٤٠

[٧] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٦٢.

[8]- Terrasse, **Mederasas**, O.P. cit, P.20.

Scanned by CamScanner

٥- **مدرسة العطارين**[١] : تقع هذه المدرسة بمدينة فاس القديمة بجوار جامع القرويين، وقد شيدها السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م [٢]،وسميت بهذا الاسم لأنها تقابل سوق العطارين بمدينة فاس.[٣] وقد أشرف على بناء هذه المدرسة الشيخ أبو محمد بن عبد الله بن قاسم المزوار، وحضر السلطان بنفسه عملية البناء، ومد إليها الماء من عين غزيرة خاصة بها حتى لا تنقطع عنها المياه [٤].

وحتى تؤدي المدرسة دورها في نشر العلم نجد أن السلطان عثمان بن يعقوب بن عبد الحق قد رتب لهذه الغاية مجموعة من الفقهاء لتدريس العلم فيها، ودعما منه لطلاب العلم خصص لهم سكنا داخل المدرسة، وعين فيها جماعة من الموظفين لخدمة أغراض المدرسة، فعين مؤذنين وإماما وخدما وأجرى عليهم الأوقاف واشترى أملاكا لهذا الغرض.[٥]

بلغ من جمال هذه المدرسة أن نوه بها أحد المؤرخين المعاصرين بقوله :" فجاءت آية في الدهر لم يبن مثلها ملك قبله[٦] "، وهو يقصد هنا السلطان أبا سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق.

٦- **مدرسة الطالعة بسلا** : تقع هذه المدرسة قبلي المسجد الكبير بطالعة سلا، وأمر ببنائها السلطان أبو الحسن سعيد بن يوسف بن يعقوب[٧]، وفرغ من بنائها سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م.[٨]

ووصف السلاوي هذه المدرسة بقوله :" وبناها .... على هيئة بديعة، وصنعة رفيعة، وأودع جوانبها من أنواع النقش، وضروب التخريم ما يحيّر البصر، ويدهش الفكر، ووقف عليها

---

[١] انظر الصورة رقم (١) لمدرسة العطارين في العهد المريني.

[٢] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤١٢. ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٠٥. ابن القاضي، **لقط الفرائد**، مصدر سابق، ص ١٧٩.

[٣] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٥٨.

[٤] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ص ٤١٢-٤١٣. السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ١١٢. الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ٩٨.

[٥] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ص ٤١٢-٤١٣.

[٦] المصدر ذاته، ص ٤١٣.

[٧] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٠٧. السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٥. الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ص ١٠٠-١٠١.

[٨] محمد بن علي الدكالي السلوي (١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٥ م)، **الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز**، الجامعة الأردنية، مركز الوثائق والمخطوطات، ، شريط رقم ٣٦١، ورقة رقم ٢٣ أ -٢٤ ب (مخطوط).

Scanned by CamScanner

عدة أوقاف" [١]. وكأن السلاوي أراد أن يبرز مدى اهتمام السلطان أبي الحسن بمؤسسات التعليم في عصره، ومدى حرصه على المحافظة عليها عن طريق تخصيص الأوقاف التي تسهم في ترميم هذه المنشآت العمرانية بين فترة وأخرى.

٧-**المدرسة العظمى بمراكش** : وبناها السلطان أبو الحسن بن سعيد المريني سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م [٢]، وكانت تعرف أيضا بالمدرسة المرينية [٣]، وقد امتدح بناء هذه المدرسة العديد من المؤرخين، ووصفوها بروعة عمارتها، وتأنق زخارفها، ومن هؤلاء ابن أبي زرع الذي امتدحها قائلاً :" ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل تنجيدها وتنميقها قدر هذا السلطان وعلم عظمة همته ومحبته للعلم وأهله" [٤]، وتعد هذه المدرسة من الآثار المهمة في مراكش، وذكرها ابن بطوطة عند مروره بمراكش قائلا: "وبمراكش المدرسة العجيبة التي تميزت بحسن الوضع وإتقان الصنعة". [٥]

٨-**المدرسة المصباحية** : وتقع هذه المدرسة بمدينة فاس القديمة بجانب جامع القرويين [٦]، وأسسها السلطان أبو الحسن المريني سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م.[٧] وعرفت بالمصباحية لأن

---

[١] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٥.

[٢] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٥. الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ١٠٢.

[٣] محمد بن المؤقت، **السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ١٣٤١هـ، ص ١٠.

[٤] **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤١٢.السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٥.

[٥] **تحفة النظار**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٢٢.

[٦] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ١١١. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٦. الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ١٠٥.

[٧] فقد وجد على رخامة التحبيس على هذه المدرسة ما نصه :" وبعد، فهذا ما أمر بتخطيطه **وإنشائه** دفعا وردعا لأيدي المعتدين مولانا أبو الحسن علي بن مولانا أبي سعيد". الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٦١. ويبدو أن الصواب قد جانب ابن مرزوق حين ذكر أن السلطان أبا سعيد أنشأ هذه المدرسة. انظر : **المسند**، مصدر سابق، ص ص ٤٠٥-٤٠٦. وأكد ابن القاضي بناءها من قبل السلطان أبي الحسن. انظر : **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٦.

Scanned by CamScanner

الشيخ مصباح بن عبد الله الياصلوتي [١]، كان أول من درس بها [٢]، كما عرفت بمدرسة الرخـــام بسبب نافورة رخامية تقوم فيها[٣]. وكان السلطان أبو الحسن قد جلب إلى المدرسة المصباحية بيلة من المرمر الأبيض يقدر وزنه بمائة وثلاثة وأربعين قنطاراً نقلها من مدينة المرية بالأندلس عـن طريق البحر، ثم إلى العرائش وقصر عبد الكريم ثم إلى ضواحي فاس حيث حملت على عجلات تجرها القبائل إلى أن وصلت إلى مدرسة الصهريج ثم حولت بعد أعوام إلى المصباحية.[٤]

اشتملت المدرسة على مائة وسبع عشرة غرفة، وكان بها ثلاث طبقـــات زيـادة علـى السفلى، ولها بابان يواجه الرئيسي منهما باب ساقية العين من جامع القرويين[٥]، ويقع على يســار الداخل للمدرسة طريق إلى مكان الوضوء، كما يوجد بها مسجد صغير له محراب وسط المـدرج صار في وقت ما مركزاً لقاضي القضاة، أما الطابق الأرضي فيحتوي على عـــدد مـن بيـوت الطلبة، كما يوجد أمام المدخل باب قبة الدرس والصلاة، وتتوسطها سارية من رخام، أما القاعـة فلا تشتمل على محراب.[٦]

٩- **مدرسة مكناس**[٧] : تقع هذه المدرسة بمدينة مكناس شرقي الجـــامع الأعظم[٨]، وقـد شـيدها السلطان أبو الحسن بن عثمان المريني سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م[٩]، وقد أكد ابن زيدان بناءها مـــن قبل أبي الحسن بقوله :" .... إنما أنشأها والده أبو الحسن" [١٠]، وهو يقصد أن أبا عنان لم يكن هـو الذي شيد المدرسة، مستنداً في ذلك على عدة أمور منها : ما ذكره ابن غازي الذي قال :" وكـان

---

[١] هو أبو الضياء الفاسي، كان من المقربين من السلطان أبي الحسن، وكان من الفقهاء والحافظين للنوازل، توفـي بمدينة فاس سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٦. التنبكتي، **النيـل**، مصدر سابق، ص ص ٦٠٨-٦٠٩. الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ١٠٥.

[٢] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٣٦. وأيضا ابن القاضي، **لقط الفرائد**، مصـــدر ســابق، ص ٢٠٣. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٦٠٨. علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٧٨.

[٣] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ١١١. لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ٤٣.

[٤] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٣٧.

[٥] حركات، **المغرب**، مرجع سابق، ج٢، ص ١٥٨.

[٦] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٥٩.

[٧] انظر الصورة رقم (٢) لمدرسة مكناس.

[٨] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٦.

[٩] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٠٦. الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ١٠٤.

[١٠] عبد الرحمن بن زيدان، **إتحاف أعلام الناس بحال أخبار حاضرة مكنـــاس**، ط١، ج١، المطبعـة الوطنيـة، الرباط، ١٩٢٩م، ص ص ١٢٢-١٢٣.

Scanned by CamScanner

قد قدّم للنظر على بنائها قاضيه ..... أبا محمد عبد الله بن أبي الغمر ...." [١]، وأيضا الزمن الـذي بنيت فيه المدرسة وهو يصادف حكم أبي الحسن، وليس حكم أبي عنان [٢]، وعرفت هذه المدرسة أيضا بالبوعنانية نسبة إلى السلطان أبي عنان[٣]، وسميت أيضا بمدرسة القاضي لأن القاضي أبـا علي الحسن بن عطية الونشريسي[٤] كان يدرس بها، كما سميت بالمدرسة الفيلالية نسبة لمن كان يسكنها من طلاب العلم من أهل تافيلالت.[٥]

وقد حرص السلطان أبو الحسن على متابعة عملية البناء فيها بنفسه [٦]، فعندما حضر إلـى مكناس، وأحضرت أمامه أرقام البناء أمسك بها وأغرقها في صهريجها [٧]، وقال البيت المشهور:

لا بأس بالغالي إذا قيل حسن *** ليس لما قرت به العين ثمن[٨]

وهذا يوضح لنا أن السلطان أبا الحسن كان كريما في الإنفاق على مدارسه حتى يضمـن لها أن تخرج في أحسن عمارة وأجمل هيئة، وكان له بالفعل ما تمناه من جعل مدرسة مكناسـة تحفة معمارية. ونكتفي هنا بقول أحد المؤرخين المعاصرين لحكم السلطان أبي الحسـن والـذي يقول :" إن مدرسة سبتة غاية، وأعجب منها مدرسة مراكش، وتليها مدرسة مكناس" [٩].

يتبين لنا مما سبق أن السلاطين المرينيين قاموا ببناء المدارس في أرجاء دولتهم كافة مع ملاحظة أن الكثير من المدارس قد شيد في الفترة الأولى من العهد المريني خاصـة مـن قبـل السلطان أبي الحسن أثناء حكمه أو خلال ولايته للعهد، ونحن بدورنا لا نستطيع ذكر المـدارس

---

[١] محمد بن أحمد بن محمد ابن غازي العثماني المكناسي (ت ٩١٩ هـ/ ١٥١٣ م)، **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤م، ص ص ٣٤-٣٥..

[٢] ابن زيدان، **الإتحاف**، مرجع سابق، ج١، ص ص ١٢٢-١٢٣.

[٣] المرجع ذاته، الكحلاوي، المدارس المغربية، مرجع سابق، ص ١٠٤.

[٤] فرضي، أديب، شاعر، من فقهاء المالكية، وله عدة آثار منها أرجوزة في الفرائض وشرحها ومجموعـة مـن الفتاوي، توفي سنة ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م. أحمد بن يحيى الونشريسي، (ت ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨ م)، **وفيات الونشريسي**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشـر، الربـاط، ١٩٧٦م، ص ١٢٩. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ١٥٨.

[٥] ابن زيدان، **الإتحاف**، مرجع سابق، ج١، ص ص ١١٧-١١٨.

[٦] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٧.

[٧] ابن غازي، **الروض الهتون**، مصدر سابق، ص ٣٥. السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٧٧.

[٨] ابن غازي، **الروض الهتون**، مصدر سابق، ص ٣٥.

[٩] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٠٦.

Scanned by CamScanner

كافة في العهد المريني وإنما اكتفينا بالحديث عن أبرزها دون التطرق إلى تفصيلات واسعة حول الناحية العمرانية الأخرى لأنه ليس مجال بحثنا هنا.[١]

ولو تتبعنا بناء المدارس المرينية لوجدنا أن بناءها في المغرب المريني قد توقف زهاء قرن من الزمن من إنشاء أول مدرسة على يد السلطان يعقوب بن عبد الحق إلى أن استؤنف البناء في سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، ولعل البطء الملحوظ في عملية بناء المدارس يجد تفسيره بأن الطريق أمام السلاطين الجدد لم تكن تخلو من عقبات، من أهمها وجود معارضين من الفقهاء لبناء المدارس مثل الأبلي (شيخ ابن خلدون)، لأن هؤلاء العلماء رأوا في هذه المدارس ضوراً على حرية البحث والدراسة لأنها تمنع الطلاب من الذهاب لطلب العلم عند أشهر الشيوخ في العالم الإسلامي، فهي تجعلهم يستقرون في أماكنهم تحت إغراء المزايا العديدة من مسكن ورواتب واحترام لهم، ووظائف تفتح أمامهم، وبالإضافة إلى ذلك كان العلماء الذين يدرسون في هذه المدارس مرغمين على قصر تعليمهم حسب الأفكار التي يحددها الحاكم.[٢] وأيضاً يمكن الإشارة إلى تشدد الفقه المالكي في شأن تحبيس الملوك والحكام على العموم، ومن أمثلة ذلك أنه عند بناء أول مدرسة مرينية بفاس، اقترن بناؤها بتحديد الموارد المالية لهذه المؤسسة، وقد نصت الوثيقة على تخصيص المرتبات للطلاب والمقرئين.[٣]

ولم يقتصر الأمر على هذه الأسباب بل نستنتج أن من الأسباب أيضاً انشغالهم بالعديد من المشكلات الداخلية والخارجية، كتوحيد المغرب الأقصى والقضاء على بعض الفتن الداخلية المدفوعة بتحريض خارجي مثل إيعاز أمير غرناطة يوسف الناصر لسكان سبتة بالثورة ضد السلطة المرينية سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

وأسهمت الحروب الخارجية للدولة المرينية أيضاً في انشغال سلاطينها عن بناء المدارس، وخاصة محاولاتهم توحيد أقطار المغرب العربي، والمساهمة في مساعدة الأندلسيين من الهجوم الإسباني.[٤]

---

[١] بني المرينيون المدارس في تلمسان أيضاً، ولكننا لم نشر إليها هنا لأنها خارج نطاق بحثنا.

[٢] الفرد بل، **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص ص ٣٥٨-٣٥٩.

[٣] محمد القبلي، قضية المدارس المرينية : ملاحظات وتأملات، في **في النهضة والتراكم**، تحرير عبد الله العروي، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م، ص ص ٤٧-٦٣.

[٤] عبد الله العروي، **مجمل تاريخ المغرب**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٤م، ص ص ١٩٩-٢٠٢.

Scanned by CamScanner

قام العامل الاقتصادي بدوره أيضا في عملية البطء في بناء المدارس، وخاصة أواسط القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، عندما تعرضت البلاد لطاعون مرعب وصفه ابن خلدون بالنكبة الكبيرة التي :" طوت البساط بما فيه" [١]، فلعل هذا الطاعون أدى إلى قلة الموارد المالية اللازمة لبناء المدارس.

ولم ينشط البناء إلا في عهد السلطان أبي الحسن . ثم ضعفت حركة البناء من جديد مع ولاية ابنه أبي عنان، وكانت آخر مدرسة مرينية هي مدرسة مكناس آنفة الذكر، ونستنتج من هذا أن أغلب المدارس المرينية قد أنشئت في فترة زمنية قصيرة لا تتعدى ستاً وثلاثين سنة [٢]، وعلى أية حال رغم أن المرينيين قد نجحوا إلى حد ما في بناء المدارس والتي كان عددها يقرب من ثماني عشرة مدرسة، إلا أن هذه المدارس كانت مؤسسات تعليمية رسمية تابعه كلها للمخزن فما إن جاء منتصف القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي حتى أصبحت هذه المدارس تابعة للدولة مما أدى إلى تدجين العلم وإخضاعه لما يستهدفه الحكام منه وهو توجيه التعليم والسيطرة على المعلمين، وقد أدى هذا بدوره إلى تدهور المستوى التعليمي والعلمي فيها، مما أثار جدلاً حول العديد من القضايا التعليمية، منها الاستحقاق العلمي للمدرسين ومدى جرأتهم العلمية حول قضايا الساعة والموقف من الحكام ومسألة الحرية الفكرية ومدى استقلالية التعليم عن السلطة الدنيوية في ظل أزمات عامة عاشها المغرب الأقصى انطلاقا من منتصف القرن السابع الهجري / الثامن عشر الميلادي.[٣]

ب- مؤسسات خدمت التعليم :

١- المساجد :

يأتي المسجد في المرتبة الثانية بعد الكتاتيب القرآنية من حيث التدرج في سلم المعرفة، وتعتبر المساجد مؤسسات للتعليم المتوسط (الثانوي) تؤدي مهمتها في نشر العلم والمعرفة، وتنوير أبناء الأمة بما يُلقى بها من دروس وعظية وإرشادية من ناحية ، وما كان يلقى بها من

---

[١] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، ج١، طبعة دار نهضة مصر، ص ٣٩.

[٢] القبلي، قضية المدارس المرينية، مرجع سابق، ص ص ٤٧-٦٣. وانظر : الجدول رقم (٢) الذي يبين الخط الزمني لتواريخ بناء المدارس المرينية.

[٣] الرضوان، التعليم الرسمي بالمغرب، مرجع سابق، ص ٥٩.

Scanned by CamScanner

دروس علمية متخصصة من جهة أخرى، ويوجد في كل مسجد عادة إمام وأستاذ وخزانة للكتب، بالإضافة إلى الكراسي العلمية التي يتولاها مدرسون قادرون.[١]

كان المسجد في المغرب المريني مركزاً علمياً لا يخلو طوال النهار بل وجزءً من الليل من حلقات الدراسة والتعليم والوعظ [٢]، فهو عنصر أساسي من عناصر تصميم المدينة المغربية لما له من أهمية دينية وسياسية في حياة المجتمع، كما أن المسجد أسهم منذ قيام الدولة المرينية بدوره التعليمي، إضافة إلى وظائفه الأخرى[٣].

وكانت المساجد في المغرب على رأس مؤسسات التعليم، ولم تمنع فكرة إنشاء المدارس وانتشارها من أن يبقى المسجد مركزاً للتعليم أيضاً، فقد ارتفع فيه مستوى التعليم حتى صار يضم مرحلة التعليم المتوسط ومرحلة التعليم العالي على غرار المساجد في البلدان الإسلامية الأخرى.[٤]

وكانت المساجد في المغرب المريني على نوعين :

أ) **المساجد الكبيرة الجامعة** : وهي التي تقوم الدولة بإنشائها، ويرتب لها السلاطين الأئمة لأداء الوظائف الدينية ويقفون عليها الأوقاف.[٥]

ب) **المساجد الصغيرة** : وهي التي يقوم أهالي الأحياء القرى بإنشائها ويتولون الإنفاق عليها، وترتيب الأئمة لها من أجل الصلاة وغيرها فيها.[٦]

وكان بناء الجامع الكبير بفاس أول إنجازات السلاطين المرينيين، وهو الجامع الذي بناه السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م، وأنفق عليه الأموال الطائلة حتى قيل إن

---

[١] لواح، مراكز التعليم، مرجع سابق، ص ٤٤٦.

[٢] محمد حجي، المدرسة النحوية الأندلسية المغربية ودور سبته فيها، **في سبتة ودورها في إثراء الفكر الإسلامي**، تحرير جمعية الثقافة الإسلامية، تطوان، المغرب، ١٩٨٤م، ص ص ٩١-١٢٩.

[٣] محمد غنيمة، **تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**، دار الطباعة المغربية، تطوان، المغرب، ١٩٩١م، ص ٣٣.

[٤] عثمان الكعاك، **محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٨م، ص ٧٢.

[٥] محمد بن علي بن محمد بن الأزرق (ت ٨٩٦ هـ / ١٤٩٠ م)، **بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق علي سامي النشار، ج١، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م، ص ٢٤٧. محمد عادل عبد العزيز، **التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤٩.

[٦] المرجع ذاته.

Scanned by CamScanner

الثريا التي علقت به كانت تزن تسعة قناطير وخمسة عشر رطلاً، وبلغ عدد كؤوسها مائة وثمانين كأساً.[١]

يقع الجامع الكبير على مقربة من القصر الملكي، وقد أشرف على عمارته أبو عبد الله بن عبد الكريم الحدودي الذي أشرف على التصميمات، ووالي مكناس أبو علي بن الأزرق الذي أشرف على النفقات.[٢] وقد تحدث ابن مرزوق عن هذا المسجد، فقال : " وأجمع المتجولون على أنهم لم يروا له ثانياً" [٣].

يمثل عهد السلطان أبي الحسن مرحلة مزدهرة في بناء وترميم المساجد إذ أن آثاره في هذا المجال كانت كثيرة، فقد شملت معظم المدن المغربية مثل : فاس، وسبتة، وسلا، ومكناسة، ومراكش وغيرها، فقد ذكر مصدر معاصر له أن أبا الحسن :" لم يزل دأبه ذلك في حال إمرته، وخلافته، فله بمدينة فاس.... الآثار الجميلة، والبنايات الحفيلة كمسجد الصفارين، ومسجد حلق النعام، وكل منهما غاية في الكبر والضخامة، وصومعة كل واحد منهما غاية في الارتفاع والحسن، ومساجد عدة وصوامع وبالمدينة البيضاء كذلك، وبالمنصورة من مدينة سبتة الجامع المتصل بالقصر السعيد، وهو جامع حافل وصومعة حافلة ومساجد كذلك بها كثيرة، وبمدينة طنجة وسلا و شالة ما يقضي منه العجب، وبقصبة تازي وبمكناسة ومراكش" [٤]، ولعل النص السابق يوضح لنا حرص السلطان أبي الحسن المريني على بناء المساجد في كافة أرجاء دولته وعدم اقتصارها على العاصمة فاس، حتى تغدو باقي المدن مراكز إشعاع علمي وفكري كمدينة فاس مدينة الفكر الرئيس في دولتهم.

حرص السلاطين المرينيون على تهيئة المساجد كي تؤدي رسالتها على أتم وجه، ومثال ذلك ما أمر به السلطان أبو عنان المريني بأن يوضع في أعلى مآذن مساجد فاس صارياً (عمودا) يرفع عليه بالنهار علم أبيض في أوقات الصلاة، وفي الليل يوقد فوقه سراج زاهر يستدل به من بعد عن المدينة عندما لا يسمع نداء المؤذن.[٥]

---

[١] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٤٠٥. وأيضا ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ١٦٢.

[٢] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ١٦٢. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٨.

[٣] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٠٢.

[٤] المصدر ذاته، ص ص ٤٠١-٤٠٢.

[٥] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٥٢.

Scanned by CamScanner

ولعل الصفة المميزة للمساجد المرينية في فاس العاصمة بالذات هي وجـــود الكراســـي العلمية والتي نود أن نتحدث عنها في الصفحات التالية :

١- **كرسي مسجد الأبارين** : اختص هذا الكرسي بالتفسير والحديث، وكان العديد مـــن العلمـــاء يلقون من فوقه دروسا مختلفة في التفسير والحديث [١]، ومن هؤلاء العلماء أبو القاسم بن محمـــد الغماري الفشتالي (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م).[٢]

٢- **كرسي مسجد الأذرع** : هو من أقدم الكراسي ويقع في مسجد الأذرع [٣]بمدينة فاس، ولكـن لا توجد عنه تفصيلات دقيقة في المصادر التي بين أيدينا ولا نعرف الآن أسماء مـــن تولـــوه فـــي التدريس.

٣- **كرسي مسجد حلق النعام** : يقع على مقربة من مدرسة أبي عنان التي تحدثنا عنـــها، وقـــد أسس هذا المسجد السلطان أبو الحسن الذي أنشأ معه أيضاً كرسياً للتدريس [٤].

٤- **كرسي مسجد زقاق الماء** : هو من أقدم الكراسي العلمية بمدينة فاس وكان هـــذا الكرســـي مختصاً بالتدريس، ولم نستطع معرفة المواد التي كانت تدرس فيه، ولكن عُرف مـــن محتويـــات الخزانة العلمية التي كانت بهذا المسجد أن كتاب حلية الأوليـــاء لابـــن نعيـــم الأصبـــهاني (ت ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، وكتاب الاكتفاء في مغازي الرسول والخلفاء لأبي الربيـــع الكلاعـــي (ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) وغيرها من الكتب كانت من مشمولاتها.[٥]

٥- **كراسي مسجد فاس الجديد الأربعة** : وهذه الكراسي كانت مختصة بالتفسير والحديث والفقـــه والتصوف، ويعد الجامع الكبير بفاس الجديد منذ بنائه من قبل يعقـــوب المرينـــي مـــن الفـــروع الكبرى لجامع القرويين، والعلوم الأربعة التي كانت تدرس بهذه الكراسي جاء التصريح بها فـــي أحد المصادر المعاصرة أثناء الحديث عن السلطان المريني أبي عنان، إذ جاء في رحلـــة ابـــن بطوطة "وأما اشتغاله بالعلم فها هو أيده الله تعالى يعقد مجالس العلم في كل يـــوم بعـــد صـــلاة الصبح، ويخص لذلك أعلام الفقهاء، ونجباء الطلبة بمسجد قصره الكريم [٦]، فيقرأ بين يديه تفسير

---

[١] لواح، مراكز التعليم، مرجع سابق، ص ٤٤٧. التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٨٨.

[٢] هو أبو القاسم بن محمد الغماري، الفقيه المحدث، كان يدرس المدونة بمسجد زنقة حجامة في فاس، وكان مـــن احفظ أهل زمانه للمدونة. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٩. التازي، **جـــامع القرويـــين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٨٨.

[٣] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٧٢. التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٣٨٩.

[٤] التازي، **جامع القرويين**، المرجع ذاته، ج٢، ص ٣٩٢.

[٥] المرجع ذاته، ص ٣٩٤.

[٦] يقصد به الجامع الكبير الذي بناه السلطان أبو يعقوب المريني.

Scanned by CamScanner

القرآن العظيم، وحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وفروع مذهب مالك رضي الله عنه، وكتب المتصوفة" [١].

كانت مساجد سبتة أيضا محل اهتمام سلاطين بني مرين في ميدان التعليم، وكانت كثيرة العدد، وذهب بعض المؤرخين إلى أن عددها يقارب الألف مسجد [٢]، ويبدو أن هذا العدد فيه مبالغة رغم أهمية سبتة في ذلك الوقت، ولكن من المؤكد أن مساجدها كثيرة، ونذكر منها :

١- **المسجد الجامع العتيق :** كان هذا المسجد في الحقيقة جامعة يلتقي في رحابها العديد من أعلام سبتة والوافدين عليها، وتولى الإمامة والخطابة في الجامع المذكور خلال النصف الثاني من القرن السابع الهجري محمد بن محمد حريث العبدري الذي تولى إقراء الفقه فيه ثلاثين عاما، وكان عالما أيضا بالقراءات والحديث.[٣]

٢- **مسجد مقبرة زجلو :** وكانت تدرس فيه علوم عدة مثل الفقه [٤]، ومن العلماء الذين درسوا فيه أبو عبد الله الزرعي الجدميوي السبتي.[٥]

٣- **مسجد القفال :** وكان له دور تعليمي ملحوظ، ومن العلوم التي كانت تدرس فيه الفقه والحديث، ومن العلماء الذين درسوا فيه سعيد الصهناجي.[٦]

وبالإضافة لما ذكرنا كان في سبتة مساجد خدمت التعليم في العهد المريني نذكر منها : مسجد زقاق الفضل، ومسجد زقاق الحرة، ومسجد رحبة الوزان، ومسجد القاضي عياض وغيرها من المساجد.[٧]

---

[١] **تحفة النظار**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥١١-٥١٢.

[٢] الأنصاري، **اختصار الأخبار**، مصدر سابق، ص ٣٠.

[٣] مؤلف مجهول، **بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بسبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٤م، ص ٢٩. حجي، **المدرسة النحوية الأندلسية المغربية ودور سبته فيها**، مرجع سابق، ص ص ٩١-١٢٩.

[٤] مؤلف مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٣٧.

[٥] وهو إمام متصوف، شاعر بارع الوراقة، مصنف، ويقع تاريخه في نحو أربعين سفرا مرتبا على حروف المعجم في أخبار العلماء والأدباء والتعريف بهم وهو بليغ النظم والنثر، مؤلف مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ص ٢٧-٢٨.

[٦] المصدر ذاته، ص ٣٩.

[٧] المصدر ذاته، ص ص ٣٥، ٤١، ٤٣.

Scanned by CamScanner

كانت المساجد تؤدي دورها التعليمي في العهد المريني كما تشير إلى ذلك المصادر التي رجعنا إليها، وكانت تلقى بها غالباً دروس دينية ولغوية، وبقيت مساجد سبته مركزاً للإشعاع العلمي حتى قبيل سقوطها بأيدي البرتغاليين سنة ٨١٨هـ/ ١٤١٥م، ولا شك أن ذلك يؤكد الدور العلمي الذي قام به المسجد في الدولة المرينية كما سنرى.

٢- جامع (جامعة) القرويين :

يعد جامع القرويين أحد المعالم العلمية الهامة في تاريخ المغرب الأقصى منذ إنشائه في منتصف القرن الثالث الهجري / منتصف القرن التاسع الميلادي، حتى وصل إشعاعه إلى عهد بني مرين، إذ واصل عطاءه العلمي حتى أصبح من المؤسسات التعليمية الهامة خلال العهد الذي نحن بصدده، ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن الدراسات حول جامع القرويين كثيرة وهي متوفرة، ويعدّ كتاب عبد الهادي التازي في هذا المجال خير شاهد على ما نقول، ولأهميته (الجامع) في نشاط الحركة العلمية في العهد المريني خصصنا له دراسة منفصلة عن بقية المساجد المرينية نظراً للدور المميز الذي قام به في خدمة التعليم في العهد المدروس.

نشطت الحياة العلمية في جامع القرويين، وذلك لدور المرينيين في إقامة المدارس حوله، فصار بذلك جامعة تستقطب العلماء وتدرس مختلف العلوم، فذاع بذلك صيته، وقصده العلماء للتدريس، وطالبو العلم للاستزادة، وكان ذلك يتماشى مع سياسة سلاطين بني مرين في نشر التعليم.

كانت طبيعة الحياة العلمية في جامع القرويين تسير وفق نظام واضح، إذ كانت معظم مواعيد إلقاء المحاضرات العلمية تبتدئ بعد صلاة الفجر حتى شروق الشمس، أما في الصيف، فكانت الدروس تلقى ليلاً أو منذ منتصف الليل وحتى الواحدة والنصف صباحاً، وقد تمتع الطلبة خلال دراستهم بعطل رسمية.[١]

تميزت جامعة القرويين خلال العهد المريني بوجود الكراسي العلمية فيها، وسنشير إلى ذلك في محله، وكان لهذه الكراسي أوقاف خاصة بها[٢]، ويعدّ كرسي العلم بمثابة ولاية (وظيفة) حكومية عليا كالوزارة، والقضاء، والفتيا، ولا يصل إليه الأستاذ إلا بعد سنوات من التدريس والتبحر في الاختصاص.[٣]

---

[١] الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٤. علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٧٢.

[٢] سنتناول ذلك لاحقا، " الموارد المالية للمؤسسات التعليمية ".

[٣] محمد المنصور الكتاني، **فاس عاصمة الأدارسة**، ط٢، منشورات دار إدريس للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٧٢، ص ص ٥٥-٥٦.

Scanned by CamScanner

تعددت الكراسي العلمية في مدارس القرويين، فقد كان لكل علم كرسي خاص به، ونحن لسنا بصدد إجراء إحصاء لهذه الكراسي، ولكننا نذكر هنا بعض الأمثلة عليها مثل : كرسي مدرسة الحلفاوين للفقه والنحو، وكرسي المدرسة المتوكلية للفقه، وآخر للنحو، وآخر للتفسير والحديث في المدرسة نفسها، وغيرها من الكراسي التي اختصت بعلوم أخرى مثل التاريخ والسير، ثم مختلف العلوم والفنون.[١]

ولجامعة القرويين خلال العهد المريني جهاز إداري يتكون من مجموعة من الموظفين، أسهموا بشكل واضح في ضبط التعليم والإشراف عليه، ومن أبرزهم :

١- **الرئيس** : أو قاضي المدينة الذي كان يشرف على تسيير الجامعة روحيا وماديا، وهو الذي كان يقوم بترشيح الأساتذة للكراسي العلمية التي كان توزيعها أشبه ما يكون بالتقليد الأكاديمي اليوم، لا يتصدى لها عالم إلا بعد وفاة من قبله.[٢]

٢- **القاضي** : كانت وظيفته تتمثل في مراقبة ناظر الأوقاف، والتصديق على الميزانية، وإليه كان يرجع الرأي الأخير في الاصطلاحات التي تدخل على البناية، وتنمية الأئمة، والخطباء، والمدرسين، ورجال الحسبة.[٣]

٣- **القيم** : المراد به اليوم العميد، فقد كان لكل مدرسة علمية كبرى بناها بنو مرين قيم لضبط أحوالها، وتنظيم الدراسة فيها، وقبول الطلاب في مساكنها، وتوزيع الجرايات عليهم.

٤- **المفتي** : كان يشرف على الميزانية التي كانت تحت تصرفه ، وقد خصصت له بناية ليتمكن من أداء واجبه فيها بالإضافة إلى مكتبة الإفتاء الخاصة به، وكانت تخصص له ربع وعقارات يتصرف فيها على ضوء ما يراه مناسباً، وكان له مركز ملتصق بالقرويين له مدخلان: الأول خارجي، والأخر داخلي ، وذلك لإتاحة المجال أمام النساء اللائي يقصدنه من جهة، وإتاحة المجال للمفتي نفسه لتأدية واجباته داخل الجامعة من جهة أخرى.[٤]

---

[١] لمزيد من التفاصيل عن هذه الكراسي العلمية، انظر : التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٣٨٤ - ٤٠٢. وأيضا حركات، **المغرب**، مرجع سابق، ج٢، ص ١٣٧. محمد المنوني، كراسي الأساتذة بجامعة القرويين، **مجلة دعوة الحق**، العدد الرابع، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٦٦م، ص ٩٣.

[٢] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٣٩.

[٣] محمد المهدي الوزاني، **المعيار الجديد (المسمى) النوازل الجديدة الكبرى**، ج١١، فاس، (د.ت.)، ١٩١٠، ص ٦٩. التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٣٩.

[٤] التازي، **جامع القرويين**، ج٢، مرجع سابق، ص ص ٤٣٩-٤٤٠.

Scanned by CamScanner

٥- **المقدم** : وهو المحافظ على الجامع من الأحداث، ويتسم بالحزم والجـــد، وكـان يتمنطـق بكوزية (حزام) تساعده على الحركة السريعة، ويصطحب غالبـا قضيبـا رفيعـا مـن شـجر السفرجل المعروف بلينه وحدته، وكان هذا النوع من المقدمين يسمى (بوسويطة) [١] وهو الاسـم المشتق ربما من السوط نظراً للقضيب الذي يحمله في يده والذي يشبه في نظر العامة السوط.

مما سبق يتبين لنا مكانة هذا الجامع في الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال العـهد المريني، فقد تخرج منه العديد من الطلبة في مختلف العلوم، مساهماً بذلك مع مؤسسات التعليـم الأخرى، في التأثير في المجتمع من كافة النواحي كما سنرى.[٢]

٣- الزوايا :

شهد المغرب في العهد المريني انتشاراً للزوايا في مدنه وأريافه، لتسـهم هـذه الزوايـا بدور هام في نشاط الحركة التعليمية . وبداية لا بد من تتبع تطور لفظ " زاويـة " فـي العـهد المريني، فالزاوية (جمع زوايا) هو اصطلاح خاص بالمغاربة [٣]، ويقصدون بها المركز الـذي يستهوي قلوب الناس لأن مريديها يلتزمون فيها بالعبادة، وتبعدهم عن مشاغل الدنيا وهمومـها[٤]. بالإضافة إلى دورها (الزوايا) المعروف " كمواضـع معـدة لاسـتقبال الواردين، وإطعـام المحتاجين من القاصدين" [٥].

وبلغ من تطور مكانة الزاوية في العهد المريني أن أصبحت في نهاية هذا العهد كأنـها تشير إلى دويلات صغيرة تقوم بمهمة تسيير شؤون المنطقة التي تتصرف بها [٦]، وقد أكسبها هذه الأهمية انتشارها الواسع واتباعها الكثيرون عبر المغرب الأقصى وخارجه، فـأصبحت الزوايـا تعمل على تكوين السكان دينا ودنيا، مستهدفة إصلاحا مزدوجاً للدين والدولة معاً. فكانت تقـوم بدور متميز سواء من ناحية التدريس لبعض العلوم كما سنرى بعد قليل، أو من ناحيـة تـأطير

---

[١] التازي، **جامع القرويين**، ج٢، مرجع سابق، ص ٤٤٠.

[٢] انظر : الفصل الثالث " تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع".

[٣] ويطلق عليها في المشرق الربط والخانقات وهو لفظ أعجمي، وكانت الرباطات تشبه الزوايا في بعض الوجوه، ولكن الرباطات تمتاز بقربها من حدود الأعداء وهدفها الأول الجهاد ضدهم. الأنصاري، **اختصار الأخبـار**، مصدر سابق،، ص ٣١. ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤١١.

[٤] الكعاك، **محاضرات**، مرجع سابق، ص ٥٣.

[٥] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤١٣.

[٦] عبد السلام شقور، " شعر المتصوفة المغاربة في عصر بني مرين"، **مجلة دعوة الحق**، العدد ٣٠٠، الربـاط، ١٩٩٣م، ص ٦٣.

Scanned by CamScanner

الناس أخلاقيا واجتماعيا واقتصاديا، حيث كانت تفصل في الخصومات بين الأفراد والجماعات، وكانت هي التي تضمن محتويات العقود في مختلف المعاملات في الزواج وغير ذلك من الارتباطات المباشرة بحياة الناس. [١]

لقد ظهرت الطرق الصوفية بالمغرب الأقصى وقامت بدور روحي واجتماعي وتعليمي، وكان لها أتباع، وخاصة في الأرياف، ونود هنا ذكر أهمها :

١- الطريقة القادرية : المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ/ ١١٦٥م) دفين بغداد [٢].

٢- الطريقة المدينية : المنسوبة إلى الشيخ أبي مدين شعيب، دفين تلمسان. [٣]

٣- الطريقة الشاذلية : وهي منسوبة إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي يرجع أصله إلى المغرب الأقصى والذي توفي في جنوبي مصر. [٤]

ويهمنا هنا الأثر الذي تركته هذه الطرق الصوفية [٥] في المجتمع المغربي، فقد استطاعت الزوايا التابعة لها أن تكتسب ثقة الناس بفضل التعليم الديني الذي أشاعته بين العامة، كما سنرى، وقامت بترسيخ الإسلام في الأرياف المغربية ومدنه [٦]، وبفضل سيطرة الدولة على مقاليد التعليم الرسمي في المدارس وتعيين المدرسين فيها.

إن انتشار هذه الطرق الصوفية في الأرياف المغربية خاصة، ربما يدل على فشل الدولة المرينية في تلبية حاجات المجتمع المادية والروحية من خلال المؤسسات التعليمية التابعة للدولة،

---

[١] الرضوان، التعليم الرسمي بالمغرب، مرجع سابق، ص ص ٦١-٦٢.

[٢] ونشأت طريقته في بغداد ثم انتقلت إلى المغرب عن الطريق أبي مدين صاحب الطريقة المدينية. بل، **الفرق الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٤٠٥. وانظر ترجمة مؤسسها في : محب الدين أبو محمد عبد القادر بن موسى الجيلاني (ت ٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٢٢٢. وللمزيد عن نشأة الطريقة القادرية انظر : ماجد عرسان رباع الكيلاني، **نشأة الطريقة القادرية**، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٧٤م، ص (و) وما بعدها.

[٣] انظر : " الفصل الثالث" الناحية الثقافية .

[٤] انظر : " الفصل الثالث"الناحية الثقافية.

[٥] وقد تفرعت عن هذه الطرق فروع منها : الشعيبيون، الصنهاجيون، الماجريون، الحجاج، الحاجبون، الغماتيون. للمزيد عن هذه الفروع الصوفية. انظر : أبو العباس أحمد الخطيب ابن قنفذ القسنطيني (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م)، **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر وتصحيح محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م، ص ص ٦٤-٦٦.

[٦] بل، **الفرق الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٤٠٥.

Scanned by CamScanner

وخاصة المدارس والمساجد الجامعة، مما جعل الزوايا هي التي تقوم بـــهذا الـــدور (ولاســيما الروحي)، فقد اصبح لها (الزوايا) أتباع ومريدون كثر في المغرب الأقصى خلال العهد الـــذي ندرسه [١]، وقد انتشرت الزوايا في أنحاء متفرقة في أرض المغرب، بفضل الاهتمام الـــذي أبـــداه بعض السلاطين المرينيين ببناء الزوايا منذ توليهم السلطة، فقد كان السلطان يعقـــوب بـــن عبـــد الحق أول من اهتم ببناء الزوايا في الخلوات، وأوقف عليها العديد من الأوقاف.[٢]

ومن خلال ما يتوافر لدينا من معلومات يتبين لنا أن القرن الثامن الهجري / الرابع عشـر الميلادي، يمثل فترة نشطة في بناء الزوايا، وقد نمت حولها مدارس استقر فيها طلبة العلم[٣].

ومن الزوايا التي أنشأها السلاطين المرينيون زاويتا السلطان أبي الحسن المرينـــي فـــي مدينة مكناسة وهما :

أ- **الزاوية القديمة :** بناها في عهد والده ، وكانت تعرف أيضا بزاوية القورجة.

ب- **الزاوية الجديدة :** بناها أثناء ولايته، وكانت تعرف بزاوية " باب المشاوريين".[٤]

ومن الزوايا التي بناها السلطان أبو الحسن المريني أيضا الزاوية المعروفة باسمه داخـــل سور مدينة سلا، وذلك سنة ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م، وزاوية أبي زكرياء الحـــاحي الواقعـــة غربـــي المسجد الأعظم بسلا.[٥]

كما أسهم السلطان أبو عنان فارس المريني ببناء الزوايا، وأنفق عليها بســـخاء منقطـــع النظير، ومنها زاوية النساك خارج سور سلا، وهي التي بناها سنة ٧٥٧هـــ/ ١٣٥٦م [٦]، ثـــم

---

[١] بل، **الفرق الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٤٠٥. الرضوان، التعليم الرسمي بـــالمغرب، مرجـــع ســـابق، ص ص٦١-٦٢.

[٢] محمد عادل، **التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص ص ٤٠-٤١.

[٣] محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنيـــة، الربـــاط، ١٩٦٤م، ص ٢٥.

[٤] ابن غازي، **الروض الهتون**، مصدر سابق، ص ٣٤. ابن زيدان، **إتحاف أعلام الناس**، مرجع سابق، ص ص ١١٧-١٢٢.

[٥] محمد بن أبي بكر الحضرمي (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م)، **السلسل العذب والمنهل الأحلـــى**، تحقـــيق محمـــد الفاسي، مستل من **مجلة معهد المخطوطات العربية**، م١٠، ج١، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٤١. علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٨٢.

[٦] الدكالي، **الإتحاف الوجيز**، مرجع سابق، ورقة ٤١ ب.

Scanned by CamScanner

الزاوية المتوكلية [١] على غدير حمص في فاس والتي ظلت قائمة حتى بداية القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وتكونت هذه الزاوية من ثلاث غرف : إحداها : للإمام، والثانية : للمؤذن، والثالثة : لناظر الأحباس، وفيها داران : الأولى : لنزول الواردين (الفقراء والغرباء)، والثانية : للطبخ، كما اشتملت على صومعة، وصهريج، وكان يقابلها مسجد.[٢]

ولم يكن غرضنا من ذكر الزوايا السابقة ذكر قائمة بها، ولكن الإشارة إلى أهمها في ميدان التعليم كما سنرى بعد قليل، وينبغي الإشارة هنا إلى أن السلاطين المرينيين كانت لهم أهداف أخرى من بناء الزوايا، أهمها التقرب من رجال التصوف الذين كان لهم تأثيرهم في المجتمع، ودليل ذلك ما حدث في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني عندما كادت الحركة الصوفية أن تتحول إلى ثورة شعبية تجتاح سلطانه، وذلك عندما أعلن أحدهم وهو العباس بن صالح أنه (رسول الفاطمي)[٣]، وتفاديا للأمر سعى السلاطين المرينيون إلى رفع منزلة الصالحين والتقرب منهم فكان بناء الزوايا كما يبدو يحقق بعض الأهداف السياسية.

لقد كانت هذه الزوايا تجمع المريدين الذين كانوا يدرسون الوصايا المتعلقة بالآداب العامة والأخلاق والمعاملات [٤]. أو توجيهات مؤسس الزاوية الذي يطلق عليه مصطلح الشيخ وهو عادة من رجال التصوف، أو من خلفه على رأس الزاوية، وكانت أعمار المريدين غير محددة فهي تمتد من الشباب إلى الشيخوخة [٥]، وبما أن هذه الزوايا كانت مواضع معدة في الأساس لإطعام المحتاجين، فإن ذلك قد أتاح الفرصة لطلاب العلم في الزوايا للتفرغ كليا

---

[١] سميت بهذا الاسم نسبة لمؤسسها السلطان أبي عنان المريني الملقب بالمتوكل على الله، ابن الأحمر، **روضة النسرين**، مصدر سابق، ص ٢٧.

[٢] إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم بن الحاج النميري (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، **فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى منطقة قسنطينة والزاب**، تحقيق محمد بن شقرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص ص ٤٧-٤٩. علاوي، **الدولة المرينية**، مصدر سابق، ص ١٨٢.

[٣] عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد البادسي (ت ٧٢٢ هـ/ ١٣٢٢ م)، **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعرب، المطبعة الملكية ، الرباط، ١٩٨٢م، ص ١١٥.

[٤] ذكر صاحب **السلسل العذب**، بعض هذه الوصايا، ومنها :" الخير في ترك الشبهات، والورع عن المنهيات، ورد التباعات، وترك الغيبة والنميمة، وبذل النصيحة، والاجتهاد في اتباع السنة... وقضاء الصلوات، والورع في المعاملات، والأخذ بالأوسط من الحالات، والتحرز عن بنيات الطرقات، والشذوذ من العبادات". الحضرمي، مصدر سابق، ص ٤٣.

[٥] بل، **الفرق الإسلامية**، ص ص ٣٨٣-٥٠٤. علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٨٣.

Scanned by CamScanner

للدراسة، وعدم اشتغالهم بأمور حياتهم المعيشية [١]، وتعددت التفرغ للخلوة والعبادة إلى تلقين العلوم الإسلامية بكافة فروعها.[٢]

وكانت هذه الزوايا في العهد المريني عبارة عن مدارس دينية وصوفية معاً، إذ كانت "محل تثقيف العقول دينياً وأدبياً " [٣]، لذا نجدها قامت بدور بارز في حركة التعليم أيضاً فكان يدرس بها القرآن الكريم والحديث الشريف، والتهذيب،والفرائض، والحساب.[٤]

وهكذا يتضح لنا مما سبق الدور الذي أسند للزوايا في المغرب في ميدان العلم، بالإضافة إلى ميدانها الرئيس وهو الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله وتهذيب النفوس ثم دورها في المجتمع وحتى في النواحي العسكرية وغيرها كما سنرى.[٥]

٤- البيمارستانات :

حرص بنو مرين منذ توليهم بلاد المغرب الأقصى على إنشاء المستشفيات لما للطب في نظرهم من أهمية في حياة الناس، وقد عرف العهد المريني نوعين من معاهد التعليم الطبي، وهما :

١- **المدارس الطبية النظرية.**

٢- **البيمارستانات (المستشفيات).**

ورغم أن المدارس الطبية النظرية لم تحقق نجاحاً باهراً في العهد المريني[٦]، إلا أن البيمارستانات فيه كانت أشبه بالمدارس الطبية والعلمية في العالم الإسلامي مثل مدرسة جند نيسابور. ومن البيمارستانات في العهد المريني نذكر مدرسة الطب العليا التي بناها السلطان أبو

---

[١] نجاح القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد التاسع عشر، بغداد، العراق، ١٩٨١م، ص ١٨٥.

[٢] محمد علي بن الصديق، التصوف المغربي وتاريخه، **مجلة دعوة الحق**، العدد ٢٨٥، الرباط، المملكة المغربية، ١٩٩١م، ص ٦٨.

[٣] بطرس البستاني، **دائرة المعارف**، ج٩، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران، (د.ت.). وانظر : علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٨١.

[٤] ابن قنفذ، **أنس الفقير**، مصدر سابق، ص ٦٥. علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٨٣.

[٥] انظر : الفصل الثالث : " تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع".

[٦] سنتناول أسباب ذلك أثناء الحديث عن الطب في: " الفصل الثاني".

Scanned by CamScanner

عنان المريني في مدينة سلا سنة ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م [١]، فقد كانت البيمارستانات تجمع بين الدروس النظرية والتطبيقية، فالأطباء كانوا يعملون أحياناً بتحضير الأدوية واستخراجها من المواد الكيمياوية ويعلمون التلاميذ هذه الصناعة علماً وعملاً [٢]، وهي بذلك تختلف عن المدرسة الطبية التي كانت تلقى بها فقط بعض الدروس النظرية.

ولعله من المفيد هنا أن نذكر بعض البيمارستانات التي بناها المرينيون. ففي مدينة فاس وجد البيمارستان الذي بناه السلطان يعقوب بن عبد الحق للمرضى والمجانين، وخصص له أوقافاً وكل ما يحتاجه المرضى من أغذية وفواكه، وخصص له أيضاً الأطباء ليقدموا الرعاية الطبية فيه للوافدين.[٣]

ومن هذه البيمارستانات ما بناه السلطان أبو الحسن بفاس، فقد جدد رسم المارستان القديم بنفس المدينة لمداواة المرضى والتخفيف من معاناتهم[٤]، واهتم بالعلاج الطبيعي بإنشائه (حمة خولان) [٥]، وأشهرها مارستان أبي عنان سابق الذكر، والذي اشتمل على بيوت كثيرة لإقامة المرضى والمجانين والحمقى، وأجرى لها الماء من الداخل على السور الذي بناه أبو الحسن، ورتب له أبو عنان قومة وأطباء للاهتمام بالمرضى ومداواتهم.[٦]

وتولى إدارة هذه البيمارستانات نظار تعينهم الدولة لهذا الغرض، منهم محمد بن القاسم بن أبي بكر القرشي المالقي.[٧]

---

[١] الدكالي، **الإتحاف الوجيز**، مرجع سابق، ورقة رقم ٤٤ ب . انظر : الغنيمي، **موسوعة تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ج٥، ص ٢٧٥.

[٢] محمد بن أحمد ابن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر**، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م، ص ٣٢٤.

[٣] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص ٦٥.

[٤] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤١٥.

[٥] هي حمة عظيمة تقع بالقرب من مدينة فاس بسيدي حرازم، وماؤها شديد السخونة وتبلغ حرارته ٣٥ درجة مئوية، حيث تنبع منها مياه غنية بالغاز الكاربوني، وهذه المياه يستشفى بها الأعلاء والمرضى. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٣٦. الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٣٦. ابن الحاج، **فيض العباب**، مصدر سابق، ٢٨٦. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٨.

[٦] حركات، **المغرب**، مرجع سابق، ج١، ص ١٦١.

[٧] أحد أطباء الأندلس، رحل إلى المغرب الأقصى، وعينه السلطان أبو عنان المريني على إدارة بيمارستان بفاس سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٩. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٠٣. ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

Scanned by CamScanner

وكما أنشئت في الرباط في العهد المريني مدرسة الجامع الكبير، وهي التي تحولت إلى المارستان المريني، وكانت المدرسة في السابق مخصصة لطلبة العلم المترددين على تلقي العلم بالجامع الكبير.[١]

وهكذا يتبين لنا اهتمام السلاطين المرينيين بالمستشفيات والمدارس الطبية والتي كان لها دور بارز في ظهور نخبة من الأطباء في المغرب، كما سنرى، أسهموا بشكل فعال في تطوير علم الطب في العهد المريني، إضافة لما لهؤلاء الأطباء من دور هام في معالجة المرضى، والاهتمام بهم في المستشفيات التي أنشئت لهذا الغرض.

٥- البيوتات الخاصة :

تعد البيوتات إحدى المؤسسات التي خدمت التعليم في عهد بني مرين، وعلى الرغم من ندرة المعلومات التي تشير إلى طبيعة هذه البيوتات أو الحلقات العلمية الخاصة التي عقدها العلماء في أماكن مختلفة بعيدة عن المسجد، إلا أننا وجدنا، ومن خلال دراستنا للعديد من تراجم العلماء، إشارات إلى بعض الحلقات العلمية التي يعقدها كبار العلماء لبعض خواص الطلبة من أبناء السلاطين ونحوهم، ومما يلفت النظر أننا لا نجد إشارة واضحة للمكان الذي كان يدرّس فيه هؤلاء العلماء، فربما كان في دور العلماء أنفسهم. والمعلوم أن بعض العلوم كانت لا تدرس إلا في المدارس، كالعلوم البحتة التي كانت تدرّس بعيداً عن جامع القرويين وغيره من المساجد، فهناك إذن طلبة درسوا على يد كبار العلماء ولم يشيروا صراحة إلى مجالس أساتذتهم. فهذا عبد الرحمن اللجائي (ت ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م) [٢] يذكر أنه ذهب إلى مراكش ودرس عند ابن البناء المراكشي[٣]، ولكنه لم يشر إلى مجلس أستاذه.[٤]

---

[١] عبد الله السويسي، **تاريخ رباط الفتح**، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٩، ص ١٢٣.

[٢] كان فقيها، وله عدة مؤلفات، ووالده أول من أدخل فرعي ابن الحاجب في المغرب وأخذ عنه (والده) هذا العلم. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٢٤٨.

[٣] عن حياته ومساهماته العلمية، انظر : **موسوعة آل البيت الثقافية**، ج١، منشورات آل البيت، عمان، ١٩٩٦م، ص ص ١٨٩-١٩١.

[٤] ابن قنفذ، **أنس الفقير**، مصدر سابق، ص ٦٨. علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٨٠.

Scanned by CamScanner

ويمكننا القول أن بعض العلماء لم يعقد حلقة دراسية في المساجد. ومن هؤلاء الآبلـــي[١]، الذي قضى بعض الوقت ينشر العلم في جبال الهساكرة، واستفاد منه الطلبة، وقد جمعوا مؤلفاتـــه ودرسوها.[٢]

ومن جهة أخرى كانت منازل بعض العلماء مجالس للعلم أيضـــاً، ومـــن هـــؤلاء ابـــن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١هـــ/١٣٧٩م)، الذي قيل عنه بأنه كان :" غاص المنزل بالطلبـــة "[٣]، ويبدو أن بعض العلماء قد خصصوا بيوتاً غير بيوتهم أيضاً لإعطاء الدروس فيها لطلبتهم، وهـــي التي يشار إليها بـــ: " بيت الكتب"، وربما هي دكاكين الوراقين أو المكتبات الخاصـــــة، وكـــانت حوانيت بعضهم أيضاً يعقد فيها مجلس علمي لطلبة العلم، وقيل عن هذه المجالس أنها كـــــانت :" تضم نخبة من المثقفين ثقافة فقهية وأدبية، وفيـــــهم العـــالم، والأديـــب، والمـــؤرخ، والفرضـــي والحيسوبي، والتعاليمي، والمحاضر بالطرائف والفرائد والأخبار"[٤].

وعلى أية حال فقد عرفت مدن المغرب الأقصى بعض الحلقات الخاصة التي كان يعقدها كبار العلماء لبعض أبناء السلاطين. وتذكر المصادر أمثلة على ذلك. ذلك أن السلطان أبا الحســن المريني قد طلب من ابن مرزوق التلمساني التدريس لبعض أولاده[٥]، لكن ابن مرزوق في مسـنده لم يذكر أسماء أولاد أبي الحسن الذين قام بتدريسهم. وربما قام علماء آخـــــرون بتدريـــس أولاد السلاطين الآخرين.

كما أن بعض البيوتات كانت أشبه بكتاتيب خاصة لتدريس أبناء العائلات صاحبة النفـــوذ والجاه، فهذا مكتب محمد بن عبد الله بن الأصفر[٦]، الذي قيل عنه إنه كان يدرس أولاد أكابـــــر

---

[١] هو محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، أصله من الأندلس، تتلمذ على يد ابـــن البنـــاء المراكشـــي وغيره من العلماء، ورحل إلى المشرق ولقي بعض العلماء وأخذ منهم، توفي بفاس سنة ٧٥٧ هـــ/ ١٣٥٩م. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٠٤-٣٠٥. وأيضاً أحمد بن محمد القاضي المكناســـي (ت ١٠٢٥هـــ/ ١٦١٦م)، **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبوالنـــور، ج٢، دار الـــتراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس (د.ت.)، ص ٢٦٥. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٢١.

[٢] ابن خلدون **بغية الرواد**، مصدر سابق، ص ١٢٠. علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٨٠.

[٣] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٢، ص ١٠٤.

[٤] عبد القادر زمامة، **أبو الوليد بن الأحمر**، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضـــاء، ١٩٧٨، ص ١٤٠. وانظر : علاوي، **الدولة المرينية**، مرجع سابق، ص ١٨١.

[٥] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٤٨٦.

[٦] شيخ صالح نحوي، من أهل سبتة، كف بصره آخر عمره، مؤلف مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر ســـابق، ص ٤١.

Scanned by CamScanner

البلاد [١]، وكذلك مكتب عبد الله بن أبي مدين [٢]، الذي درّس فيه لأولاد محمد الكناني حاجب يعقوب بن عبد الحق والوزير عمر الحشمي[٣]، ثم مكتب عبد الله بن محمد الزكندري (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م)[٤]، والذي قرأ عليه فيه جماعة من طلبة سبتة وانتفعوا به [٥]، واهتمت بعض البيوتات الفاسية بتدريس الصبيان القرآن الكريم، والكتابة من أمثال : بيت ابن الزواوي[٦]، وبيت ابن أبي مدين.[٧]

ومن هنا نلمس الدور الذي قامت به هذه البيوتات الخاصة في نشر العلم في الدولة المرينية حتى شمل كبار رجال الدولة بل ومختلف الطبقات، وغدا النشاط العلمي أمرا يُبذل فيه الجهد الحاكم والمحكوم.

٦- المكتبات :

تعد المكتبات من المؤسسات العلمية الأساسية، والتي أسهمت بشكل واضح في الحركة التعليمية في العهد المريني، والمحافظة على التراث الإسلامي الفكري في بلاد المغرب، ويمكننا هنا أن نميز بين نوعين من المكتبات، وهما :

---

[١] مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٤١.

[٢] كان فقيها وكاتبا، رحل إلى مكناسة واستوطنها، ثم رحل إلى فاس، سمي بالحاجب، وتقلد الحجابة في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق. ابن الأحمر، **روضة النسرين**، مصدر سابق، ص ٢٧. وأيضا أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد بن الأحمر (**ت** ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧ م)، **مستودع العلامة ومستبدع العلامة**، تحقيق محمد التركي التونسي، ومراجعة محمد بن تاويت التطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٣٣م، ص ٤١. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣٨.

[٣] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣٨.

[٤] قاضي الجماعة بمراكش، كان فقيها، درّس في مراكش التفسير والحديث. انظر : ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٨٤. والذي ذكر أن اسمه الزكنوري وأن وفاته كانت سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م وليست سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٢٢٤.

[٥] مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٣٣.

[٦] هم أصهار ابن الحاج القاضي، وبيتهم من البربر من قبيلة زواوة الذين هم بجوار مدينة بجاية، وهم بيت فقه وتعليم للقرآن، ومنهم الفقيه محمد بن علي الزواوي. ابن الأحمر، **بيوتات فاس**، مصدر سابق، ص ١٠.

[٧] بيت فقه وكتابة وحجابة وثروة، وأول من قدم منهم على فاس عبد الله بن أبي مدين. ابن الأحمر، **بيوتات فاس**، مصدر سابق، ص ٥٦.

Scanned by CamScanner

أ) **المكتبات العامة** : وهي التي يستطيع أي طالب علم أن يرتادها ليستفيد منها، وهذا النوع قد انتشر في العهد المريني انتشاراً ملفتاً للنظر، وإن كانت المصادر التي بين أيدينا والدراسات الحديثة لم تعطنا الإحصاءات لعدد هذه المكتبات ولا عدد الكتب الموجودة فيها. وقد اهتم السلاطين المرينيون بهذا النوع من المكتبات، وأول هؤلاء السلاطين، وهو يعقوب بن عبد الحق، حرص على أن يحصل على مجموعة الكتب الأندلسية التي كانت بين أيدي الأسبان، ووصل من شدة حرصه على ذلك أنه كان يشترط استرداد هذه الكتب في معاهدات الصلح بينه وبين الأسبان، وهذا ما فعله مع سانشو الرابع (Sansho IV) [١]، ملك قشتالة المسيحية عندما عقد معه الصلح سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م [٢]، وفي هذا يقول ابن أبي زرع : " ولما صرفه إلى بلاده أمره أن يبعث إليه ما يجده في بلاده بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين ومصاحفهم، فبعث إليه منها ثلاثة عشر حملاً فيها جملة من الكتب كالكتاب العزيز وتفسيره... ومنها كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار، وكتب الأصول والفروع، واللغة العربية، والآداب وغيرها، فأمر.... بها فحملت إلى مدينة فاس فحبسها على طلبة العلم بالمدرسة التي كان بناها.[٣] ونلاحظ هنا أن السلطان يعقوب بن عبد الحق قد طلب من سانشو الرابع(Sancho IV) أن يرسل إليه هذه الكتب، فقام سانشو بإرسالها، مما يفهم منه هزيمة النصارى والاعتراف منهم بانتصار المسلمين.[٤]

---

[١] هو أحد حكام مقاطعة قشتالة المسيحية، وتولى الحكم بعد حروب أهلية مع والده ألفونسو العاشر (Alfonso X)، وانتهت هذه الحروب بوفاة والده، واستمر حكمه عشر سنوات (٦٨٣هـ/١٢٨٤م- ٦٩٥هـ/١٢٩٥م). ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٣٣٧.

[٢] وكان لهذه المعاهدة أهمية كبيرة بالنسبة للدولة المرينية، فقد أظهرت قوة وعزة هذه الدولة، وتمثل ذلك بفرض المرينيين لشروط الصلح التي يريدونها مع الأسبان والتي كان من أبرزها : مسالمة المسلمين كافة سواء أكانوا تابعين للمناطق التي يحكمها يعقوب بن عبد الحق، أو تلك التابعة لمملكة غرناطة، ومن شروط المعاهدة أيضاً أن تنبذ قشتالة سياسة الدس والفتنة بين الأمراء المسلمين، وأن ترفع الضريبة عن تجار المسلمين الذين يوجدون في المناطق الخاضعة لنفوذ ملك قشتالة. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٢٦٥. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٤٨. محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الرابع، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٠٦. عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، المحمدية، م٧، المغرب، ١٩٨٦م، ص ٦٧.

[٣] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٣٦٣. السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣،ص ص ٦٣-٦٤. والمدرسة المذكورة في آخر النص المقصود بها مدرسة الصفارين سابقة الذكر، وانظر : فقرة المدارس.

[٤] ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٤٨.

Scanned by CamScanner

وقد اقتفى أثر السلطان يعقوب بن عبد الحق في تأسيس المكتبات العامة أبناؤه من بعده، فاستكثروا من الكتب ووقفوا عدة خزائن منها على طلبة العلم بجامع القرويين، والجدير بالذكر أنه لما أتم ابن خلدون تاريخه أهدى هذه الخزائن نسخة منه.[١] ولا شك أن هناك مؤلفين آخرين فعلوا مثله.

ولم تكن فكرة إنشاء دار مستقلة للكتب معروفة قبل العهد المريني في المغرب الأقصى، فمن المعروف أن هذه الخزائن كانت ملحقة ببعض مؤسسات التعليم الأخرى كالمدرسة والمسجد، أما إنشاء خزائن مستقلة للكتب فقد ظهرت في عهد السلطان أبي عنان فارس بن علي المريني (ت ٧٥٩هـ/١٣٥٧م)، عندما فكر أن ينشئ في الركن الشمالي الشرقي للقرويين خزانة الكتب العلمية ليستفيد منها طلبة العلم الذين يتواردون على مدينة فاس، وقد ضمت هذه الخزانة مجموعة كتب من مختلف العلوم، وقد نوه بها الجزنائي قائلاً :" .... بأن أخرج (السلطان) من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأديان، والأبدان، والأذهان، واللسان، وغير ذلك من العلوم على اختلافها وشتى ضروبها وأجناسها" [٢].

وألحق أبو عنان بهذه المكتبة خزانه للمصاحف أعد تصميمها بنفسه، وأودع فيها عدداً كبيرا من المصاحف الشريفة، الحسنة الخطوط ليسهل على الناس تلاوة القرآن الكريم، وقد كتب على كل جزء من المصاحف بخط يده إشارة إلى وقفها مدى الأعوام والليالي[٣]، كُتب فوق هذه الخزانه ما نصه :" الحمد لله أمر بعمل هذه الخزانة السعيدة مولانا أمير المؤمنين المتكل على رب العالمين عبده فارس أيد الله أمره، وأعز نصره بتاريخ شوال سنة خمسين وسبعمائة " [٤]. ومما يذكر بهذا الصدد أن بعض السلاطين كانوا ينسخون المصاحف بأيديهم، ومنهم أبو الحسن نفسه.[٥]

ولم يقتصر إنشاء المكتبات العامة على العاصمة فاس بل شملت المدن المغربية الأخرى، مثل مدينة سبتة والتي كانت لها شهرة خاصة بكثرة الكتب [٦].

---

[١] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٨.

[٢] **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٧٦.

[٣] المصدر ذاته.

[٤] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٧٤.

[٥] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٣٧٤. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٣١٢.

[٦] أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، م٧، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢١٠.

Scanned by CamScanner

وكان تنظيم تلك المكتبات والإشراف عليها على نحو ما هو معروف الآن تقريباً من استخدام أمناء (قيمين) للمكتبات لإخراج الكتب من المكتبة، وردها عند فراغ الناس منها للمحافظة عليها.[١]

ب- **المكتبات الخاصة :** تكون هذه المكتبات في دور الأكابر والأغنياء، وهي كثيرة وليس من السهل حصرها، ولكننا سنذكر بعضها، فقد اشتهرت بعض العائلات في المغرب بامتلاك مكتبات مثل : خزانة بني العجوز[٢]، وخزانة الشيخ أبي الحسن علي الشاري ، وهي التي بناها من ماله الخاص، وهي على ما قيل أول خزانة وقفت بالمغرب على أهل العلم[٣]، بالإضافة إلى مكتبة آل العزفي (أمراء سبتة)[٤]، التي ولع أهلها بنسخ الكتب، وكان محمد بن يحيى بن أبي طالب[٥]، أشهر هؤلاء نسخاً للكتب، واتصف ببراعة الخط.[٦]

ومما ميز المكتبات عموماً في العهد المريني أنها احتوت كتباً من مختلف العلوم. ويبدو أن حركة التأليف التي نشطت في هذا العهد كان لها دور في كثرة المكتبات، مع ملاحظة أن المكتبات الخاصة والعامة على السواء ليست إلا وسيلة لنشر التعليم وتكوين الطلبة والمثقفين وشحذ أذهان العلماء والمدرسين. وكانت هذه المكتبات تنمو بسبب حرص السلاطين والخاصة على إنشائها وتزويدها بالعديد من الكتب التي تحتوي على علوم الأديان والأبدان والأذهان واللسان، وتحبيس الكتب عليها مثلما فعل السلطان أبو عنان الذي أعد، في خزانة المصاحف التي جعلها في قبلة صدر جامع القرويين، جملة من المصاحف الحسنة الخطوط[٧].

---

[١] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٧٦.

[٢] من البربر، وهم بيت علم وفقه، ومن أشهر علمائهم عبد الرحمن العجوز، ابن الأحمر، **بيوتات فاس**، ص ١٤.

[٣] الأنصاري، **اختصار الأخبار**، مصدر سابق، ص ص ٣١-٣٢.

[٤] إحدى بيوتات فاس المشهورة، والغالب أن أصلهم من الأندلس. لسان الدين بن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م)، **نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د .ت.)، ص ٢٣٥.

[٥] هو محمد بن يحيى بن أبي طالب بن أبي القاسم العزفي، بويع بسبتة بعد وفاة أبيه يحيى في عام ٧١٩هـ/ ١٣١٩م، وخلع بعد عام، وتوفى بفاس وهو كاتب في الحضرة المرينية عام ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٤٢.

[٦] ابن حجر، **الدرر الكامنة**، مصدر سابق، ج٥، ص ٥٢.

[٧] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٧٦

Scanned by CamScanner

ولكي يستفيد العلماء والطلبة من هذه المكتبات عين لها السلاطين فنيين (نظاراً) لضبطها ومناولة ما فيها وصيانتها بين فترة وأخرى لتكون الكتب بمتناول الجميع [١].مما كان له الأثر في نشاط التعليم في العهد المريني، ونشاط العلماء الفكري في مختلف العلوم العقلية والنقلية وخاصة في مجال التدريس، وهذا ما سنحاول أن نتحدث عنه في فصل لاحق.

ثانياً : الموارد المالية للمؤسسات التعليمية :

تنوعت الموارد المالية للمؤسسات التعليمية في العهد المريني، فقد كان للتعليم عدة موارد يستمد منها المال اللازم الذي يغطي نفقات هذه المؤسسات، ويمكن حصر الموارد المالية في عدة أبواب أهمها :

أ) الأوقاف (الأحباس) : وهي أهم موارد التعليم في هذا العهد، وأكثرها دخلاً من أجله، وقد ساهمت بشكل واضح في استمراره، وانتظامه في المؤسسات التعليمية وتعددت شكلاً وقيمة، وهي كما سنرى عبارة عن مجموعة أملاك عقارية، أو زراعية أو ما شابه ذلك من أنواع الملكية الخاصة التي لأصحابها حرية التصرف فيها فيخصصون الأموال التي تحصل منها في الصرف على أغراض عديدة، اجتماعية أو دينية أو تعليمية، وهذا التخصيص (الوقف) يعد أبدياً، لا يجوز تحويله لأغراض أخرى غير التي خصص من أجلها، كما لا يجوز رهنه، أو تغيير جزء من هيكله الأصلي.

وساهم الأغنياء في المغرب ممن كانوا يملكون مزارع وموارد متنوعة بشكل كبير في إثراء الأوقاف بمزيد من المبرات الوقفية، وذلك بدافع الروح الدينية التي تجعل المؤمن ينظر إلى الثواب الأخروي أكثر مما يهمه لمن يوقف شيئا من موارده الخاصة [٢]، ولا بد أن نذكر أن أوقاف الأفراد بالمغرب قديمة [٣]، ولكن الجديد في العهد المريني هو اهتمام السلاطين برصد الأوقاف الكثيرة كما سنرى، وكانت فاس هي البلد المغربي الذي لفتت أحباسه نظر المؤرخين، ومنهم إبن الخطيب الذي ذكر أن :" أوقافها جارية "[٤]، وهذا يعني أن هذه المدينة كانت تحتل فيما يبدو

---

[١] انظر : الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٧٦.

[٢] حركات، معالم من التاريخ الاجتماعي للمغرب، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

[٣] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ص ٥٥-٥٦.

[٤] لسان الدين بن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني(ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤ م)، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث، المحمدية، ١٩٧٧م، ص ٧٩.

Scanned by CamScanner

الصدارة على بقية المدن المغربية الأخرى في هذا الميدان، بما فيها مدينة مراكش التي سجل ابن مرزوق: " وفرة أحباسها "[١]، والتي يشاع في بلاد المغرب تدوينها على لوحات رخامية.[٢]

ويستعمل الوقف في أغراض كثيرة، منها : العناية بالعلم والعلماء والطلبة وخاصة الفقراء منهم، والعناية بالمساجد والمدارس والجوامع الكبرى والزوايا وغيرها من مؤسسات التعليم، لذا فقد تنوعت الأوقاف في العهد المريني، وتفرعت في كثير من جهات المغرب إلى عدة فروع كان من أبرزها :

١- أوقاف المدارس :

ساهم السلاطين المرينيون في هذه الأوقاف بشكل كبير كما لاحظنا، وكانت الأوقاف المخصصة للمدارس تتميز بالضخامة وخاصة فيما يتعلق بالإنفاق على البناء، وفخامته، بالإضافة إلى رواتب العلماء والطلبة، فالسلطان يعقوب بن عبد الحق عندما بنى مدرسة الحلفاوين سنة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، أجرى على الخدم والمؤذنين والفقهاء والطلبة فيها المرتبات والمؤن واشترى عدة أملاك وأوقفها عليها كما أشرنا.[٣]

وعندما بنى السلطان أبو سعيد مدرسة فاس الجديدة سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، أوقف عليها الرباع والضياع [٤]، وأيضا عند بنائه مدرسة العطارين سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م رتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم المرتبات والمؤمن واشترى عدة أملاك وأوقفها عليها كما سبق ذكره.[٥]

وعندما بنى السلطان أبو الحسن أيام ولايته العهد مدرسة الصهريج سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، بنى حولها سقاية، ومكانا للوضوء، وفندقا لطلبة العلم، وأوقف عليها رباعا كثيرة، كما ذكرنا سابقا.[٦]

وعندما بنى أبو عنان المدرسة البوعنانية سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، أوصى للمدرسين في هذه المدرسة مرتبات حسنة، كان كل طالب في هذه المدرسة يعفى من مصاريفه ولباسه مدة

---

[١] **المسند**، مصدر سابق، ص ٣١١.

[٢] عرفت لوحات الحبس في المغرب الأقصى بكثرة منذ فترة حكم المرينيين، ومن أمثلتها مجموعة اللوحات المثبتة على واجهات مدارسهم. انظر : التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٧٦.

[٣] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ص ٤١٢-٤١٣. الغنيمي، **تاريخ المغرب**، مرجع سابق، ج٥، ص ٢٧٧. وعن المدارس انظر سابقاً.

[٤] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ص ٤١٢-٤١٣.

[٥] انظر سابقا عن المدارس.

[٦] انظر فقرة المدارس.

Scanned by CamScanner

سبع سنوات، وكان دخل الطلبة والمدرسين يأتي من الأملاك والبساتين المخصصة لهذا الغرض.[١]

ولم تكن عملية الوقف على المدارس حكراً على السلاطين بل كان للأغنياء من الشعب مساهمة في هذا الوقف، فقد ساهم الأغنياء في دعم المعلمين والطلبة، وفي عملية البناء وغير ذلك، وكان هناك العديد من اللوائح الطويلة للبقاع الموقوفة على المدارس المرينية بما فيها الفنادق والتربيعات والمصانع، والبيوت، والأفران، والأرحية في جهات عديدة من البلاد.[٢]

وقد أدى اهتمام السلاطين المرينيين والأغنياء في الدولة المرينية في المساهمة بدعم الحركة العلمية إلى وجود فائض مالي عند بعض المؤسسات التعليمية، مثل مدرسة مكناسة التي يبدو أن أحباسها كانت تزيد عن حاجة المدرسة [٣]، وهذا يدل على مدى الدعم الذي كانت تحظى به على الأقل بعض المؤسسات التعليمية آنذاك.

٢- أوقاف جامع القرويين :

تعددت أوقاف جامع القرويين بشكل ملحوظ بما يتناسب مع الدور العلمي الكبير الذي كان يؤديه، ويسجل الفقيه أبو القاسم التازغدري عن أوقافه أثناء فتواه بمنع بيع دار محبسة على جامع القرويين قائلاً : " .... وهذا يقدر على بنائها وإصلاحها من غلة حبس الجامع لاتساعه..."[٤]، مما يدل على وفرة الأوقاف التي أوقفت على هذا الجامع حتى قيل بأن قاضي فاس عندما شب حريق في وثائق حجج الوقف سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م أمر بضم أملاك فاس كلها للقرويين، ولم يستثن من ذلك الأمر إلا من أدلى برسم أو شهادة معادلة تثبت الملكية من قبل قباضة الحبس.

ومما يدل أيضا على اتساع دائرة أوقاف القرويين أن المحسنين في مدينة مراكش مثلا كانوا يقومون بتحبيس عدد من العقارات على مرافق القرويين بالرغم من بعد مراكز البلاد بعضها عن بعض، بل كان هناك عدد من الأراضي النائية، وعدد من غابات الزيتون والنخيل في الصحراء خصص ريعه للقرويين في فاس.[٥]

---

[١] الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٧.

[٢] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٤٥٦-٤٥٧.

[٣] الونشريسي، **المعيار**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٨-٩.

[٤] المصدر ذاته، ص ٢٠٩.

[٥] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٥٥.

Scanned by CamScanner

وقدر الجزنائي غلات أوقاف القرويين في العهد المريني بما يقارب عشرة آلاف دينار من الفضة في بعض الأعوام، وذكر في جملة الرباع التي حبسها السلطان أبو يعقوب فندقاً [١] من أفخم الفنادق التي تحتضنها مدينة فاس وهو فندق الشماعين.[٢]

ولو حاولنا استقصاء الجهات التي كانت تغدق على القرويين لوجدنا ذلك متعذراً، فكل متبرع (موقف) كان يتبرع قدر استطاعته، ومن هؤلاء نجد الصناع، والتجار، والعلماء، والفقهاء أنفسهم بالإضافة إلى السلاطين.

ومن شدة حرص المرينيين على جامع القرويين كانوا عندما يبنون المدارس لطلاب العلم حول القرويين لم يشاءوا أن يضايقوا أحباس القرويين بالإنفاق منها على المدارس الجديدة، ولكنهم خصصوا لكل مدرسة عدداً من الرباع حتى تستغني عن أوقاف القرويين ومداخيلها.[٣]

ويعد النص الذي أورده الوزان عن أوقاف المساجد المغربية، وخاصة القرويين، ذا أهمية كبرى لكونه يلقي الضوء على دور تلك المساجد في إدارة الأوقاف لحسابها، يقول الوزان : " يتقاضى القابض الذي يجمع إيرادات الجامع مثقالاً في اليوم عن هذا الوظيف الخاص، ويعمل معه ثمانية كتاب أجر كل واحد منهم ستة مثاقيل في الشهر، وستة مساعدين يستخلصون أثمان كراء الدور، والدكاكين، وغير ذلك من الإيرادات، وينال كل واحد منهم خمسة بالمائة من المبلغ الذي يحصله لقاء أتعابه. وللقابض فضلاً عن ذلك نحو عشرين من الأعوان المكلفين بالذهاب إلى الضواحي لكي يقدموا للفلاحين ، والبساتين، وأصحاب الكروم ما يحتاجون إليه، وأجر كل واحد من هؤلاء الأعوان ثلاثة مثاقيل في الشهر، ويوجد خارج فاس على بعد ميل تقريباً، نحو عشرين فرناً للجير، ومثل هذا العدد أفران الآجر لسد حاجات بناء الجامع والأملاك التابعة له، ولجامع القرويين دخل يومي يقدر بمائتي مثقال يصرف أكثر من نصفها فيما ذكرت، على أن كل جامع أو مسجد لا مورد له يستمد من القرويين الكثير من الأشياء التي يحتاج إليها، وفضلاً عن ذلك يقدم ما هو ضروري للصالح العام في المدينة لأن الجماعة ليس لها دخل من أي نوع كان. وقد اعتاد ملوك فاس .... أن يقترضوا مبالغ ضخمة من إمام الجامع دون أن يردوها إطلاقاً " [٤].

---

[١] الفنادق، أماكن معدة للتجار والمسافرين والغرباء، وهي تشبه الخانات في المشرق. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ١٤٨.

[٢] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ص ٧٩-٨٠.

[٣] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٤٥٦-٤٥٧.

[٤] الوزان، **وصف أفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٥.

Scanned by CamScanner

وقد أوردنا النص السابق على طوله لأنه يوضح المداخيل المختلفة التي تدار لحساب جامع القرويين، والتي تستغل للعديد من المصالح العامة، وبلغت من كثرتها أن استلف منها بعض سلاطين بني مرين، مما يؤكد أهمية الأوقاف التي أوقفت على هذا الجامع في استمرار نشاطه العلمي خلال الحكم المريني.

في حديثنا عن المساجد ذكرنا كيف تميز جامع القرويين بكثرة الكراسي العلمية فيه، وكان للأوقاف التي أوقفت على هذه الكراسي دور هام في دعم التعليم واستمراره على ذلك النحو، ومن الموارد المالية في هذا الصدد نجد أن كرسي الإمام الورياكلي[١] قد أوقفت عليه نحو اثني عشر عقاراً للذين يدرسون في الصباح، وسبعة عقارات للذين يدرسون عند الظهر، وست بقاع لمن يتولى التدريس به في فترة العصر والمساء، وخصصت لكرسي المحراب الجرايات والأوقاف أيضاً، وتسابق الناس للبذل والعطاء على هذا الكرسي الذي كانت له أهمية خاصة، وقد تضمنت الحوالات الوقفية [٢] لوائح الحبس التي وهبت لمن يشغل منصب كرسي المحراب، أما كرسي باب الصالحين الأيمن فكان من أبرز أوقافه ستة متاجر، وبستان فسيح بناحية سيدي بوجيد، كما أوقفت بعض الحمامات التابعة لممتلكات القرويين على كرسي باب الشماعين.[٣]

بالإضافة لما خصص للكراسي العلمية التي ذكرنا بعضها فيما سبق، فقد خصصت للمفتي أيضاً في جامع القرويين رباع وعقارات ليتصرف بها على ضوء ما يراه مناسباً، وخاصة الصدقة على الفقراء، وكان من ضمن ذلك :" خمسة وعشرون حانوتاً من القيسارية الكبرى، وتسعة حوانيب بالقراقين، واثنتان وعشرون بالعطارين، وأربعة عشرة بالسبطريين، وثلاثة عشرة من اللبارين، وعشرون بعين علوان، وتسعة عشرة من الملاحين، وثمانية عشرة من القبابين، وثمانية وعشرون بالحويطة القديمة، وتسعة عشرة بباب السلسلة، واثنتان وعشرون بتربيعة الشاشية، وإحدى عشرة أماكن متفرقة، وتسعة أطرزة، وعشرة أرحية، وأربعة أفران، وعشرون من الدور، وأربعة من الفنادق، واثنتا عشرة عقاراً من مختلف الجهات" [٤]، ومن هذا

---

[١] هو عبد الله بن عبد الواحد الورياكلي (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)، كان فقيها وقاضيا ومدرسا، تلقى تعليمه على يد مجموعة من العلماء مثل أبي القاسم التازغدري، والعبدوسي وغيرهم. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣٩. التبنكتي، **النيل**، مصدر سباق، ص ٢٣٣. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٠٣. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

[٢] انظر بعض الحوالات الحبسية التي حبست على جامع القرويين وغيره من المؤسسات التعليمية في العهد المريني، التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٤٥٩-٤٦٣.

[٣] المرجع ذاته، ص ص ٣٧٢، ٣٧٦.

[٤] المرجع ذاته، ص ٤٤٠.

Scanned by CamScanner

النص يتبين لنا مقدار ما كان من ثروة كبيرة تحت تصرف المفتي، مما يدل على مكانته الرفيعة التي حظي بها من جهة وتقديراً لمكانة القرويين من جهة أخرى.

ولا شك أن هذه الأوقاف الواسعة التي خصصت لجامع القرويين كان لها الدور الكبير في أن يؤدي هذا الجامع رسالته مما أدى إلى ظهور العديد من الشخصيات العلمية المرموقة في مختلف العلوم.

٣- أوقاف الزوايا :

كان للزوايا أحباس خاصة بها [١]، ومن ذلك أوقاف زاويتي السلطان أبي الحسن المريني في مكناسة واللتين سبقت الإشارة إليهما.[٢] فقد كان بداخل الزاويتين ثلاث مدارس لبث العلم والمعرفة، وكانت خزائنهما عامرة بالكتب، ولهما جرايات عديدة يصرف منها على العلماء والمتعلمين.[٣]

ويتضح من إحدى النوازل الفقهية الواردة في كتاب المعيار أن بعض الأثرياء في المغرب على هذا العهد كانوا يحبسون على الزوايا أوقافا من عقارات بساتين للإنفاق عليها[٤]. وقياساً على ذلك يمكن القول أن بعض الزوايا الأخرى كانت تتمتع أيضاً بمثل هذا الاهتمام.

٤- أوقاف المساجد :

هناك الأحباس العديدة على المساجد الأخرى أيضاً، ومنها أحباس جامع المدينة البيضاء، فقد كانت تنفق على الترميمات ودفع رواتب الموظفين في الجامع المذكور مثل الإمام والمؤذنين والناظر (مشرف الحبس)، وكانت أحباس هذا المسجد تزيد أحياناً عن حاجته مما ينجم عنه الزيادة في راتب الإمام.[٥]

---

[١] انظر الملحق رقم (٢) والذي يبين إحدى وثائق الحبس على زاوية قرب تازة.

[٢] انظر سابقاً فقرة " الزوايا ".

[٣] ابن غازي، **الروض الهتون**، مصدر سابق، ص ص ٦٩-٧٠.

[٤] الونشريسي، **المعيار**، مصدر سابق، ج٧، ص ١٣٣، ج١١، ص ٩٦.

[٥] المصدر ذاته، ج٧، ص ٥.

Scanned by CamScanner

من هنا نلاحظ أن بناء المساجد ساهم فيه الأغنياء كما تدل على ذلك وثائق الحبس على بعض المساجد [١]،ولم يقتصر الأمر على الأغنياء بل اهتم السلاطين المرينيون أيضاً ببناء العديد من المساجد التي انتشرت في المدن الرئيسة وأحيائها والوقف عليها.

كما حبس (وقف) السلطان أبو الحسن المريني على الجامع الذي يحمل اسمه بمدينة فاس حبساً مكوناً من سبعة حوانيت ليكون هذا الحبس دائماً حسب شروط الحبس، ويعود تاريخ وثيقة التحبيس هذه إلى سنة ٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م.[٢] وخصص السلطان أبو فارس المريني حبساً لتلاوة القرآن الكريم مرتين في الأسبوع في الجامع الكبير بفاس الجديد، حيث كان الطالب يتقاضى ستين درهماً فضياً يأخذها من الحبس المخصص لهذا الجامع وهو عبارة عن ثلاثة دكاكين متلاصقة توجد داخل المدينة البيضاء، ويعود تاريخ وثيقة الحبس هذه إلى سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥ م [٣].

٥- أوقاف هيئة التدريس والمتعلمين :

كما خصصت أوقاف أخرى للعناية بطلبة العلم، فقد كان المتعلمون يزودون بالمؤن والثياب لمدة سبع سنين[٤]، وكانت الدولة هي التي تنفق على المتعلمين، وأعضاء هيئة التدريس في المدارس المرينية، وتزود رجالها بالكتب المحبسة، والنفقات المستمرة بما يضمن للدولة مراقبتها، والاستفادة المعنوية من رجالها سواء اشتغلوا بالعلم فقط أو جذبتهم الوظائف الأخرى.[٥]

هذا بالإضافة إلى ما ذكرنا سابقاً من الأمثلة عن الأوقاف التي خصصها السلاطين المرينيون لأعضاء هيئة التدريس والمتعلمين عند حديثنا عن المؤسسات التعليمية.

من خلال ما سبق يتضح أن جميع المؤسسات التعليمية قد نالت حظها من الأوقاف مما مكنها من أداء دورها في تنشيط الحركة العلمية في المغرب المريني واستمرارها سواء في المساجد أو باقي المؤسسات التي خدمت التعليم والتي كان يتلقى فيها الطلبة مختلف العلوم كما سنرى، ومنها تخرج علماء بارعون في هذه العلوم. وهذه الأوقاف تميزت كما رأينا بتنوعها واستمرارها وحرص السلاطين والأغنياء على الاهتمام بها مما أثمر نتائج جمة عادت بالفائدة

---

[١] انظر وثيقة التحبيس على أحد مساجد فاس الملحق رقم (٣).

[2] Maslow, Boris, **Mosquees De Fes et du Nord du Maroc**, Les Editions d'art et d' histoire, Paris, MCMXXXVII, P.P. 175-176.

[3] Ibid, P.P. 176-177

[٤] الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٤. لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٨٠.

[٥] زمامة، **الوليد بن الأحمر**، مرجع سابق، ص ٤٦.

Scanned by CamScanner

على التعليم في العهد المريني سواء في بناء المؤسسات التعليمية أو تجديدها أو دفع الرواتب للمدرسين والطلبة فيها مما جعل حركة التعليم نشطة.

ب- هبات الحكام وإعاناتهم :

شجع سلاطين الدولة المرينية أهل العلم في دولتهم، وأجزلوا لهم العطاء، بالإضافة إلى تبرعهم ومساهمتهم في بناء المؤسسات التعليمية، فالسلطان يعقوب بن عبد الحق أعطى الشاعر عبد العزيز الملزوزي ألف دينار على قصيدة نظمها، واستعرض فيها سيرة السلطان، وفضله على الإسلام، كما أعطى السلطان يعقوب إلى الفقيه أبي زيد الفاسي مائتي دينار لإنشاده في يوم عيد الفطر.[١] ولم يكتف السلطان يعقوب بن عبد الحق بدعم العلماء ماديا فحسب بل نالت المكتبات دعمه أيضا، وقد سبق أن ذكرنا تبرعه بالكتب التي استردها من الأسبان بعد الصلح مع سانشو الرابع (Sancho IV) والتي حبسها على مدرسته.[٢]

ومن الأمثلة على تبرعات السلاطين المرينيين لخدمة المؤسسات التعليمية ما تبرع به السلطان يوسف بن يعقوب، فقد قيل أنه تبرع بخلخالين من الذهب زنتهما خمسمائة دينار من الذهب للمساهمة في إعادة بناء الحائط الجوفي لمسجد القرويين، وكان المدرسون في عهده أيضا يتقاضون مرتبات حسنة، وكانت تقدم لهم الكتب والإنارة.[٣]

ولم يقتصر الأمر على التبرع لبناء المؤسسات التعليمية بل تجاوزه إلى المكافآت. ذلك أن أبا الحسن نفسه كان في غاية السخاء تشجيعا للعلماء على مواصلة نشر العلم، فقد أشار بعض المؤرخين المعاصرين إلى دعمه للعلم وأهله، وقال بهذا الصدد أنه كان :" أبر الناس بأهل العلم، وأعرفهم بقدرهم، استخلصهم لنفسه، وجمعهم من سائر بلاده في حضرته، إذا سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته، وجعله من خواص أهل مجلسه، وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرا "[٤]، ولعل هذا النص الذي جاء من أحد المعجبين به يوضح لنا، مع ذلك، مدى الدعم الذي لقيه العلماء من هذا السلطان الذي عرف عهده على العموم بأنه عهد نشاط علمي.

---

[١] السلاوي، **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٣، ص٦٤.

[٢] انظر سابقا فقرة " المكتبات".

[٣] الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٤.

[٤] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ٢٦٠.

Scanned by CamScanner

وقد سار ولده السلطان أبو عنان على منواله في تقديم الدعم للمؤسسات التعليمية، فعندما بنى (أبو عنان) المدرسة البوعنانية أوصى بأن يتقاضى المدرسون فيها مرتبات حسنة، وجعل الكثير من الأملاك والبساتين تخصص محصولاتها لهذا الغرض، فكان بعض الأساتذة يتقاضى مائتي مثقال، وبعضهم مائة، وبعضهم أقل من ذلك، أما الطلبة الغرباء عن فاس والذين كانوا يسكنون في هذه المدرسة فقد كانت تتكفل بمعاشهم صدقات أهل فاس، ونواحيها، وهي أيضاً نوع من التبرعات الخيرية، ولوحظ أن الصدقات تبلغ أربعمائة وثمانين ألف مثقال، وتشبه نفقات سائر مدارس فاس نفقات هذه المدرسة.[١]

ج- موارد أخرى :

تنوعت الموارد المالية للمؤسسات التعليمية كما ذكرنا، ولم تقتصر على الأوقاف وهبات الحكام، بل كانت هناك موارد أخرى لهذه المؤسسات ليس من السهل حصرها، ولكن يمكننا الإشارة هنا إلى أهمها :

١- **الجزية :** كانت تؤخذ عادة من اليهود، وينفق منها على المتعلمين، وعلى المشاريع الخيرية الأخرى، فقد أنفق الأمير عبد الله بن يعقوب ما جمعه من هذه الجزية على بناء المدرسة الواقعة إزاء جامع القرويين، وعلى دفع رواتب هيئة التدريس، والإنفاق على المتعلمين، بالإضافة إلى مرتبات إمام الجامع الكبير، ونفقات الثريا التي فيه[٢].

٢- **معصرة مكناس :** كان دخل معصرة مكناس ينفق منها على بناء الجامع الكبير بفاس[٣] وربما كانت هناك معاصر أخرى ينفق منها أيضاً على الأغراض نفسها، والمقصود بالمعصرة هنا معصرة الزيت التي يبدو أنها كانت ذات أهمية خاصة.

٣- **حمامات فاس :** كان دخلها من ضمن الموارد المالية للمساجد والمدارس والمقصود بها الحمامات العديدة في مدينة فاس، وقد كانت في الواقع ملكاً لهذه المساجد والمدارس، وتؤدى لها كراء مرتفعاً يبلغ المائة والخمسين مثقالاً تقريباً [٤]. والمعروف أن الحمامات كانت شائعة في المدن الإسلامية، ومنها مدينة فاس.

---

[١] الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٧.

[٢] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص ص ١٦٢-١٦٣.

[٣] المصدر ذاته، ص ١٦٢.

[٤] الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣٠.

Scanned by CamScanner

٤- **الهدايا** : قد تكون هدايا نقدية أو عينية يدفعها السلاطين المرينيون لهيئة التدريس والمتعلمين في المناسبات، كالاحتفالات الملكية في القصور، وبالإضافة إلى ذلك كان بعض المعلمين قد حصلوا على سكن هدية، مع الإشارة هنا إلى أن منهم من كانت لهم أملاك خاصة قد تكون كبيرة، وبعضهم أصهر إلى أسر غنية [١].

كان التلاميذ أيضاً يقدمون الهدايا العينية والنقدية لمؤدبيهم في الكتاتيب، خاصة في الأعياد الكبرى، أو الاحتفالات الخاصة مثل الاحتفال بختم القرآن [٢]

٥ - ويبدو أن الطلبة، وخاصة الفقراء منهم، كانوا يجدون لأنفسهم أحياناً موارداً إضافياً عن طريق اشتراكهم في مراسيم المآتم، أو إعطاء الدروس الخاصة مقابل أجر محدود.[٣]

وبذلك يظهر مدى التنوع في الموارد المالية للمؤسسات التعليمية وعلمائها وطلبتها من أوقاف وهبات وغيرها من الموارد التي كان لها المساهمة الواضحة في استمرار وتحسين التعليم وضبطه في العهد المريني، ورفع مستوى المتعلمين على العموم.

وكان اهتمام السلاطين المرينيين وغيرهم من أثرياء الشعب في بناء المؤسسات التعليمية، والتبرع لها من العوامل التي أدت إلى نشاط الحركة العلمية في المغرب المريني، ومن ثمة بروز العلماء في مختلف العلوم العقلية والنقلية التي نشطت تأليفاً وتدريساً كما سنرى في الفصل التالي .

---

[١] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٦.

[٢] المرجع ذاته، ص ص ١٦٩-١٧٠.

[٣] القابسي، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٨٩.

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني

مكونات التعليم في المؤسسات التعليمية

أولاً : المتعلمون :

١-مراحل التعليم

٢-سكنى المتعلمين

٣-آداب المتعلمين

ثانياً : هيئة التدريس :

١- مؤهلاتهم العلمية

٢- ألقابهم العلمية

٣- ظروفهم المعيشية

٤- آدابهم

ثالثاً : أساليب التدريس :

١-التلقين أو التحفيظ

٢-الإقراء أو السماع

٣-الرواية

٤-السؤال والمناقشة

رابعاً : مواد التدريس :

أولا : العلوم العربية

أ- علم اللغة

ب- علم النحو

Scanned by CamScanner

ثانياً : العلوم الدينية :

أ- علوم القرآن الكريم

١-علم القراءات

٢-علم التفسير.

ب- علم الحديث

ج- الدراسات الفقهية

د- التصوف

ثالثاً : العلوم العقلية :

١-الرياضيات

٢-الطب .

٣- علم الفلك.

٤- علم الكيمياء

٥- علم المنطق

Scanned by CamScanner

الفصل الثاني

مكونات التعليم في المؤسسات التعليمية

أولاً : المتعلمون :

١-**مراحل التعليم** : يمكننا تقسيم التعليم في المغرب المريني إلى نوعين:

الأول : التعليم العام

الثاني : تعليم الصنائع (الصناعي)

والنوع الثاني لم تكن له مؤسسات تعليمية يتلقى المتعلمون فيها تعليمهم، وإنما كان بالممارسة (التلمذة)، وما يهمنا هنا هو النوع الأول، لأن المتعلمين كانوا يتلقون هذا التعليم في مؤسسات تعليمية هي موضوع بحثنا، ونود أن نشير إلى أن التعليم العام كان ينقسم إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى : يتلقى فيها التلميذ العلم في الكتاتيب أو الزوايا، وتبدأ هذه المرحلة متى بلغ الطفل سن الخامسة أو السادسة من عمره[١]، حتى سن الرشد، أي ما يقارب الثالثة عشر والرابعة عشر.[٢]

المرحلة الثانية : تبدأ من المراهقة تقريباً، وقد يلتحق المتعلم بالدراسة مبكراً وتحديداً في سن الحادية عشر، ولم تسعفنا المصادر التي بين أيدينا بإعطائنا فكرة عن سن نهاية هذه المرحلة، ولكن شبه المؤكد لدينا أن الفترة المسموح للمتعلمين فيها بالبقاء في المساكن المخصصة لهم هي ست عشرة سنة.[٣]

من هنا نستنتج أن المتعلمين كانوا ينهون تعليمهم في المؤسسات التعليمية وهم يقتربون من سن الثلاثين، وقد تقل هذه الفترة قليلاً أو تزيد حسب سن الالتحاق بالتعليم في المرحلة الثانية.واستنتاجنا هذا من كون المتعلم لم ينه مرحلة الكتاب في فترة زمنية لا تتجاوز سن البلوغ والذي يتراوح بين سن الثالثة عشرة والخامسة عشرة كما أشرنا، وبما أن الفترة التي ينتقل

٥٢٨٥٦٦

---

[١] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٦٩.

[٢] الأهواني، **التربية والتعليم** ، مرجع سابق، ص ٦٠. عبد العزيز، **التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٨.

[٣] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٣٢. عبد العزيز، **التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٩.

Scanned by CamScanner

للدراسة فيها في مرحلة أعلى قد تستمر ست عشرة سنة، من هنا كان الاستنتاج أن المتعلم قد يصل إلى سن الثلاثين، ولكنه قد ينهي مرحلة الدراسة في وقت أقل من هذا وعلى كل حال فهي مدة طويلة من عمر المتعلم.

٢- سكنى المتعلمين :

حرص المرينيون على تخصيص مساكن للمتعلمين حتى يتفرغوا للتحصيل العلمي، وعلى توفير الأجواء النفسية المناسبة لهم. كانت هذه المساكن ملحقة بالمدارس على الغالب، فقد كانت المدارس التي أنشأها سلاطين بني مرين يوجد فيها مساكن للمتعلمين، بالإضافة إلى أداء وظيفتها في التعليم، فقد احتوت في تصميمها المعماري على قاعة كبيرة للدرس، وكان على جوانبها غرف لمبيت المتعلمين أو قاعة للنوم في بعض الأحيان تتكون من طابقين يتوسطها صحن مكشوف، بالإضافة إلى مصلى تؤدي فيه الصلوات، وكانت هذه المدارس تقدم للمتعلمين الغرباء غرفة لكل منهم، وكانت هذه الغرف تزيد عن المائة غرفة في بعض المدارس، ومثال ذلك المدرسة المصباحية بفاس التي كانت تحتوي على مائة وسبع عشرة غرفة.[١]

لو ألقينا نظره سريعة على الطبيعة المعمارية لهذه المساكن لوجدناها تحتوي على أسباب الراحة والصحة حتى ينصرف المتعلم إلى حضور حلقات الدرس والمطالعة بالمكتبة، وإعداد الدروس بغرفته دون أن يتكلف شيئاً مادياً مقابل هذا .[٢]

يبدو أن ثمة شروطاً يخضع لها المتعلمون الذين يودون السكنى في المدارس منها: أن لا يقل عمر المتعلم عن عشرين عاماً،[٣] وأن يكون ممن سبق أن درس العلوم الفقهية.[٤]

أما المدة التي يقضيها المتعلم في سكنى المدرسة فقد ذكرنا سابقاً أنها لا تزيد عن ست عشرة سنة حسبما ذكر ابن خلدون ،[٥] بخلاف ما ذكره لوتورنو (Le Tourneau)[٦]، الذي قال بأن المتعلم لا يجوز له البقاء في المدرسة، وهو متمتع بالسكن والتعليم مجاناً أكثر من عشر سنين، لكن الوزان، [١] ذكر أن كل طالب بالمدرسة كان يزود بالمؤن والثياب لمدة سبع سنين

---

[١] شارل أندريه جوليان، **تاريخ إفريقيا الشمالية**، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج٢، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣، ص ٢٤١.

[٢] الكعاك ، **محاضرات**، مرجع سابق، ص ٥٧.

[٣] محمد المنوني، **ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين**، الرباط، ١٩٧٩م، ص ٢٠٣.

[٤] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ص ١٧٨-١٨٠.

[٥] **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٣٢.

[٦] **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٨٠.

Scanned by CamScanner

لكن الوزان، [١] ذكر أن كل طالب بالمدرسة كان يزود بالمؤن والثياب لمدة سبع سنين وذلك على حساب الأوقاف الخيرية.

وكانت المدارس المرينية تجمع بين المتعلمين من مدينة فاس وبين المتعلمين الغرباء الذين يأتون من المدن المغربية البعيدة، وأحياناً من خارج المغرب الأقصى مثل تلمسان، وكان لهؤلاء المتعلمين الغرباء أولوية السكنى في المدرسة بعكس المتعلمين من فاس لأنهم قريبون من هذه المدارس.[٢]

ولم يكن المتعلمون فقط هم الذين يسكنون هذه المدارس، بل شمل ذلك أيضاً بعض العلماء والأساتذة والمدرسين مثل ، محمد بن سليمان الجزولي[٣]، الذي كان يسكن في مدرسة الحلفاوين.[٤]

وكان يقوم بالخدمة داخل تلك المدارس، ومساكن المتعلمين الملحقة بها طائفة من صغار الموظفين والخدم الذين كانوا يعرفون باسم القومة أو الفراشين، وكانت مهمتهم تنحصر في خدمة المدارس والمساكن التابعة لها، وإيقاد مصابيحها، وتنظيفها.[٥]

٣- آداب المتعلمين :

تحرص المؤسسات التعليمية على غرس الأخلاق الحميدة في نفوس المتعلمين منذ سن مبكرة، وبالتحديد في المرحلة التعليمية الأولى (الكتاتيب)، حتى تمتزج الأخلاق بالتعليم منذ الطفولة، فتكون بداية تدريب الصبيان على المنهج الأقوم، والطريق الأرشد، من أجل خلق مجتمع نظيف من السلوكيات المنحرفة، لما للمؤسسات التعليمية من دور هام في هذا المجال.

لذا كان ينبغي على المتعلمين أن يتحلوا بالأخلاق الكريمة، والآداب الفاضلة، ليس داخل المؤسسات التعليمية مع رفاقهم وأساتذتهم فحسب، بل وفي المجالس العامة خارج المؤسسة التعليمية.

---

[١] **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٠.

[٢] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٨.

[٣] أحد علماء فاس، كان فقيها، وقد اختلف في تاريخ وفاته ما بين ٨٦٩ هـ/١٤٦٤ م – ٨٧٥هـ/١٤٧٠م، انظر : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣١٩. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٥٣٨. العباس بن إبراهيم المراكشي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، ج٤، المطبعة الجديدة، ١٩٣٧م، ص ٧١.

[٤] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣١٩.

[٥] غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ص ٢٨١-٢٨٢.

Scanned by CamScanner

من هذه الآداب أن المتعلم يجب أن يكون حريصا على كرامة رفاقه خاصة إذا كان غنيا ورفيقه فقيراً، لذا يمنع الصبي من المجيء للكتاب بغذاء أو فلوس ليشتري شيئاً أثناء وجوده في المكتب، لأن في هذا انكساراً لخاطر الفقير قد يترتب عليه جملة من المفاسد،[١] لذا كان الحرص من مؤدبي الصبيان على تنبيه تلاميذهم بأن يتناولوا طعامهم في منازلهم لأن ذلك فيه ستر على الفقير، وأيضا تعليم الأدب للصبيان منذ الصغر ، لأن تناول الطعام يجب أن يكون بين الإخوان لا الأجانب، فإذا نشأ الصبي على ذلك كان متأدبا بآداب الشريعة الإسلامية [٢].

كما أن على التلميذ أن لا يبصق في الآنية التي تستخدم لمسح الألواح خوفاً من أن يشرب منها من يتبرك بذلك، أو يمسح الألواح بالبصاق لأن البصاق فيه إهانة، والموضع هنا يعد موضع تقدير واحترام، لذا يجب أن يمتنع الصبي عن مثل هذا السلوك.[٣]

وعلى التلميذ أيضا أن يقضي حاجته للضرورة البشرية في المكان المخصص لذلك لا أن يقضي حاجته في مكان آخر كجدران بيوت الناس، والطرقات فينجسونها،[٤] ولعل هذا يوضح لنا مدى الحرص على الصحة العامة سواء في المؤسسات التعليمية أو في الأماكن العامة، ولا شك أن الهدف من ذلك هو خلق جيل ملتزم بالآداب العامة، وحريص على التمسك بالخلق القويم الذي يعود على النفس والمجتمع بالفائدة.

ولا يعني ما ذكرناه عن المتعلمين فيما سبق أن التعليم كان مقتصراً فقط على الذكور بل نالت المرأة المغربية في العهد المريني نصيبها من التعليم أيضاً، فقد كانت بعض بيوت العلماء والفقهاء مراكز علمية للنساء لتلقي العلم، وبالإضافة إلى دور الخلفاء التي كانت تعنى بتثقيف المرأة لتكون سنداً للرجال في الأوقات الصعبة. [٥]

وقد عرف في المغرب الأقصى عدد من مدارس البنات عرفت باسم : " الدور الفقهية" والتي كانت تديرها عادة سيدات أخذن عن أعلام لهم صلة وثيقة بمجالس القرويين. [٦]

وهناك عدد من النساء، خاصة في فاس، اللاتي اشتهرن بنشاطهن العلمي مثل :

---

[١] ابن الحاج، **المدخل**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٢٢.

[٢] المصدر ذاته، ص ٣٢٢.

[٣] المصدر ذاته، ص ص ٣٢٧-٣٢٨.

[٤] المصدر ذاته، ص ٣٢٨.

[٥] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٤٣.

[٦] المرجع ذاته.

Scanned by CamScanner

١- سارة بنت أحمد بن عثمان الحلبية (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) وكانت أديبة، شاعرة، بلغت من الثقافة حداً جعلت عبد الله بن سلمون(ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) يفتخر بإجازتها له.[١]

٢- أم هانئ العبدوسية : بنت محمد العبدوسي (توفيت ٨٦٠هـ/١٤٥٥م) وكانت حسب بعض المصادر فقيهة، صالحة، وذات علم وصلاح.[٢]

ومع أن بعض السيدات كن يزاولن دراستهن في الدور المخصصة لهن فإن هناك في القرويين أماكن كانت تساعد من حيث موقعها على حضور المرأة للاستماع مباشرة من كبار الشيوخ مثل ما يسمعه الطلاب الآخرون.[٣]

ثانياً : هيئة التدريس :

١- مؤهلاتهم العلمية :

كان مجال التدريس في المغرب المريني مفتوحاً أمام كل راغب فيه ومن وجد في نفسه الكفاية لمزاولة التدريس، ولكن بشرط ألا يكون ذلك في مسجد من تلك المساجد الجامعة التي لها صفة المساجد الرسمية للدولة وإلا فإن الأمر يتطلب حينئذٍ الإذن بالتدريس من القاضي، الذي كان عادة يستشير علماء فاس في الأمر، فإذا حصل رجل على الإذن في التدريس فإنه يعلن ذلك على الملأ من أهل المدينة، معلناً الدرس الذي يريد أن يلقيه، ويختار مسجداً أو زاوية أو غيرها بشرط أن يدرس خارج أوقات الصلاة.[٤]

ولكن ما سبق لا يعني أنه لم تكن هناك ضوابط لمن أراد الاشتغال بالتدريس، بل إننا نلمس بأن هناك نوعاً من الضوابط تتمثل بحرص المدرسين القدامى والمتعلمين على حضور دروس هؤلاء المدرسين الجدد لمعرفة قدرتهم العلمية، فإذا اقتنعوا بقدرتهم العلمية أقبلوا عليهم، وإن اكتشفوا بهؤلاء المدرسين ضعفاً هجروهم وانفضوا من حولهم.[٥]

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣٤، ص٥٢٢. التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٢٣.

[٢] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص٦١٧.

[٣] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٢٣.

[٤] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٢.

[٥] غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ص ٢٥٧-١٥٨.

Scanned by CamScanner

ولكن هذا الضابط لمعرفة قدرة المدرسين تغير في مرحلة متأخرة من عهد بني مريـــن، وتحديداً في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، حيث أصبح التدريس لا يمارسه إلا من كان حاصلاً على إجازة بالتدريس، وكذلك الفتيا من شيخه الذي درس عليه.[1]

٢- ألقابهم العلمية :

تعددت الألقاب العلمية لأعضاء هيئة التدريس في المؤسسات التعليميـــة، والملاحـظ أن هذه الألقاب لم تكن تعطى بطريق الامتحان العام أو الخاص، وغالباً ما كان يحصل عليها العـــالم نظراً للسمعة العلمية التي يبنيها لنفسه ويلمسها فيه المجتمع والمشتغلون بالدرس والبحث، فيلقبـــه أهل عصره وتلاميذه باللقب العلمي الذي يناسبه.

وأهم الألقاب العلمية لعلماء العهد المريني مع ملاحظة أن بعضها موجـــود فـــي غـــير المغرب وهي ما يلي :

١- **المدرس** : وكان هذا اللقب يطلق على من يقوم بالتدريس في المرحلة العالية مـــن التعليـم سواء كان ذلك في المسجد أو المدرسة.[2] ومن خلال دراستنا لتراجم بعض هـــؤلاء المدرســين أمكننا أن نعرف أن بعضهم كان "موسوعي التكوين" لإجادته أكثر من علم، مثل التسولي.[3]

٢-**المعلم** : وكان يطلق على من يتصدى لتعليم الصبيان في المكاتب في المرحلة الأولـــى مـــن التعليم.[4]

٣-**الإمام** : أي الشخص الذي يقتدى به، وأطلق هذا اللقب على كل عالم مبرز في علمه ســـواء كان في الفقه أو اللغة أو الطب، وغير ذلك من العلوم.[5]

---

[1] أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعـــة الإنشـــا**، ج١٤، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٣٢٢. غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ٢٣٠.

[2] المرجع ذاته، ص ٢٦١.

[3] هو إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي يحيى التسولي التازي من أهل فاس، كان قيمـــاً علـــى كتـــاب التهذيب، وعلى رسالة أبي زيد القيرواني، وقيد على المدونة شرحاً عظيم الفائدة، توفي سنة ٧٤٧هـــ/١٣٤٦م. ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ٣٧٢. ابن القاضي، **الجذوة**، مصـــدر ســـابق، ج١، ص ٨٥. محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفـــاس**، ج٢، المطبعة الحجرية، فاس، ١٩٠٠م، ص ٢٥٣. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

[4] غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ٢٦١.

[5] ابن القاضي، **الجذوة** ، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٧٥. غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ٢٦١.

Scanned by CamScanner

٤- **الحافظ** : ويطلق في الأصل على الحافظ للحديث النبوي الشريف، ولكن توسع استعماله في عهد بني مرين فشمل العالم بالحديث النبوي وأصحاب اللغة، وعلى من يحفظون الأخبار والآثار والتواريخ.[١]

٥-**العالم والعلاّمة** : وقد أطلق لقب العالم على الواقف على العلوم أي المتقن لأكثر من علم [٢] أما العلامة فأطلق على العالم المتبحر فيها.[٣]

٦-**الشيخ** : وهو من ألقاب العلماء والصلحاء، ولقب به أهل العلم والصلاح توقيراً لهم كما يوقر الشيوخ الكبار. [٤]

٧-**الفقيه** : ويبدو أن هذا اللقب لم يكن يطلق على المشتغلين في الفقه [٥] فقط، بل أيضاً على القاضي والكاتب والنحوي واللغوي أي المتفقه في العلوم، ولاسيما الدينية منها. [٦]

٨-**المقرئ** : وقد أطلقه المغاربة بشكل عام على مقرئ القرآن الكريم، والعارف بقراءاته، الملم بعلومه. [٧]

٩-**الرُحْلة** : وهو لقب من ألقاب أكابر العلماء والمحدثين، والرحلة لغة ما يرحل إليه، أي أن المتعلمين يرحلون إليه من الأماكن البعيدة. [٨]

١٠- **المؤدب** : ويطلق على معلم الصبيان في الكتاتيب، وأيضاً على الذي يؤدب أولاد الخاصة. [٩]

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٩٧. كريم عجيل حسين، **الحياة العلمية في بلنسية**، نشر جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٣٥٧.

[٢] خليل طوطح، **التربية عند العرب**، المطبعة التجارية، القدس، (د.ت.)، ص ٥١.

[٣] القلقشندي، **صبح الأعشى**، مصدر سابق، ج٦، ص ٢١.

[٤] المصدر ذاته، ص١٧.

[٥] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٩٤. غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص٢٣٤.

[٦] شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ج١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م، ص٢٣١. القلقشندي، **صبح الأعشى** ،مصدر سابق، ج٦، ص٢٢.

[٧] ابن أبي زرع، **الذخيرة السنية**، مصدر سابق، ص١٦٣.ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٩٧.

[٨] القلقشندي، **صبح الأعشى**، مصدر سابق، ج٦ ، ص١٤.

[٩] طوطح، **التربية** ، مرجع سابق، ص٤٨. عجيل، **الحياة العلمية**، مرجع سابق، ص ٣٩٩ .

Scanned by CamScanner

١١- **المعيد** : هو الذي يعيد الدرس الذي يلقيه المدرس على المتعلمين إلى أن يفهموه ويتقنوه.[١]

١٢- **الأستاذ** : ويطلق على من يبدي مهارة فائقة في التعليم. [٢]

٣-ظروفهم المعيشية :

لم تكن لهؤلاء المدرسين مرتبات ثابتة من الحكام، إلا أن المعلمين الغرباء كانوا يتمتعون بنعمة السكن، و الهدايا النقدية أو العينية التي كانت يدفعها لهم الحكام في المناسبات الدينية، والمناسبات الهامة التي كان البلاط المريني يحتفي بها، وكان لكثير من هؤلاء المدرسين أملاك خاصة قد تكون كثيرة، وبعضهم أصهر لأسر غنية، وعلى العموم كان المدرسون يعيشون في ظروف تبدو جيدة.

٤-آدابهم :

هنالك آداب يجب أن يتحلى بها المدرسون حتى يكونوا قدوة لغيرهم في السلوك والأخلاق، ولعل أهم هذه الآداب ما يلي :

أ- أن يقصد المدرس من تدريس الصبيان، وتهذيبهم وجه الله سبحانه وتعالى، [٣] ولا " يقصد به الأعراض الدنيوية من تحصيل الرياسة " [٤] أو " طمعاً في استجلاب الرزق ". [٥]

ب- ويجب أن يكون سلوكه مستقيماً مع الناس فلا يتحدث معهم من غير ضرورة شرعية حتى يكون قدوة لطلابه. [٦]

ج- أن لا يطلب من التلاميذ قضاء حاجات له خاصة اليتيم منهم إلا أن يستأذن من أولياء أمورهم في ذلك ويسمحوا له عن طيب نفس، ولكن الأولى الامتناع عن ذلك بكل الأحوال. [٧]

---

[١] القلقشندي، **صبح الأعشى**، مصدر سابق، ج ٥ ، ص ٤٦٤. طوطح، **التربية**، مرجع سابق، ص ٤٩ .

[٢] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق ،مج٢، ص٣٢٨. طوطح، **التربية**، مرجع سابق، ص٥٠. محمود قمبر، **دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٩٨٥م، ص١١٥.

[٣] أبو عبد الله محمد بن برهان الدين بن سعد الله الكناني (ت ٩٠١ هـ /١٤٦٠م)، **تذكرة السامع و المتكلم في آداب العالم والمتعلم**، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، رقم ١٣٩، ورقة ١٩، (مخطوط).

[٤] المصدر ذاته، ورقة ٢٦.

[٥] ابن الحاج العبدري، **المدخل**، مصدر سابق ، ج ١، ص ٣١٥ .

[٦] المصدر ذاته، ص ٣٢٣ .

[٧] المصدر ذاته، ص ٣٢٨ .

Scanned by CamScanner

د- عليه أن يحذر من إرسال الصبيان إلى بيته خاصة البالغين منهم، لأن ذلك يؤدي إلى وقوع ما لا ينبغي، أوتكون نتيجته سوء الظن بأهله. [١]

ثالثاً : أساليب التدريس :

تنوعت أساليب التدريس في عهد بني مرين، ولا بد أن نلاحظ هنا أن التدريس كان يختلف من مادة إلى أخرى، ومن أستاذ إلى آخر، لذا سنقتصر على أهم طرق التدريس في بعض المواد الهامة، وعلى بعض الشخصيات العلمية التي كان لها دور بارز في التعليم في العهد المريني، وأهم هذه الطرق ما يلي :

١-التلقين أو التحفيظ :

كانت هذه الطريقة هي السائدة في المرحلة الأولى من التعليم[٢]، وهي التي كان المدرس يدرس فيها الصبيان القرآن الكريم والنحو والعربية، وهي العلوم التي كانت بدورها للحفظ والاستيعاب[٣]، وكان المتعلمون يجلسون على شكل حلقات حول مؤدبهم المستند بظهره إلى سارية من سواري المسجد،[٤] ويبدو أن ذلك لم يكن مقتصراً على المرحلة التعليمية الأولى فحسب بل في جميع المراحل التعليمية.[٥] فبعد الفراغ من قراءة حزب الصبح [٦]، تتم قراءة بعض الكتب مثل تفسير القرآن الكريم لعبد الرحمن الثعالبي[٧] واسمه الجواهر الحسان في تفسير القرآن . ولم يقتصر الحضور على طلبة العلم بل كان يحضر هذه الحلقات بعض الناس الذين كانوا

---

[١] ابن الحاج العبدري، **المدخل**، مصدر سابق، ج ١، ص ص ١٨-١٩ .

[٢] المراكشي، **المعجب**، مصدر سابق، ص ٢٥٤، المغراوي، **جوامع الاختصار**، مصدر سابق، ص ١٨-١٩.

[٣] طلس، **التربية والتعليم**، مرجع سابق، ص ١٧٧.

[٤] نجيب زبيب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس القديم**، ط١، ج٢، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٣٧.

[٥] غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ١٧٧.

[٦] كانت قراءة حزب من القرآن الكريم بعد صلاة الصبح في جماعة من عادة أهل المغرب، وبدأ العمل بها بالمغرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، واستمر كذلك حتى عهد السلطان أبي الحسن المريني الذي أجرى جراية لعشرة من القراء يتولون القراءة في سائر مساجد المغرب. الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص٨٠.

[٧] هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ولد بوادي يسر قريباً من عاصمة الجزائر سنة ٧٨٤هـ / ١٣٨٢م، وكانت وفاته سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠ م. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق أبو محمد الغماري الإدريسي الحسني، ط١، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص ٤. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٢٦٥.

Scanned by CamScanner

يقتصر الحضور على طلبة العلم بل كان يحضر هذه الحلقات بعض الناس الذين كانوا ينتفعون بهذا النوع من العلوم.[١]

وكانت عملية التحفيظ تتم بطريقتين :

الأولى : أن يردد التلاميذ القطع المعينة للحفظ بصوت مرتفع[٢]، ولم يتردد المدرسون في إنزال العقاب بالتلاميذ إذا ارتكب أحدهم خطأ ما [٣]، لاعتقاد أهل المغرب أن " ضرب المعلم للصبي كالماء للزرع"،[٤] ولكن ابن خلدون يحذر المدرسين من استعمال الشدة والعنف في التربية لما ينجم عن ذلك من مضرة بالمتعلم وخصوصاً من الناحية الأخلاقية.[٥]

الثانية : كتابة الدرس المراد تحفيظه للتلاميذ على لوح صغير من الخشب، وعندما يحفظ التلميذ الدرس يقوم بمسحه وكتابة درس آخر ليتم تحفيظه، وهكذا [٦] .

والجدير بالذكر هنا أن ظاهرة الحفظ كانت شائعة بين المدرسين والمتعلمين في العهد المريني، فقد كان على المتعلم أن يحفظ (الأمهات) مثل : ألفية ابن مالك، ولاميته في النحو والصرف، ومختصر ابن الحاجب، ومختصر خليل في الفقه، وكان على المتعلم أن يحفظ في ذاكرته كل مسألة نقلها حتى ينال رضى شيخه، ويتجنب سخرية زملائه، واشتهرت في هذا العهد عبارة : "من لا يحفظ النص فهو لص"، وحول هذا يقول ابن ميمون الغماري (ت ٩١٧هـ/١٥١١م)، في كتابه (الرسالة المجازة في معرفة الإجازة)[٧]، أثناء حديثه عن فاس : "ما رأيت مثلها ومثل علمائها في حفظ ظاهر الشرع العزيز بالقول والفعل، وغزر الحفظ لنصوص مذهب إمامهم الإمام مالك بن أنس(رض)، وحفظ سائر العلوم الظاهرة من الفقه،

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٧٤.

[٢] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٠-١٧١.

[٣] محمد بن علي بن محمد بن مسعود بن الأزرق (ت ٨٩٦ هـ/ ١٤٩٠ م)، **روضة الأعلام بما للعربية من مكانة في دول الإسلام**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، رقم ٦٧٢٥، ورقة ، ١٦٤، (مخطوط). لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٠-١٧١.

[٤] الزجاجي، **أمثال العوام**، مصدر سابق، ج١، ٢٣٣.

[٥] **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٥٤٠.

[٦] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٠.

[٧] عثر على نص لرسالة علي بن ميمون في مكتبة الشيخ إدريس الفاسي خطيب القرويين، كما عثر في مكتبة بزو على نسخة ثانية تحت رقم ٥٠. ص ٢٣، قسم المخطوطات بالخزانة العامة بعنوان : (رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن)، انظر : التنزي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٤١٢، ٤٦٤.

Scanned by CamScanner

والحديث، والتفسير، وحفظ نصوص كل علم مثل النحو، والفرائض، والحساب، وعلم التوقيت، والتعديل، والتوحيد، والمنطق، والبيان، والطب، وسائر العلوم العقلية، كل ذلك لا بد فيه عندهم من حفظ نص ذلك الفن، ومن لم يستحضر عنده النص في مسألة ما في علم ما إن كان فيه لا يلتفت إلى كلامه ولا يعبأ به ولا يحسبون من طلبة العلم إلا من يأتي بالنص في كل مسألة يتكلم فيها عن ظهر قلب، يحفظ النص كما يحفظ الآية من القرآن، وإذا كان على غير هذه الصفة بحيث ينقل من الكتاب أو يقرأ من الكتاب فإنهم يسمونه وراقاً، وعبارتهم في حق من لا يحفظ النص حسبما ذكر : من لا يحفظ النص فهو لص"[١].

ولكن بعض العلماء انتقدوا هذه الطريقة في التعليم كابن خلدون الذي انتقد المغاربة لكثرة اعتمادهم على الحفظ،[٢] ويمكن القول إن هذا التعليم الذي يرتكز أساساً على الحفظ كان يهدف قبل كل شيء إلى تكوين فقهاء مقلدين للسلف، وتكوين كتاب وشعراء ينسجون على منوال من سبقهم من العلماء والأدباء [٣]. ومهما تكن أهداف التركيز على الحفظ آنذاك فإننا نرى أن الاعتماد على الحفظ يؤدي إلى الجمود العقلي والتقليد الذي يؤدي إلى وقف التجديد والاجتهاد، حيث يصبح العلماء والمتعلمون مقلدين لمن سبقهم فقط دون الأخذ بعين الاعتبار لتطور الفكر بتطور الزمان، وعندها يصبح العلم في بعضه غير مواكب لتطورات العصر أو المشكلات التي تحدث فيه وطرق معالجتها.

٢- الإقراء أو السماع :

وتأتي هذه الطريقة بعد مرحلة التعليم الأولى " الكتاتيب" فقد كانت الدروس تتألف من قراءة أحد النصوص وشرحه، وهي النصوص التي كان يتم اختيارها على الأغلب من كتب المؤلفين القدامى[٤]، كالمدونة للإمام سحنون ، وكان تدريس المدونه يتبع إما طريقة أهل العراق " بحيث يبني العلماء عليها سائر فصول المذهب من غير تعريج عليها بتصحيح لرواياتها، أو مناقشة لألفاظها، كما أن فيهم من يتبع طريقة أهل القيروان وتتمثل في البحث عن ألفاظ الكتاب، وتحقيق مدلولات الأبواب، وتصحيح الروايات، وسائر وجوه الاحتمالات، والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب، واختلاف المقال على ما يتعلق بذلك من تتبع سياق الآثار،

---

[١] التازي، **جامعة القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤١٢.

[٢] **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلمي، ص ص٣٧٦-٣٧٧.

[٣] ابن خلدون، **بغية الرواد**، مصدر سابق، ج١، ص ١٣.

[٤] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٣.

Scanned by CamScanner

وترتيب أساليب الأخبار، وخيط الحروف على حساب ما وقع في السماع" [١]، ويبدو في هذا السياق أن اختيار النصوص من المدونة يعود إلى اعتماد جميع علماء المغرب على المذهب المالكي.

وكانت طريقة الإقراء تتم بقيام المتعلم بالقراءة للنص، وكان المدرس يوقفه بين حين وآخر ليشرح بدوره للمتعلمين فقرة أو جملة ما عندما يشعر بالحاجة لذلك، وقد يطول شرحه أو يقصر.[٢]، من هنا نستنتج أن التعليم كان أصلاً قراءة وشرحاً.

يبدو أن المتعلمين لم يقوموا بتدوين ما يسمعونه بكراساتهم لأن ذاكرتهم كانت مدربة تدريباً قوياً على الحفظ منذ المرحلة الأولى للتعليم كما مر معنا.[٣]

ترتب على طريقة الإقراء هذه بروز فكرة تقرير كتب معينة على المتعلمين يدرسونها، مما جعل العقل يدور في فلك مجموعة من الكتب، وحصر مهمة العقل في الحفظ والقراءة فقط، وتكرار أقوال السابقين من غير تجديد أو إضافة أو نقد، وهذا أدى بدوره إلى ظهور الملخصات والمختصرات التي نتج عنها الغموض في الحقائق العلمية حيناً، والتعقيد حيناً آخر، كما نتج عنها صرف العقل عن التفكير العلمي الصحيح.[٤]

وقد انتقد ابن خلدون هذه الطريقة ووصفها بأنها تحدث خللاً بتحصيل التعليم، واعتبرها مقصرة في تحقيق غايته عندما يقول :" وصار ذلك مخلاً بالبلاغة وعسيراً على الفهم، وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فاختصروها تقريباً للحفظ.. ... وهو" فساد في التعليم، وفيه إخلال بالتحصيل "، وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم" [٥]، وقد ضرب لذلك مثلاً بابن الحاجب في الفقه، وابن مالك في العربية، والخونجي في المنطق.

كما انتقد ابن خلدون تلك الطريقة بأنها تقوم على التكرار المضر بالملكة واعتبر تلك الملكة المتولدة عن تلك الطريقة ملكة قاصرة : " ثم بعد ذلك كله الملكة الحاصلة من التعليم في

---

[١] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٢٧-٤٢٨.

[٢] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٨.

[٣] المرجع ذاته، ص ١٧٩.

[٤] غنيمة ، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ١٨٨-١٨٩. انظر : Terrasse, **Histoirre Du Maroc** , op. Cit, P.77

[٥] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٥٣٢.

Scanned by CamScanner

تلك المختصرات .... ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع في تلك من التكرار والإحالة المفيدين لحصول الملكة التامة".[١]

ويبدو أن نقد ابن خلدون لظاهرة المختصرات هذه لم يشحذ همم العلماء ولم يحفزهم إلى العودة إلى الأصول، والأمهات القديمة، أو إلى تأليف كتب جديدة، إنما نجد بعض العلماء قاموا بالشرح والتحشي على المختصرات مما جعل التعليقات والشرح تتراكم على الكتب المقررة للتعليم، ونتج عن ذلك زيادة الغموض في الحقائق العلمية، وإبعاد العقل عن التفكير العلمي السليم.[٢]

٣- الرواية :

كانت هذه الطريقة التي انتقدها ابن خلدون هي الأساس الذي يقوم عليه التعليم، ويعود الاهتمام بها ربما إلى طبيعة العقل العربي وقدرته على الحفظ والرواية، ولعل من أهم لوازم الرواية هو الإسناد وهو يعني التحري في نسبة الأقوال إلى أصحابها بأمانة ودقة فهو للرواية توثيق، وتقوية، وضمان لصحتها، وكان من عادة المتعلم إذا سمع شيئاً من أستاذه يدون ما سمع كما يدوّن اسم أستاذه واسمه هو وتاريخ ذلك. ويسمى ما كتبه عندئذٍ "سماعاً"[٣]، ولم يكن التقييد ضرورة من ضرورات السماع وإن كان الأفضل أن يكون هناك تقييد لصيانة العلم من النسيان،[٤] لذا نجد أن الأسلوب المتبع في علم الحديث هو النقل الغزير ودراسة الرواة وأنسابهم مع ضبط المتن لغوياً ونحوياً.[٥]

لذا نرى بأن دراسة الرواية (السند) كانت واضحة في التعليم في العهد المريني، فالشيخ كان يعطي الرواية للطالب الذي كان يهتم بإسنادها ابتداء من الشيخ حتى يصل إلى واضع ذلك الفن أو الكتاب، وكان الاهتمام بالسند هو السائد عند معظم الطلبة ولاسيما في جامع القرويين في العهد المريني.[٦]

---

[١] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق. طبعة دار الأعلى، ص ص ٥٣٢-٥٣٣.

[٢] غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ص ١٨٨-١٨٩.

[٣] المرجع ذاته، ص ١٨٢.

[٤] محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م)، **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير**، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٤.

[٥] لواح، **مراكز التعليم**، مرجع سابق. ص ٤٤٣.

[٦] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سبق. ج٢، ص ٤٢٧.

Scanned by CamScanner

٤ -السؤال والمناقشة :

لم تعرف هذه الطريقة في التدريس بشكل واسع في المغرب الأقصى في عهد بني مرين، لذا فإننا نجد ابن خلدون ينتقد إهمال التعليم لطريقة المناقشة في بلاد المغرب، وهو يعد ذلك من أسباب ضعف الملكة العلمية بين طلابها، فيقول: " وأيسر طرق هذه الملكة فتق اللسان بالمحاورة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجد ملكته قاصره في علمه إن فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وإنقطاع سنده، وإلا فحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية" [١].

يبدو أن السلطان المريني أبا عنان حاول أن يتلافى هذه الظاهرة كما تدل على ذلك قصة له مع فقيه فاس علي الصرصوري التي أوردها صاحب أزهار الرياض بقوله : " ولما كمل غرض أبي عنان كبير ملوك بني مرين من بناء مدرسة بفاس ... قال : انظروا من يقرئ بها الفقه، فوقع الاختيار على الشيخ الصرصوري الحافظ، ولما جلس بها، واتسع صيته، وجه إليه أبو عنان من يسأله في مسائل " التهذيب" التي انفرد بإتقانها وحفظها، وطالبه بتحقيق ذلك وإتقانه، ولا أدري المنتخب له : هل هو أبو موسى عيسى ابن الإمام أم السيد الشريف أبو عبد الله [٢]شارح الجمل أو هما معا، فطالباه بتحقيق ما أورده من المسائل عن ظهر قلب، على المشهور من حفظه، فانقطع انقطاعا فاحشا، ولما أضجره ذلك نزل عن كرسيه وانصرف كئيبا في غاية القبض، ولما اشتهر ذلك عنه وجه إليه أبو عنان، فلما مثل بين يديه آنسه وسكنه، ثم قال : " أنا أمرت بذلك كي تعلم ما عندك من العلم وما عند الناس وتعلم أن دار المغرب هي كعبة كل قاصد فلا يجب أن تتكل على حفظك وتقتصر على ما حصل عندك، ولا يمنعك ما أنت فيه من التصدي عن ملاقاة من يرد من العلماء والتنزل للأخذ عنهم لا يقدح ذلك في رتبتك عندنا إن شاء الله" [٣].

---

[١] **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ص ٤٣٢-٤٣٣.

[٢] سنشير إليهما في محلهما من البحث في الفصل الثالث أثناء الحديث عن الصلات العلمية بين المغرب والجزائر.

[٣] **المقري، أزهار الرياض**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٢٧.

Scanned by CamScanner

ولا يهمنا الآن من النص السابق سياسة التعليم عند المرينيين في حد ذاتها، إنما أوردناه للاستدلال على أن السلطان أبا عنان اهتم بتوجيه عالمين لمناظرة الفقيه الصرصوري، ثم استدعاه بعد ذلك، وأشار عليه بملاقاة من يرد على فاس من الأعلام والأخذ عنهم، وما ذلك إلا ليكتسب ملكة في المناظرة التي افتقدها الكثير من العلماء المغاربة في هذا العهد نتيجة اعتمادهم على الحفظ، ليعبّر كما ذكر صاحب فيض العباب: " عن اتجاهات متحررة ترمي إلى محاربة التقليد ونبذ الطرق العقيمة المعتمدة على الحفظ والاستظهار كوسيلة وحيدة للتعليم، والاهتمام بملكة النقد والتحليل والمناقشة والاستنباط والاستدلال".[١]

ولعل السلطان أباعنان حرص بعمله هذا على تعيين العلماء المشهود لهم بالعلم الغزير والكفاية التي تحقق الفائدة من العلم، ولم يكن ليعتمد على أحد من العلماء لاعتبارات أخرى كالولاء السياسي، أو غيره من الاعتبارات مؤكداً حرص السلاطين المرينيين على نشر التعليم في أرجاء دولتهم ودعمهم للعلماء مادياً ومعنوياً وهو الدعم الذي أتى أكله، كما أراد السلطان أن يعطي درساً للعلماء حتى لا يغتروا بمعلوماتهم ويجمدوا على طريقتهم.

رابعاً : مواد التدريس :

تنوعت مواد التدريس في العهد المريني حيث شملت علوم العربية والعلوم الدينية والعلوم العقلية، ولعل السمة البارزة في هذا العهد هي أن كثيراً من العلماء قد أبدع في أكثر من علم من هذه العلوم، لذا سنتطرق فيما يلي إلى أهم مواد التدريس في العلوم المختلفة مع الإشارة إلى بعض المؤلفات التي ألفها علماء العهد المريني في هذه العلوم :

أولاً : العلوم العربية :

أ- علم اللغة : اهتم علماء العهد المريني بدراسة المؤلفات الخاصة بعلم اللغة، ومما يلاحظ في هذا المجال أن هذا العهد شهد اهتماماً بتدريس العديد من المؤلفات اللغوية التي ألفت في عصور سابقة.

كانت مدينة سبته أكثر المدن المغربية التي ازدهرت فيها علوم اللغة، وكانت في هذه المدينة العديد من المؤلفات الدراسية التي يأتي في مقدمتها : كتاب (إصلاح المنطق) لابن

---

[١] ابن الحاج النميري، مصدر سابق، ص ٩٧.

Scanned by CamScanner

السكيت[١]، وأيضاً كتابا (الكامل) للمبرد، و(الفصيح) لأحمد بن يحيى ثعلب (ت ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م)، وقد اهتم علماء العهد المريني بالكتاب الأخير، فيذكر عن العالم محمد بن يحيى المسفر (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م) أنه كان يحفظ كتاب (الفصيح) عن ظهر قلب.[٢]

ومن الكتب ذائعة الصيت في علم اللغة كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ/٧٩١ م)[٣]، وأيضاً كتاب (الصحاح) للجوهري .[٤]

وإلى جانب هذا الاهتمام بكتب اللغة للمؤلفين القدماء لمعت أسماء أخرى من المؤلفين اللغويين، ومن أبرزهم :

١-مالك بن المرحل[٥] (ت ٦٩٩هـ/١٢٩٩م) : الذي نظم (غريب القرآن الكريم) لابن عزيز السجستاني، ونظم مختصر (اصلاح المنطق) لابن العربي، كما رجز كتاب (الفصيح) لثعلب سابق الذكر في منظومة سماها (بالموطأ)، وله العديد من المؤلفات اللغوية النثرية مثل ترتيب كتاب الأمثال السائرة لأبي عبيد على حروف المعجم.[٦]

٢-ابن هانئ[٧]: وله العديد من المؤلفات اللغوية في هذا العهد فقد رتب : (المدخل إلى تقويم

---

[١] هو يعقوب بن إسحاق ابن السكيت، أحد علماء النحو الكوفيين، وعلم القرآن واللغة والشعر، أخذ عن بعض علماء البصرة والكوفة وتوفي سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م)، **بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ج٢، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٣٤٩.

[٢] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٩٦.

[٣] أبو الحسن بن عبد الله المالقي النباهي الأندلسي (ت ٧٩٢ هـ / ١٣٨٩ م)، **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٠٠.

[٤] مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٢٥.

[٥] انظر ترجمته في : أبي عبد الله بن محمد ابن عبد الملك المراكشي الأنصاري الأوسي (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق محمد بن شريفة، ج١، مطبعة المعارف الحديثة، الرباط، ١٩٨٤م، ص ص ٢٨-٢٩. كنون، **النبوغ المغربي**، مرجع سابق، ج١، ص ص ٢٣٥ -٢٣٦.

[٦] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٣١٨.

[٧] هو محمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي، من أكبر علماء النحو واللغة في المغرب، توفي سنة (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢م)، مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٢٣. البغدادي، **هدية العارفين**، مرجع سابق، مج٢، ص ص ١٤٨-١٤٩.

Scanned by CamScanner

اللسان وتعليم البيان)، لابن هشام اللخمي السبتي في كتابه (إنشاد الضوال وإرشاد السوال)[١]

٣- الصنهاجي : أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري : وقد وصفه مؤلف بلغة الأمنية قائلاً : " .... حافظ للغة العرب، متفنن بقول الشعر، واتفق له أن توجه إلى حضرة فاس وفد أهل سبتة في أيام السلطان أبي الحسن، وكان قد تقرر لديه حفظه فذكر ذلك لبعض كتبته فأراد الكاتب أن يفض منه، فقال له : نصركم الله أن الرجل يحفظ لغة حوشية، وإن شئت أن تعرفها عنده فاخترع له اسماً وسله عن معناه، فقال له السلطان : وما يكون الاسم، فقال يا مولاي سله عن التمركل ففعل، فقال مجيباً : هو التلفع في الكساء، واستشهد له عليه بشواهد للعرب، فعرف السلطان مكانته من الحفظ وقام الدليل عنده".[٢]

ولعله من المفيد أن نذكر هنا أن الحركة العلمية في هذا العهد لم تقتصر على علم اللغة، بل شملت أيضاً دراسة علم البيان والبلاغة، والعروض، لذا نجد العديد من المؤلفات حول هذه العلوم، ومن أبرزها : (رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة)، للقاضي أبي القاسم الشريف السبتي (ت ٧٦٠هـ/١٣٥٨م)،[٣] وهو الكتاب الذي شرح فيه قصيدة حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)،[٤] و(رياضة الأن)، وهو شرح مفيد على قصيدة الخزرجي.[٥]

ومن بين العلماء البارزين في هذا المجال، عبد المهيمن بن محمد الحضرمي الذي وصفه ابن الخطيب قائلاً : " له القدح المعلّى في علم العربية"،[٦] إضافة إلى تضلعه في علم اللغة والعروض.[٧] ومحمد الرندي (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، الذي : " كان إماماً في العربية،

---

[١] لسان الدين بن محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٣ م)، **أوصاف الناس في التواريخ والصلات**، تحقيق محمد كمال شبانة، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، ١٩٧٧م، ص ص ١٠٣-١٠٤. ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٣، ص ١٤٤. مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٦. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، مج٢، ص ص ١١٢-١١٣. البغدادي، **هدية العارفين**، مرجع سابق، مج٢، ص ص ١٤٨-١٤٩.

[٢] مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٢٤.

[٣] انظر ترجمته في : ابن الخطيب، **أوصاف الناس**، مصدر سابق، ص ص ٩٣ - ٩٥.

[٤] انظر ترجمته في كتاب :أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ/١٢٨٥م)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص ص ٤٦-٧١.

[٥] النباهي، **المرقبة العليا**، مصدر سابق، ص ٢١٠.

[٦] **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٤، ص ١١.

[٧] السيوطي، **بغية الوعاة**، مصدر سابق، ج٢، ص ١١٦.

Scanned by CamScanner

مقدماً في النظر"،[١] وإبراهيم بن الحاج النميري الذي ألف كتاباً في العربية رتبه حسب حروف المعجم.[٢]

ب – علم النحو : لم يكن علم النحو بعيداً عن اهتمام العلماء المرينيين لكونه ركناً أساسياً من أركان اللغة العربية، ففي دراسته فائدة في الاستدلال للقرآن الكريم والحديث الشريف وفهمهما. ولا بد من الإشارة هنا إلى أن العهد المريني لم يكن إلا امتداداً للعصور الإسلامية السابقة له في هذا المجال، لذا لم يخل هذا العهد من مؤلفات العصور السابقة، وقد اهتم علماؤه بالمؤلفات الأساسية لهذا العلم والتي كان في مقدمتها كتاب سيبويه،[٣] ويذكر عن أبي عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م) أنه كان: " يحكم قراءة كتاب سيبويه أتم إحكام ويستظهر شواهده كلها ويطرح ما عداه من مصنفات" [٤]، ويأتي كتاب (الجمل) للزجاجي،[٥] في المرتبة الثانية في هذا العهد، وقد أوجزه ابن آجروم[٦] في كتابه:" المقدمة الآجرومية في مبادئ علم العربية".[٧]

وشهد هذا العهد أيضاً العديد من المؤلفات النحوية، أهمها : (الجزولية)، لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز (ت ٦٠٧هـ/١٢١٠م)، التي قال عنها ابن خلكان :" ولقد أتى فيها بالعجائب، وهي في غاية الإيجاز مع الاشتمال على شيء كثير من النحو ولم يسبق إلى مثلها" [٨].

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٨.

[٢] المصدر ذاته، ج٢، ص ٩١.

[٣] عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م)، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً**، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٩، ص ٤٠.

[٤] مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٢٥.

[٥] هو أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، نسبة إلى شيخه إبراهيم السري أبي إسحاق الزجاجي لملازمته اياه مدة طويلة حتى عرف به، وكان من أئمة النحو واللغة والأدب، واختلف في وفاته بين سنة (٣٣٧هـ / ٣٤٠ هـ) ، ينظر : أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م)، **كتاب الجمل في النحو**، تحقيق توفيق الحمد، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، اربد، الأردن، ١٩٨٨م، ص ص ٧ – ٨.

[٦] هو محمد بن محمد بن داود الصنهاجي ثم الفاسي، (توفي سنة ٧٢٣ هـ/ ١٣٢٣ م). ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٢١-٢٢٢. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٢، ص ١١٢.

[٧] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٣١٧.

[٨] أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، مج٣، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص ص ٤٨٨-٤٨٩.

Scanned by CamScanner

وتأتي في مقدمة التآليف النحوية (الآجرومية) لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي الفاسي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)،[١] واعتنى بها علماء العهد المريني عناية كبيرة، ووضعوا عليها شروحاً من أشهرها، شرح العلامة المكودي،[٢] وشرح أبي عبد الله الشريف من أهل فاس، وتميزت (الآجرومية) بكونها لم تكن تابعة إلى أي من المدرستين الكوفية أو البصرية بل اعتمدت المدرستين معا وأخذت من كلتيهما، كما يقول بعض من ترجموا لصاحبها.[٣] أما جهود العلماء المرينيين في التآليف في هذا العلم (النحو) فيلاحظ بأنها لم تخرج عن نطاق التعليق والشرح، ومن أهم الشروح المعروفة في هذا العهد (تمهيد المسالك إلى شرح الفية ابن مالك)، لابن مرزوق الخطيب سابق الذكر، وشرح (تسهيل الفوائد) لابن مالك، وقام بهذا الشرح محمد بن علي بن هانئ اللخمي السبتي سابق الذكر.[٤]

ثانياً : العلوم الدينية :

أ- علوم القرآن الكريم :

١- علم القراءات : وقد عرفه ابن خلدون بأنه العلم الذي يبحث في كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم، وكيفية قراءته[٥]، وكان هذا العلم وما يزال من العلوم الأساسية التي نالت اهتمام المسلمين حتى وقتنا الحاضر لما له من أهمية واضحة للمسلمين ليتمكنوا من أداء القرآن الكريم بصورة واضحة. ومن هنا لم يكن هذا العلم بعيداً عن اهتمام المرينيين كما تؤكد ذلك ثلاثة نصوص معاصرة :

النص الأول : جاء في الذخيرة السنية عن أبي يوسف :" وبنى المدارس بفاس ومراكش، ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والعلم، وأجرى لهم المرتبات في كل شهر".[٦]

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢١. السيوطي، **بغية الوعاة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣٨.

[٢] هو عبد الرحمن بن علي بن صالح (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)، إمام نحوي، ولقبه أبو زيد الفاسي وألف شرحاً مختصراً على ألفية ابن مالك، وله شرح على المقدمة الآجرومية. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٢٥٠. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

[٣] عبد الله كنون، **ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ط١، حلقة ٢٠، مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١م، ص ص ١٩-٢١.

[٤] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٣، ص ص ١٤٣-١٤٤. الونشريسي، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ١٠٨.

[٥] **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٣٤٦.

[٦] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص ٩٠.

Scanned by CamScanner

النص الثاني : جاء في الأنيس المطرب :" ورتب[١] فيها الطلبة لقراءة القـــرآن والفقـــهاء لتدريس العلم، وأجرى عليهم المرتبات والمؤونة في كل شهر ..." [٢]

النص الثالث : وجاء في الأنيس المطرب أيضا : " وفي أيام السلطان ابتنى ولي عـــهده أبو الحسن مدرسة الأندلس بفاس العتيق وأسكنها بطلبة العلم وقراء القرآن...."[٣]

بالإضافة لما مر معنا أن الأمير أبا الحسن شيد مدرسة خاصة بسكنى أساتذة القـــراءات السبع، وهي مدرسة السبعيين التي تسميها الوثائق القديمة أحياناً بمدرسة " الأساتيذ" [٤].

نستنتج من النصوص السابقة أن علم القراءات كـــان فـــي طليعـــة اهتمـــام الســـلاطين المرينيين، ومن ملامح ذلك أن أصبح لطلاب هذه العلوم الحق في السكنى بالمدرسة وفي التمتـــع بالمنح الدراسية.

وبلغت عناية السلاطين المرينيين بعلم القراءات أن خصص السلطان أبو الحسن رواتـــب لعشرة من القراء يقرؤون حزباً من القرآن في سائر البلاد[٥]، كما أنه أخذ في رحلته إلى إفريقيـــة (تونس) شيخ علم القراءات في المغرب الأقصى وهو أبو العباس أحمد بن محمـــــد الزواوي للانتفاع بعلمه [٦]، وكانت القراءات المعتمدة على هذا العهد هي قراءة نافع بن أبي نعيـــم[٧]، علـــى رواية ورش (ت ١٩٧هـــ/١٨١٢م).[٨]

---

[١] المقصود هو السلطان أبو سعيد المريني.

[٢] ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص ٤١٢.

[٣] المصدر ذاته.

[٤] من هذه الوثائق حوالة في أوراق قديمة عن حسابات المدارس العلمية بفاس، وهي في خزانة القرويين تحـــت رقم ٣٩٩، انظر : المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٩٧.

[٥] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ٨٠.

[٦] ابن خلدون، **الرحلة**، مصدر سابق، ص ٤٦.

[٧] هو نافع بن أبي نعيم الليثي، أحد القراء السبعة، أصله من أصبهان، اشتهر في المدينة المنورة، وانتـــهت إليـــه رياسة القراءة فيها، وهو من الطبقة الثالثة بعد الصحابة رضوان الله عليهم، توفي في المدينـــــة المنـــورة ســـنة ١٦٩هـــ/٧٨٥م، وقيل سنة ١٥٩هـــ/٧٧٥م. والأول هو التاريخ الأصح. ابن خلكان، **وفيات الأعيـــان**، مصـــدر سابق، مج٥، ص ٣٦٨. شمس الدين بن محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي (ت ٨٢٣ هـــ/ ١٤٢٠م)، **غايـــة النهاية في طبقات القراء**، نشره ج. برجستراسر، ط٢، ج٢، دار الكتـــب العلميـــة بـــيروت، ١٩٨٠، ص ص ٣٣٠-٣٣٤. ابن العماد، **الشذرات**. مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٠. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ١٣٧.

[٨] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

Scanned by CamScanner

أما الكتب التي راجت في علم القراءات في عهد بني مرين فأبرزها كتابا : (الكافي) و(المفردات) لابن شريح، ثم قصيدة الحصري، وهذه الكتب الدراسية كانت تدرس في سبته،[١] ويضاف لهذه المؤلفات الثلاثة كتاب (التيسير في القراءات) لابن عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م)، الذي لخصه أبو القاسم بن فيرة الشاطبي (ت ٥٩٠هـ/١١٩٣م)، ونظمه في قصيدة شعرية اشتهرت بالشاطبية رتب فيها سور القرآن الكريم بحروف (أ، ب، ج، د) تسهيلاً لحفظها.[٢] ونظم مالك بن المرحل كتاب (التيسير) في قصيدة مطولة عارض فيها (حرز الأماني ووجه التهاني) للشاطبي،[٣] وزناً وقافية وسماها بـ: " التبيين والتبصير في نظم كتاب التيسير" [٤]، وكانت القصيدة الشاطبية تتصدر كتب الدراسة، ويقول عنها ابن خلدون :" وعني الناس بحفظها وتلقينها للولدان المتعلمين وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس" [٥].

وشهد علم القراءات في العهد المريني بعض الأسماء البارزة، ونحن هنا لسنا بصدد إجراء إحصاء لها بقدر ما نود ذكر بعضها كنماذج لشيوخ القراءات عندئذٍ، ومنهم :

١- ابن القصاب : محمد بن علي بن عبد الحق الفاسي (ت حدود ٦٩٠هـ/١٢٩١م) الذي كان يقرئ القرآن بالقراءات السبع، بالإضافة إلى العربية .[٦]

---

[١] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

[٢] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ١٩٧. ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٣٨.

[٣] هي قصيدة يتحدث فيها الشاطبي عن القراءات السبع في القرآن الكريم . والشاطبي هو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد أبو القاسم الشاطبي الرعيني، ولد سنة ٥٣٨ هـ/١١٤٣ م، بشاطبة في الأندلس، وكان عالماً في القراءات، حافظاً للحديث، بصيراً بالعربية، توفي سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٣ م. انظر : القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي (ت ٥٩٠ هـ/١١٩٣ م)، **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، تحقيق علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ، ١٩٣٧م، ص ص ٩٨-٩٩. عبد الرحمن أبو شامة (ت ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٥ م) **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م، ص ٢٧. ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، مصدر سابق، ق ٢، ص ص ٥٤٨، ٥٥١.

[٤] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

[٥] **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، مصدر سابق، ص ٤٣٨.

[٦] ابن الجزري، **طبقات القراء**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٠٤. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

Scanned by CamScanner

٢- أبو العباس أحمد بن محمد الزواوي : [١] كان أبرز علماء هذا العلم في عهد السلطان أبي الحسن، وذكره ابن خلدون قائلاً : كان إماماً في علم القراءات وصاحب ملكة فيها لا تجارى، وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود".[٢]

٤-محمد بن إبراهيم الصفار المراكشي (ت ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م) : وهو من علماء القراءات السبع في عهد السلطان أبي عنان المريني، الذي كان يستدعيه ليقرأ عليه القرآن بالروايات السبع.[٣]

٥-ميمون الفخار (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م)[٤] ، له عدة تآليف في علوم القرآن الكريم منها : كتاب (التحفة)، وكتاب (الدرة)، والكتاب الأخير يختص بالقراءات .[٥]

٦-قاسم بن أحمد بن عمران الحضرمي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)[٦] وقد قيل عنه إنه :" سند عال متصل السماع، لا نظير له في المغرب، وله معرفة بالقراءات والعربية "،[٧] ومن تآليفه في القراءات : (الشافي في اختصار التيسير الكافي) [٨] .

وألف بعض العلماء في العهد المريني عدداً من الكتب الخاصة بعلم القراءات نذكر منها:

---

[١] انظر ترجمته في : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٢. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٩٤-٩٥.

[٢] ابن خلدون،**الرحلة**، مصدر سابق، ص ٤٦.

[٣] ابن خلدون،**الرحلة**، مصدر سابق، ص ٦١. ابن قنفذ، **الوفيات**، ص ص ٣٥٩-٣٦٠. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ص ص ٢٧٦-٢٧٧.

[٤] هو ميمون بن مساعد المصمودي مولى أبي عبد الله الفخار، كان أستاذاً، له عدة تآليف في علوم القرآن، توفي بفاس سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م. ابن لقاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٤٨. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٦١٤. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ص ٢-٣.

[٥] الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ص ٢-٣.

[٦] هو قاسم بن أحمد بن محمد بن عمران الحضرمي، فقيه من أهل سبته، رحل عن بلده إلى الحجاز وأقام في المشرق ما يقارب أربعة عشر عاماً. ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، ج٤، ص ص ٢٦٧-٢٦٨. المقري، **أزهار الرياض**، مصدر سابق، ص ٦.

[٧] مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٣١.

[٨] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٤، ص ٢٦٨.

Scanned by CamScanner

١- كتاب : (الدرر اللوامع في أصل مقرئ الإمام نافع)، لابن بري (ت ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م).[١]

٢- كتب أخرى منها : كتاب (التجويد ومختصره)، وكتاب (ترتيب الأداء)، وكتاب (النافع في قراءة نافع)، وكتاب (تبيين طبقات المد وترتيبها)، لأبي الحسن القرطبي (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣١م).[٢]

٣- كتاب : (الرمز البارع في قراءة نافع)، وأيضاً شرح بسيط على اللامية الشاطبية باسم : (فرائد المعاني في شرح حرز الأماني) لابن آجروم.[٣]

٤- كتاب : (التبيان في شرح مورد الظمآن)، لابن آجطا: وهو عبد الله بن عمر الصنهاجي، (ت منتصف ق ٨هـ/ ١٣م).[٤]

٥- كتاب : (النافع في أصل حروف نافع)، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الجادري.[٥]

٢- علم التفسير :

يعد هذا العلم من العلوم الأساسية في فهم القرآن الكريم ونزول الآيات وأسباب نزولها، وترتيب الآيات المكية والمدنية فيها، ومعرفة المحكم والمتشابه من الآيات، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر، والحلال والحرام، وغير ذلك.[٦]

---

[١] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

[٢] الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٤٩.

[٣] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٦٨.

[٤] الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ١٠٥، ١٠٦.

[٥] هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن عطية المديوني الشهير بالجادري، وهو فقيه محدث ونحوي وكان من العلماء المشهود لهم بفاس (ت ٨١٨هـ/ ١٤١٥م). ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٠٤. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٢٥٤.

[٦] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ص ٤٣٨-٤٣٩. محمد علي الفاروقي التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣م، ص ٣٣.

Scanned by CamScanner

أول ما يلاحظ على علماء التفسير في عهد بني مرين هو أنهم ساروا فيه على نهج مخالف لما سار عليه المفسرون في العهد الموحدي. فقد كان علماء الموحدين يؤولون المتشابه من الآيات والأحاديث،[١] وبذا يكون علماء المرينيين على النقيض من مذهب المعتزلة، فيعتمدون على الأثر والنقل،[٢] مما كان أحد أسباب ابتعاد مذهب المعتزلة عن الحياة العلمية في المغرب على المستوى الرسمي والشعبي، فعلى المستوى الرسمي نجد أن السلطان أبا الحسن المريني كان لا يقبل أن يجلس في مجلسه العلمي من يتمسك بأدلة المعتزلة، فقد جاء في كتاب المسند الصحيح : "فإذا عرضت أدلة المعتزلة والخارجين عن مذاهب أهل السنة يقول : دعوا هذا " ، ومهما ذكر مذهب من المذاهب الملفوظة ينهى عن الخوض فيه ، ويزجر ذاكره " [٣]. وهذا تدخل من بعض سلاطين المرينيين في توجيه الفكر والنظر في حرية الرأي والاجتهاد.

أما على المستوى الشعبي فيبدو أن بعض العلماء المرينيين كان موقفهم من مذهب المعتزلة امتداداً للموقف الرسمي للدولة ، فنجد بعضهم مثل : محمد بن علي أبي العابد الأنصاري (ت ٧٦٢هـ/ ١٣٦٣م)، يعمد إلى اختصار تفسير الزمخشري ويزيل منه كل ما يتعلق بمذهب مؤلفه المعتزلي.[٤]

ومن بين كتب التفسير التي تناولها علماء العهد المريني بالدراسة والتعليم كتاب : (الكشاف) للزمخشري الذي اشتهر مؤلفه بالأخذ بمذهب المعتزلة،[٥] وكتاب : (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، الذي قال عنه ابن خلدون: " وجاء أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس، حسن المنحى ".[٦] وقد سار عبد الرحمن الثعالبي على منهج ابن عطية.

ونتيجة لاهتمام السلاطين المرينيين بالقرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع الإسلامي كان من الطبيعي أن تنشط حركة التفسير في عهدهم، لذا برز العديد من العلماء في هذا العلم، منهم :

---

[١] الحسيسن، **مظاهر النهضة**، مرجع سابق، ج١، ص ٨١.

[٢] المرجع ذاته، ص ٨٠.

[٣] ابن مرزوق، مصدر سابق، ص ١٣٣.

[٤] ابن القاضي، **الجذوة** ، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣١. كنون، **النبوغ المغربي**، مرجع سابق، ص ٢٠٤.

[٥] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق. طبعة دار الأعلى، ص ٤٤٠.

[٦] المصدر ذاته.

Scanned by CamScanner

١- ابن البقال : محمد بن محمد بن علي (ت ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م)[١]

٢- ابن البناء المراكشي : الذي كانت له عدة موضوعات في التفسير وحاشية على الكشاف للزمخشري.[٢]

٣- محمد بن أبي البركات السكاك (ت ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م).[٣]

٤- محمد بن أحمد بن أبي بكر يحيى القرشي (ت ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م).[٤]

٥- موسى بن محمد عبد المعطي العبدوسي (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م).[٥]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كتب التراجم التي تناولت هؤلاء الأعلام والتي رجعنا إليها في هذا البحث اكتفت بالقول إن هؤلاء الأعلام برزوا في التفسير دون ذكر مؤلفات لهم أو أي نشاط لهم في التدريس ، باستثناء ما ذكرناه عن ابن البناء.

ومن الجدير بالذكر هنا أن حركة التفسير في العهد المريني شملت أيضاً تداول الكتب الواردة من خارج المغرب، مثل التأليف الخاص بشرف الدين الطيبي من أهل عراق العجم، والذي شرح فيه كتاب الزمخشري (الكشاف)، وتتبع فيه ألفاظه، وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة تبطلها، وتوضح أن البلاغة إنما تكون في الآية على ما يراه أهل السنة وليس المعتزلة.[٦]

ب- علم الحديث :

يعرف الحديث النبوي بأنه ما صدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، ويأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم[٧]، وكان الاهتمام بالحديث الشريف

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣٦. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٧٤. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٣٨٧.

[٢] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٠.

[٣] مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٤٨. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ٤٨١- ١٨٢. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٥١.

[٤] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٢، ص ١٩٥. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ٢٩٨.

[٥] ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٨٥. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٦٠٤. مخلوف، **شجرة النور** ، مرجع سابق، ص ص ٢٣٤-٢٣٥.

[٦] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى ، ص ٤٤٠.

[٧] محمد عجاج الخطيب، **أصول الحديث علومه ومصطلحه**، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص ٧. التهانوي، **كشاف**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧.

Scanned by CamScanner

في بداية العهد المريني أقوى منه في آخره ، وربما يرجع ذلك إلى استمرارية ملامح النهضة الحديثية الموحدية، وسريانها إلى صدر العهد المريني، وهناك سبب آخر وهو رحلات العديد من الشخصيات من المغرب إلى المشرق العربي ولقائهم لأعلام المحدثين المشارقة بمصر والشام والحرمين الشريفين وغيرها. ومن هنا ازدهر الاشتغال بالدراسات الحديثية، وأقبل العلماء المرينيون على دراسة كتب الحديث التي كان في مقدمتها (صحيح البخاري ت ٢٥١هـ/ ٨٦٥م)، فقد كان للبخاري منزلة خاصة، قال عنها ابن خلدون : "ولقد سمعت كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون : شرح كتاب البخاري دين على الأمة، يعنون أن أحداً من علماء الأمة لم يوف ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار" [١].

وذكر في أحد المصادر المعاصرة عن مجلس أبي الحسن أن من أكثر الكتب الخاصة بالحديث التي كانت تقرأ فيه كتاب البخاري، ويقول المصدر بهذا الصدد: " وهو الكتاب الذي لا نظير له، أحد كتب الإسلام المعتمدة، وهو أصحها صحيحاً، وأكثرها فوائد، وأعظمها نفعاً، وأشهرها بركة...."[٢]

ويأتي كتاب (صحيح مسلم ت ٢٦١هـ/ ٨٧٤م) في المرتبة الثانية بعد صحيح البخاري، وقرئ هذا الكتاب أيضاً في مجلس السلطان أبي الحسن، وقد روي عن أبي عمرو البصري الحافظ، أنه قال : " كتاب البخاري ومسلم أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز".[٣]

ولكننا نجد أن الناس قد اختلفوا في المفاضلة بين هذين الكتابين، فقد رجح كثير من العلماء المغاربة كتاب مسلم لعروه عن التعليق والآثار، ومنهم من فضل صحيح البخاري،[٤] ولكن ابن خلدون ذكر أن علماء المغرب أكثر اقتناعاً بصحيح مسلم وأنهم يفضلونه على صحيح البخاري بقوله : "وأما صحيح مسلم فكثرت عناية علماء المغرب به، وأكبوا عليه، وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري".[٥]

---

[١] **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٤٣.

[٢] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سبق، ص ٢٧٥.

[٣] المصدر ذاته، ص ٢٧٦.

[٤] المصدر ذاته، ص ص ٢٧٦-٢٧٧.

[٥] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سبق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٤٣.

Scanned by CamScanner

ومن بين الكتب التي كانت تدرس في العهد المريني أيضاً كتاب : (الموطأ) للإمام مالك (ت ١٧٩هـ/ ٧٩٥ م)، فقد حظي هذا الكتاب باهتمام علماء المغرب لأنه " كتاب إمامهم الذي أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه، ورتبه على ابواب الفقه".[١]

ومن الكتب التي حظيت بالتدريس كتاب (علوم الحديث) لابن الصلاح، وهو يهتم بالبحث في حالات الأحاديث ورواتها من جهة قوتها وضعفها ، وما إلى ذلك.[٢]

وكانت هناك مؤلفات تدرس في السيرة النبوية مثل كتاب : (الشمائل الترمذية)، لمحمد بن إسحاق، و(سيرة ابن فارس)، و(الشفا) للقاضي عياض.[٣]

ومن علماء الحديث الذين برزوا في العهد المريني نذكر :

١- محمد بن عبد الرحمن التميمي : [٤] الذي كان يروي الحديث بأسانيده ومتونه، ويستظهر مطولاته.[٥]

٢- محمد بن إبراهيم الليثي المراكشي (ت ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) : وهو الذي ذيل على شرح القاضي عياض لصحيح مسلم المسمى بـ: (إكمال المعلم)، وسمى تذييله : (إكمال الإكمال) [٦].

٣- ابن رشيد : [٧] محمد بن عمر بن محمد الفهري السبتي (ت ٧٢١هـ/ ١٣٢١م) : وكان قمة في الحديث والرواية ، " واسع السماع، عالي الإسناد، صحيح النقل ، أصيل الضبط، تام العناية، ذاكراً للرجال" [٨]، ومن مؤلفاته حول صحيح البخاري : (ترجمان التراجم)، الذي وقف عليه ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، وقال عنه : " ووقفت على مجلد من كتاب اسمه ترجمان التراجم لأبي عبد الله ابن رشيد السبتي يشتمل على هذا المقصد،

---

[١] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٣٥٠.

[٢] المصدر ذاته، ص ٤٤٣. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٣٥٢. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

[٣] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٩١.

[٤] لم أقف على تاريخ وفاته، وإنما كانت ولادته عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م.

[٥] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٢.

[٦] ابن فرحون، **الديباج المذهب**، مصدر سابق، ص ص ٣٢٢- ٣٢٣.

[٧] ذكره محمد عادل عبد العزيز في كتابه **التربية الإسلامية** سابق الذكر باسم ابن رشد وهذا غير صحيح، لأن المصادر المتداولة بين أيدينا لم تشر إلى هذا الاسم إلا بابن رشيد.

[٨] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٣، ص ١٣٥.

Scanned by CamScanner

وصل فيه إلى كتاب الصيام"[١]، وله عدة مؤلفات مثل : (السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن " [٢]. وهو يشير إلى الإمامين البخاري ومسلم، وجنح إلى الحكم لصالح الإمام البخاري، ويبدو من مؤلفات ابن رشيد هذا ومن تدريسه لصحيح البخاري بغرناطة وفاس، أنه كان يميل إلى تفضيل صحيح البخاري على صحيح مسلم، وهو اختيار أخذ يشق طريقه بالمغرب من هذا العهد حين اتجه المغاربة إلى صحيح البخاري دراسة ورواية وتعليقاً .[٣]

ج- الدراسات الفقهية :

سمي الفقه بعلم الدراية، وهو معرفة النفس ما لها وما عليها [٤]،وشهد هذا العمل اهتماماً واضحاً في عهد بني مرين، بعد أن انتهى تقليد المذهب الظاهري بقيام الدولة المرينية وعاد المغاربة لمذهب مالك.[٥]

وفي ظل الدولة المرينية تجدد لمذهب مالك اعتباره، ولشيوخه الحرية المذهبية سواء من ناحية التدريس، أو التأليف. لذا فلا عجب أن نرى الاعتماد من قبل غالبية العلماء المرينيين على دراسة وتدريس (المدونة الكبرى)، أو (التهذيب)، أو (الرسالة القيروانية) كما سنرى، مقابل اعتماد محدود للمختصرات.

ومما يميز الفقه في العهد المريني أنه كان يدخل في الشعائر، والأحوال الشخصية، والمعاملات، مما جعل الحاجة إليه في المجتمع المريني أكثر من أي مادة علمية أخرى، وهذا يفسر اهتمام غالبية العلماء بهذا العلم.

ونتيجة لاهتمام الدولة المرينية بمذهب مالك وحرصها على استعادة هذا المذهب هيبته، كان من الطبيعي أن تتقدم علوم الفقه في هذا العهد تقدماً واضحاً، تدل على ذلك كثرة الفقهاء

---

[١] **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** ، ط٤، المقدمة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص ١٢.

[٢] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٩٠. المنوني : **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

[٣] يقول ابن حجر العسقلاني : " واستمر ابن رشيد في الجامع يشرح من البخاري حديثين يتكلم على سندهما ومتنهما ..." ، انظر : **الدرر** ، مصدر سابق، ج٤، ص ١١٢.

[٤] برهان الدين الزرنوجي (ت ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م)، **تعليم المتعلم طريق التعلم**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٩١.التهانوي، **الكشاف**، مرجع سابق، ص ٣٨، ٤١.

[٥] ابن الأحمر، **بيوتات فاس**، مصدر سابق، ص ص ٢٠-٢١.

Scanned by CamScanner

الذين نبغوا في هذا المجال، وأيضاً كثرة المؤلفات التي وضعت في علوم الفقه،[١] وعرفت في هذا العهد الكثير من المصنفات الفقهية التي تناولها العلماء بالدراسة والشرح والتعليق، ومن أهمها :

أ- المدونة :

تعد المدونة من أوائل المصنفات الفقهية، وهي للإمام سحنون (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) وأصلها الأول الأسدية لأسد بن الفرات [٢](ت ٢١٢هـ/٨٢٧م)، أخذها تلميذه سحنون ورحل بها إلى مصر [٣]، واهتم بها علماء العهد المريني، وبرز العديد من العلماء الذين اشتهروا بتدريسها من أمثال :

١-عبد الرحمن بن عفان الجزولي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، الذي قيل عنه إنه كان يحضر مجلسه العلمي أكثر من ألف فقيه مالكي معظمهم يستظهر المدونة [٤]، ورغم أن هذا العدد يبدو مبالغاً فيه، إلا أنه يعد دليلاً على هيمنة المذهب المالكي في الفترة المرينية وكثرة العلماء المهتمين به.

٢-عبد المؤمن بن محمد الجاناتي (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، فقد كان أعرف الناس بالمدونة والتهذيب، وكان حسن الإلقاء للمسائل الفقهية.[٥]

٣-إبراهيم التسولي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) : الذي كتب على المدونة تقييدين.[٦]

---

[١] كنون، **النبوغ المغربي**، مرجع سابق، ج١، ص ١٩٩.

[٢] هو أسد بن الفرات بن سنان، قاضي القيروان، وأصله من خراسان، وهو أول من فتح صقلية، توفي متأثراً بجروح أصيب بها وهو محاصر سرقوسه براً وبحراً، وهو مصنف الأسدية في الفقه المالكي. النباهي، **المرقبة العليا**، مصدر سابق، ص ٥٤. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ص ١٦٤-١٦٥. عبد الله أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، **كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق بشير البكوش، ط٢، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ص ٢٥٤. أنور الجندي، **أعلام الإسلام، تراجم الإسلام البارزة من عهد النبوة إلى اليوم**، دار الاعتصام، القاهرة،(د.ت.)، ص ٩٦.

[٣] القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج٣، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٦م، ص ٢٩٦.

[٤] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق. ج٢، ص ٤٠١. ابن القاضي، **لقط الفرائد**، مصدر سابق، ص ١٩٣. بل، **الفرق الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٣٢٣.

[٥] ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ١٧٢-١٧٣.

[٦] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق. مج١، ص ٣٧٣. ابن فرحون، **الديباج المذهب**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٢. ابن القاضي، **الجذوة**، ج١. ص ٨٥.

Scanned by CamScanner

٤-علي بن عبد الرحمن بن تميم اليفرني المكناسي (ت ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) : الذي وضع أيضا تقييدا على المدونة.[١]

٥-موسى بن محمد بن عبد المعطي العبدوسي (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) : وقيل عنه إنه : "أقرأها نحواً من أربعين سنة " كما وضع عليها شرحا.[٢]

ومن جهة أخرى قام العديد من العلماء بشرح المدونة ومنهم :

١-محمد بن علي بن سليمان السطي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م).[٣]

٢-عبد العزيز بن محمد القروي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م).[٤]

ب – الرسالة :

ومؤلفها هو أبو محمد بن عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)[٥]، وتأتي في المرتبة الثانية بعد المدونة من حيث أهميتها، وتناولها بعض العلماء المرينيين بالشرح والتدريس منهم :

١-عبد الرحمن بن عفان الجزولي (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، وقيدت عنه على الرسالة تقاييد ثلاثة : أحدها في سبعة أسفار، والآخر في ثلاثة أسفار والثالث في سفرين.[٦]

---

[١] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٢٠٤.

[٢] الونشريسي، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ١٢٧. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٣٧٠. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٦٠٤. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ص ٢٣٤-٢٣٥.

[٣] والجدير بالذكر هنا أن بعض كتب التراجم أشارت إلى اسمه محمد بن سليمان السطي أو محمد بن سليمان بن علي السطي، والأقرب للصواب هو محمد بن علي بن سليمان السطي، كما ورد في المسند الصحيح لأن مؤلفه ابن مرزوق التلمساني عرفه كذلك، وهو الأقرب للتسمية الصحيحة لأن السطي كان ينوب عن ابن مرزوق في الخطابة. للمزيد : انظر : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٨. ابن القاضي، **لقط الفرائد**، مصدر سابق، ص ٢٠١. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤٠٨.

[٤] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٥١.

[٥] ابن العماد، **الشذرات**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٣١. جمال الدين بن يوسف ابن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ط١، ج٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ص ٢٠٢.

[٦] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٤٠١-٤٠٢. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢١٩. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق. ص ص ١٦٥-١٦٦. كحالة، **معجم المؤلفين**، مرجع سابق، ج٥، ص ص ١٥٣-١٥٤.

Scanned by CamScanner

٢-محمد بن عبد الرحمن التميمي .[١]

٣-إبراهيم بن عبد الرحمن التسولي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).[٢]

٤-يوسف بن عمر الأنفاسي (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م).[٣]

ج- التهذيب وغيره :

التهذيب كتاب ألفه أبو سعيد البراذعي [٤]، وتناوله العلماء المرينيون بالدراسة، ومن هؤلاء العلماء الفقيه عبد المؤمن بن محمد بن موسى (ت ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م)، وقيل إن مجلسه العلمي يحضره أكثر من أربعمائة فقيه[٥]، ولعل هذا يوضح لنا مدى اهتمام المرينيين بالفقه لصلته الوثيقة بأمور حياتهم اليومية ومدى حرصهم على استعادة مكانة المذهب المالكي كما أشرنا.

وقد درس الفقهاء المرينيون عدداً آخر من المصنفات الفقهية من بينها كتاب : (التفريع)، لابن الجلاب الذي اشتهر به أبو محمد عبد الله الفشتالي (ت ٦٥٣هـ/١٢٥٥م)[٦]، والفقيه محمد الرندي (ت ٧٤٦هـ/١٣٤٥م)[٧] ، والفقيه أبو الربيع سليمان بن إبراهيم الفاسي (ت ٧٠٥هـ/١٣٠٥م).[٨]

كما درسوا المختصر الفقهي لأبي عمر بن الحاجب، الذي تداوله طلبة المغرب، فقد ذكر ابن خلدون ذلك قائلا : " وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه"، وأشار في موضع آخر إلى مؤلفه بأنه : " لخص فيه طرق أهل المذاهب في كل باب وتعديد أقوالهم في كل مسألة فجاء كالبرنامج للمذهب"[٩].

---

[١] هو محمد بن عبد الرحمن الكرطوسي التميمي، من أهل فاس، وبها ولد سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، نزيل مالقة، الشيخ الفقيه المتكلم، كان غزير الحفظ. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٢٢٢-٢٢٣. التنبكتي، **النيل** ، مصدر سابق، ص ٢٥٤.

[٢] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ٣٧٣. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥١.

[٣] الونشريسي، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ١٢٤. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٣٣.

[٤] هو خلف بن أبي القاسم الأسدي. القاضي عياض السبتي، **ترتيب المدارك**، مصدر سابق، ج٤، ص ص ٨٠٧-٨٠٩. ابن فرحون، **الديباج المذهب**، مصدر سابق، ج١، ص ص٣٤٩-٣٥٩ .

[٥] الونشريسي، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ١١٥. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٤٨.

[٦] ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٣، ص ٧٩. الونشريسي، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ١١٥.

[٧] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٨.

[٨] المصدر ذاته، ج٢، ص ٥١٥. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٠٩.

[٩] **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأطلس، ص ٤٥٠.

Scanned by CamScanner

وممن تناول تدريسه علي الفاسي المشهور بالصياد (كان حيا سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م)[١]، وعبد الحق بن سعيد المكناسي (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م) [٢] ، وعلق عليه بعض العلماء بشروح كما فعل ابن مرزوق الخطيب، الذي سمى شرحه : (إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب)[٣]، ومحمد بن يحيى بن مسفر الباهلي (ت ٧٤٤هـ/١٣٤٣م) الذي أملى عليه تقييدا عجيبا [٤]، وعيسى بن مسعود الزواوي (٧٤٣هـ/١٣٤٢م)، الذي كتب عليه شرحا في سبعة مجلدات.[٥]

وألف علماء آخرون كتبا وشروحا على بعض المصنفات، مثل :

١-عبد الحق بن سعيد المكناسي (كان حيا سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م)، وله كتاب : (الحازمة على الرسالة الحاكمة) وهذا الكتاب (الحازمة) عبارة عن تقييد وضعه المكناسي على مجموعة فتاوى لأبي بكر بن العربي .[٦]

٢-محمد الرندي (ت ٧٤٦هـ/١٣٤٥م)، الذي شرح كتاب التفريع لابن الجلاب سابق الذكر.[٧]

وعرفت في هذه الفترة مصنفات فقهية أخرى منها : (البيان والتحصيل)، و(المقدمات) لابن رشد، (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) [٨] ، وقد اشتهر بتدريسها سليمان الونشريسي (ت ٧٠٥هـ/١٣٠٥م)، ودرسها على يديه أبو عبد الله الرندي[٩]، و(لب اللباب في مناظرة القباب) لأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الجذامي المعروف بالقباب سابق الذكر.[١٠]

ومن الجدير بالذكر أن المختصرات والمؤلفات الفقهية في هذا العهد، لم تلق استجابة من قبل الفقهاء الذين كانوا يعيبون على بعض علماء الفقه حرصهم على وضع المختصرات في هذا

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٧٢. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٤٦.

[٢] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٨٩.

[٣] المصدر ذاته، ج١، ص ص ٢٢٥-٢٢٦.

[٤] المصدر ذاته، ص ٢٩٦. الونشريسي، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ١١٣.

[٥] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٩٤. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢١٩.

[٦] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٣٨٩.

[٧] المصدر ذاته، ج١، ص ٢٢٨. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

[٨] ابن خلدون، **المقدمة**، طبعة دار الأعلى، مصدر سابق، ص ٤٥٠.

[٩] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٥١٦-٥١٧. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٣٠٨-٣٠٩.

[١٠] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٣. ولمزيد من المؤلفات الفقهية في هذا العصر انظر : كنون، **النبوغ المغربي**، مرجع سابق، ج١، ص ص ٢٢٧-٢٢٩.

Scanned by CamScanner

المجال، وحجتهم في ذلك أن هذا الاختصار قلل الفائدة منها، ووصفت من قبل علماء العهد بأنها عقيمة، لذا تشدد علماء العهد المريني في صد الطلبة عن قراءة الكتب التي نحا بها أصحابها هذا المنحى، ولعل موقف الفقيه القباب يفسر ذلك إذ يروى عنه أنه كان يقول : إن ابن رشد، وابن بشير، وابن الحاجب، أفسدوا الفقه،[١] وعندما عرض ابن عرفه مختصره الفقهي على القباب، قال له القباب :" تأليفك هذا لا نفع فيه للمبتدئ لصعوبته، ولا يحتاج إليه المنتهي" [٢].

كذلك كان موقف اليزناسني في اعتراضه على تأليف الفقيه علي بن شاش الذي وضع مختصره (الجواهر) ولكنه (ابن شاش) لم يعمل بإشارته[٣]. كذلك قلل أحمد المقري من أهمية الاعتماد على المختصرات، والتقاييد بقوله : " إن تقاييد التهذيب والرسالة لا يعول عليها في الإقراء ولا يوثق بشيء منها في الفتيا ".[٤]

د- التصوف :

تعود جذور التصوف في المغرب إلى ما قبل عهد بني مرين، أما في هذا العهد وخاصة في القرن الثامن الهجري فقد نما التصوف نمواً كبيراً لفت نظر الباحثين، ونحن هنا لن نتطرق إلى تطور الحركة الصوفية وبروز العديد من تياراتها في هذا العهد، بقدر ما يهمنا إعطاء لمحة مختصرة عن اتجاهاتها مع ذكر أهم المؤلفات الصوفية التي سادت في العهد المريني.

لعله من المفيد أن نذكر هنا أن انتشار التصوف في المغرب المريني يعود إلى عدة عوامل منها: أنه جاء نتيجة لما سمّاه الباحث كولان " الاختمار الديني" الذي أحدثه في المغرب الإسلامي المرابطون ثم الموحدون.[٥] وأيضاً يعود لانهزام المسلمين في الأندلس، والاضطرابات التي ابتلي بها المغرب بعد موقعة العقاب، وما نتج عن ذلك من شعور باليأس دفع الناس إلى الزهد وحببه إليهم وصرفهم إليه، وما قام به السلاطين المرينيون من تشجيع للحركة الصوفية ببنائهم الزوايا، وتقريبهم للأولياء.[٦]

---

[١] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٥٢. كنون، **النبوغ المغربي**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٠٢.

[٢] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٣

[٣] المصدر ذاته، ج١، ص ١٩٣. كنون، **النبوغ المغربي**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٠٣.

[٤] المقري، **أزهار الرياض**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٩.

[٥] بل، **الفرق الإسلامية**، مرجع سابق، ص ٣٧٨.

[٦] شقور، شعر المتصوفة المغاربة في عصر بني مرين، مرجع سابق، ص ٦٠.

Scanned by CamScanner

كان من الطبيعي وسط ظروف كهذه أن تزداد الحركات الصوفية وتنتشر، وتتركز في الأرياف والبوادي حيث كان الناس يقصدون الأولياء (الزهاد) للتبرك بهم ، وأخذ العلم والبركة عنهم،[١] ومما ساعد على وجود الصوفية في هذه المناطق أن العديد من رجال التصوف هجروا قواعد المدن هروباً من الفتن والاضطرابات.[٢]

لا بد أن نذكر هنا أن الحركة الصوفية التي شهدها المغرب في عهد بني مرين كانت متمسكة بالمذهب السني [٣]، لذا لم تلق بعض التيارات الصوفية التي انتشرت في المشرق قبولاً في المغرب، وفي مقدمتها مذهب الحلاج [٤]، بل إن المغاربة اتخذوا مواقف من بعض المؤلفات الصوفية، فقد كان كتاب (الإحياء)، للغزالي مثار نقاش في الأوساط الثقافية في عهد بني مرين، فأبو محمد الفشتالي كان يقول عن كتب الغزالي : " يجب أن تقبل حيث يتكلم في المسائل الفقهية... وما وراء ذلك من غوامض العلوم المتعلقة بالعالم الغائب ينبغي للضعيف أن يعزل سمعه عنها" [٥] ، ولعل هذا النص يعد دليلاً على أن بعض العلماء المغاربة في العهد المريني لم يتخذوا مواقف معينة من بعض أقطاب الصوفية فحسب، بل ومن بعض المؤلفات الصوفية أيضاً.

واشتهرت بعض المؤلفات الصوفية في العهد المريني نذكر منها :

١-(المقصد الشريف والمنزع اللطيف بالتعريف بصلحاء الريف)، لعبد الحق بن إسماعيل البادسي.

٢- (التشوف إلى رجال التصوف)، للتادلي.

---

[١] البادسي، **المقصد الشريف**، مصدر سابق، ص ص ٦٥، ٩٢.

[٢] أبي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمن التادلي المعروف بابن الزيات (ت ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، **التشوف إلى رجال التصوف**، تصحيح أدولف فور، مطبوعات إفريقيا الشمالية الفنية، الرباط، ١٩٥٨م، ص ٣.

[٣] سامي النشار، **ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب**، ط١، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠م، ص ١٦.

[٤] هو الحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩ هـ/٩٢١ م) عاش في بغداد، وأصله من بلاد فارس، وزار كثيراً من مدن العالم الإسلامي، ثم عاد إلى بغداد لنشر مذهبه في التصوف، واشتهر بالتنسك والزهد. ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، مصدر سابق، مج٢، ص ص ١٤٠-١٥٧. ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ٢١٩.

[٥] الونشريسي، **المعيار**، مصدر سابق، ج١١، ص ١٢١.

Scanned by CamScanner

٣- (قوت المقيم)، لابن هانئ السبتي سابق الذكر.[١]

٤-(الحقائق والرقائق)، و (إقامة المريد)، و(رحلة المتبتل)، لمحمد بن أحمد بن بكر بن يحيى المقري.[٢]

ثالثاً : العلوم العقلية :

١- الرياضيات :

ازدهرت العلوم الرياضية بفروعها في المغرب المريني لأهميتها في الحياة اليومية للمسلمين من جهة ولحاجة الدولة في تسيير شؤونها الحسابية فيما يتعلق بالنفقات، والموارد، والضرائب... إلخ، من جهة أخرى، وأخيراً لأهميتها فيما يتعلق بالعبادة من تحديد لأوقات الصلاة، والصوم، وتقسيم المواريث، وغير ذلك من أمور تحتاج إلى معرفة دقيقة بعلم الحساب[٣]وكان الاهتمام بهذا العلم من قبل علماء بني مرين امتداداً للعصر السابق لهم، فهناك كثير من علماء الموحدين استمر تداول مؤلفاتهم في العهد المريني مثل العالم ابن الياسمين أبي محمد عبد الله بن محمد بن حجاج (ت ٦٠١هـ/١٢٠٤م)،[٤] وهو صاحب الأرجوزة المشهورة في علم الجبر.[٥]

ومن هؤلاء العلماء الحسن بن علي المراكشي (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م)، وله كتاب : (جامع المبادئ والغايات في علم الميقات)، وهو على حد قول صاحب كشف الظنون :" ....أعظم ما صنف في هذا الفن، أوله : أما بعد : حمد الله والصلاة على محمد : رتبه على أربعة فنون، الأول : في الحسابيات وهو يشتمل على سبعة وثمانين فصلاً... وهو يشتمل على أربعة أبواب في كل منها مسائل على طريق الجبر والمقابلة ".[٦]

---

[١] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٣، ص ١٤٥.

[٢] انظر : المصدر ذاته، مج٢، ص ٢٠٣. ابن فرحون، **الديباج المذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٢٦٤-٢٦٥. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤٢٧.

[٣] ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ص ٢١٦-٢١٧.

[٤] ابن إبراهيم، **الإعلام**، مرجع سابق. ص ٢٠٤. كنون، **النبوغ المغربي**، مرجع سابق، ج١، ص ١٦٦.

[٥] ابن إبراهيم، **الإعلام**، المرجع سابق، ج٨، ص ٢٠٤. محمد المنوني، **العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين**، ط٢، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٧، ص ١٠٤.

[٦] مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة تتركي (ت ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب الفنون**، ط٣، ج١، طهران، ١٩٥٨م. ص ٥٧٢.

Scanned by CamScanner

ونحن أشرنا لهذين العالمين لإبراز مكانة هذا العلم في عصـــر الموحديـن واستمرار الاهتمام به في عهد المرينيين، حيث يبرز في هذا العصر أبو العباس احمد بن البناء المراكشـي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، الذي تفوق على أهل زمانه بهذا العلم ، وقصده العديـد مـن الطـلاب ليأخذوا من علمه الغزير.[١] ومن أهم مؤلفاته : (تلخيص أعمال الحساب)[٢]، وهذا الكتاب يتنـاول أكثر المسائل العددية : من أعمال الصحيح إلى الكسور، إلى الجذور، وفي جزئه الثاني : قوانيـن استخراج الأعداد المجهولة ثم الجبر والمقابلة ، وهذا الكتاب يعتبر معتمد الدارسين لهذه المـادة بالمغرب، وخارجه، وسيطر على الحلقات التعليمية، وقد ظهرت المؤلفات الشارحة لمسائله فـي هذا العصر وبعده.[٣]

وألفت العديد من الدراسات حول هذا الكتاب نذكر منها (اللباب في شرح تلخيص أعمال الحساب)، لعبد العزيز بن علي بن داود الهواري المسراتي(ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م)، وهو مـن تلاميذ ابن البناء [٤]، و(التمحيص في شرح التلخيص)، لابن هيدور علي بن عبد الله بن محمـد التادلي ثم الفاسي (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م) الذي اشتغل بتدريس الرياضيات بعد أن تتلمذ علـى يد ابن البنّا.[٥]

ولابن البنّا العديد من المؤلفات الرياضية بالإضافة إلى ما ذكرنـا، منـها : (المقـالات الأربع)، و (تنبيه الألباب)، وكتاب (الجبر والمقابلة) ويعرف بالأصول والمقدمات، و (رسالة

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٤٨. ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجـع سـابق، ص ص ٢١٨-٢١٩.

[٢] نقل العالم الفرنسي (اريستيد مار) كتاب تلخيص أعمال الحساب، فأقبل عليه علماء الغرب، ونسبوا الكثير مـن نظريات الكتاب إلى أنفسهم، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أعلن العالم الفرنسي (شـال) فضيحـة هؤلاء العلماء بوثيقة قدمها إلى المجمع العلمي الفرنسي ، انظر : هاشم الطيار ويحيى سـعيد، **موجز تـاريخ الرياضيات**، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٧. ص ١٨٩.

[٣] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥١. المنوني : **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٣٣١.

[٤] عمر كحالة، **العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٧٢، ص ٥٦.

[٥] الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ٣١١. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٣٣٢. ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

Scanned by CamScanner

الجذور الصم وجمعها وطرحها)[١] وكتاب (أولي الألباب في شرح تلخيص أعمال الحساب)[٢] وهذه المؤلفات لابن البناء توضح لنا تفوقه في الرياضيات وشهرته العلمية بين أقرانه من علماء عصره. ولعل ما ذكره ابن خلدون [٣] عن مؤلفات ابن البناء يمنحه شهادة علو مقامه العلمي، فهو يقول : " ومن أحسن التآليف المبسوطة فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب " الحصار الصغير" [٤]، ولابن البنا المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين أعماله مفيد، ثم شرحه بكتاب سماه " رفع الحجاب"، وهو مستغلق على المبتدئ بما فيه من البراهين الوثيقة المباني، وهو كتاب جليل القدر أدركنا المشيخة تعظمه وهو كتاب جدير بذلك...."، ووصفه (أي ابن البناء) ابن حجر العسقلاني [٥] قائلا :" وكان فاضلا، عاقلا، نبيها، انتفع به جماعة في التعليم، وكان يشتغل بعد صلاة الصبح إلى قرب الزوال مدة إلى أن كان في سنة ٦٩٩هـ..... فخرج إلى صلاة الجمعة في ريح وغبار، وتأذى بذلك وأصابه يبس في دماغه". وهذا النص يوضح لنا المكانة، والكفاءة العلمية لهذا العالم وحبه للعلم النافع، فقد كان يقضي معظم أوقاته بين علم يحصله أو علم يلقنه، حتى شهد له علماء عصره بعلو مكانته العلمية كما رأينا.

وهناك مجموعة من المؤلفات كانت محل عناية في دراسة العلوم العددية خلال العهد المريني نذكر منها :

١- (أرجوزة ابن الياسمين في الجبر)[٦]

٢- (عمل الفرائض).

٣- (الفصول في الفرائض).

٤- (شرح بعض مسائل الحوفي).

٥- (مقالة في الإقرار والإنكار).

---

[١] كحالة، **العلوم البحتة**، مرجع سابق، ص ١٣١. قدري طوقان، **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، ط٣، دار القلم، القاهرة ١٩٦٣، ص ص ٤٢٩-٤٣٢.

[2] Morata, Nemesio , un catalogo de los fondos arabesprimitibos de El Escorial, **Al-Andalus**, revista de los Escuelas de estudious Arabes de Madrid y Granada, 2, 1934, P. 132.

[٣] ابن خلدون،**المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٣٨٣.

[٤] ينسب لأبي بكر بن محمد بن عبد الله بن عياش الحصار أحد فقهاء فاس (ت ٩٠٨هـ/١٥٠٢م). انظر : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق. ج١، ص ٢٤٤. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ٨٨.

[٥] **الدرر**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٩٧.

[٦] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٣٢٧. طوقان، **تراث العرب**، مرجع سابق، ص ٣٧٧.

Scanned by CamScanner

٦- (تلخيص في أحوال المدبر في سائر التركات)، والمؤلفات الخمسة الأخيرة تنسب للعالم ابن البناء أيضاً وهي تتعلق بحساب الفرائض.[١]

٧- (غنية الرائض في علم الفرائض)، و (أنوار البروق في تعقب القواعد والفروق) وكلاهما لابن الشاط: القاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري السبتي.[٢]

أما الهندسة التي تعتبر فرعاً من العلوم الرياضية فنجد حولها أيضاً العديد من المؤلفات المنتشرة في هذا العهد، وأهمها :

١- (رسالة في المساحة) مختصرة لابن سينا.

٢- (كتاب في المساحة) مطول ، لابن البناء المراكشي.

٣- (مقدمة على كتاب اقليدس)[٣].

ومن هنا نلاحظ أن العلوم الرياضية بكافة فروعها كانت متداولة في العهد المريني، وكان هناك اهتمام من العلماء المرينيين بدراسة هذه العلوم لما لها من أهمية كبيرة في حياتهم، وارتباطها الوثيق مع بعض العلوم الأخرى كالفقه.

٢- الطب :

اهتم المغاربة بعلم الطب، لأهميته في حياتهم، ولحث الدين نفسه على العناية بعلم الأبدان، حتى وصل علم الطب في الفترة السابقة للمرينيين لا سيما في القرنين الخامس والسادس الهجريين إلى مرتبة الازدهار[٤]، نظراً لكثرة المعتنين به في الفترة الموحدية ومن هؤلاء : أبو بكر محمد بن أبي مروان بن أبي العلاء بن زهر، الذي توارثت عائلته علم الطب حتى لمعت منها أسماء مثل : أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر، وأبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان ، وأبي مروان عبد الملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر[٥]، وغيرهم من الأطباء الذين قدموا جهوداً كبيرة

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥١.

[٢] عبد الحي الكتاني، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق إحسان عباس، ط٢، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢، ص ص ١٠٨٩-١٠٩٠.

[٣] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥١.

[٤] ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

[٥] موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة الخزرجي (ت٦٦٨ هـ/١٢٦٩ م)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص ص ٥١٧-٥٢١.

Scanned by CamScanner

في عهد المرابطين والموحدين من ناحية العلاج للمرضى، أو تصنيف الكتب، أو تدريب الطلبة وتدريسهم.[١]

وقد واصل الطب تقدمه في العهد المريني غير أنه من المفيد أن نشير هنا إلى أن الطب لم يحقق نجاحاً باهراً كما يبدو على مستوى الدراسة النظرية، وإنما كان نجاحه على صعيد الطب التقليدي[٢]، ويمكن رد ذلك إلى الركود الذي تميزت به الحضارة العربية الإسلامية عامة في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ثم اقتران الأوضاع السيئة بالمغرب بالأوضاع المماثلة في الأندلس والمشرق، مما جعل الطب في المغرب يعتمد على بعض المؤلفات القديمة، وتنقيحها، وتهذيبها، وحصرها في قواميس تضاف إليها بعض الحواشي والتعليقات [٣]، وأشار ابن خلدون [٤] إلى أن صناعة الطب في عصره لم تكن مزدهرة بسبب نقص العمران لأنها في نظره من الصنائع التي لا تستدعيها إلا الحضارة والترف والاستقرار.

وعلى أية حال فقد كان في العهد المريني مجموعة من المؤلفات الطبية التي كان لها الدور الواضح في تدريس الطب ومواصلة تطوره في هذا العهد، ومن أهمها :

١- (الأرجوزة في الطب)[٥] لابن الخطيب وقد نظمها وقدمها كهدية للسلطان أبي سعيد عثمان المريني.

٢- (عمل من طب لمن حب) [٦] : للسان الدين بن الخطيب الذي قدمه كهدية للسلطان ابي سالم بن أبي الحسن المريني، وتناول فيه ابن الخطيب الأمراض المختلفة مع ذكر أسباب كل مرض وطرق علاجه، وتحدث فيه عن أعضاء الجسم وطرق العناية بها.

---

[١] عبد العزيز، **التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص ١٣٨.

[٢] ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

[٣] المرجع ذاته، ص ٢٢١.

[٤] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٩٣.

[٥] وهذه موجودة اليوم بالخزانة العامة بالرباط كمخطوط يحمل رقم د.٧٩، وقد ذكرها ابن الخطيب ضمن مؤلفاته التي وضعها أثناء إقامته بسلا وذكر أنها تقع في نحو ١٦٠٠ بيت وأنها تتضمن ذكر جميع الأمراض الكلية والجزئية. ابن الخطيب،**الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ٦٧. وانظر : ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

[٦] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ص ٦٦-٦٧.

Scanned by CamScanner

٣- (الأرجوزة في العلاقات الجنسية والأمراض السارية)، لأبي الحسن علي العنسي المراكشي.[١]

ومن أشهر الأطباء في المغرب في عهد بني مرين :

١- محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي (٧٥٧هـ/١٣٥٦م)، وجاءت شهرته العلمية من خلال توليه نظارة المارستان بمدينة فاس عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م.[٢]

٢-أحمد بن محمد بن يوسف الجزنائي المعروف بابن شعيب (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي تعلم الطب في تونس على يد الشيخ يعقوب الدارس وأصبح من أهل المعرفة بصناعة الطب.[٣]

٣-علي بن أبي غالب الإدريسي (ت ٨٠١ هـ/١٣٩٨م)، ورغم أن المصادر لم تذكر لنا مؤلفاته الطبية إلا أنه اشتهر بالطب وجعل الطلبة وغيرهم يقصدونه ليأخذوا عنه أو ينتفعوا بنصائحه وإرشاداته العملية.[٤]

٣- علم الفلك :

عرفه ابن خلدون بأنه علم " ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحيرة، ويستدل بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك" [٥].

ويرجع الاهتمام بعلم الفلك لعدة أسباب منها : ما هو ديني كتحديد المناسبات الدينية التي تهم المسلم في عبادته، ومنها ما هو اقتصادي من حيث معرفة أوقات الزراعة، ومن جهة أخرى فقد درسه البعض لمعرفة آثاره على الإنسان ومعرفة الوقت.[٦]

وقد برز العديد من علماء الفلك في العهد المريني، ولكننا لم نستطع معرفة مؤلفاتهم، ومن أشهرهم :

---

[١] حركات، **المغرب**، مرجع سابق، ج٢، ص ١٥٧.

[٢] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٠٣. ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

[٣] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ٢٧٢. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١١٩.

[٤] ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

[٥] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٣٨٥. وانظر : التهانوي، **الكشاف**، مصدر سابق، ج ١، ص ٦٧.

[٦] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ص ٥٠-٥١. عصام الدين أبو الخير أحمد مصطفى طاش كبرى زادة (ت ٩٦٨ هـ/ ١٥٦٠ م)، **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، تحقيق شعبان خليفة، ج١، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣١٨. كرلو نلينو، **علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٣، ص ص ٢٢٩-٢٣١.

Scanned by CamScanner

١- عبد الرحمن بن سليمان اللجائي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، الذي قام بعمل اسطرلاب وذاع صيته.[١]

٢- أبو زيد عبد الرحمن الهزميري (ت ٧٠٦هـ/١٣٠٦م).[٢]

٣- عبد الرحمن بن محمد الجاديري (٨١٨ هـ/١٤١٥م) [٣].

وقد اشتهرت بعض المؤلفات الفلكية في هذا العهد تدريساً وتأليفاً، من أهمها: (منهاج الطالب في تعديل الكواكب)، و(اليساره في تقويم الكواكب السيارة)، و(القانون الكبير)، وهذه المؤلفات كلها للعالم ابن البناء المراكشي [٤]، و(الزيج القديم)، للرقام محمد بن إبراهيم الأوسي المرسي ثم الغرناطي، و(الزيج الكافي)، لأحمد بن إسحق التونسي، و(الأدوار في تسيير الأنوار)، لمحمد بن البقال، وكتاب (الهيئة) لأبي إسحق إبراهيم البطروجي، وكتاب (الهيئة)، لمحمد المكلاتي المكناسي، و (تنكرة أولي الألباب في استيفاء العمل بالاسطرلاب) لأبي القاسم ابن الزبير[٥]: وهو أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني ثم الغرناطي.[٦]

لم يقتصر التدريس في علم الفلك على المؤلفات النظرية فحسب، بل كانت تعطى تطبيقات عملية عنه في بعض المؤسسات التعليمية أيضاً، ولعل جامع القرويين خير مثال على ما نقول، إذ كانت تتم فيه تطبيقات عملية مفيدة في الحياة اليومية، فقد كانت توجد في هذا الجامع المنجانة التي شيدت على يد محمد بن عبد الله الصنهاجي.[٧] ثم جدد بناءها أبو عبد الله محمد بن

---

[١] ابن قنفذ، **أنس الفقير**، مصدر سبق، ص ص ٦٨-٦٩. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص٤٠٢.

[٢] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤١٠. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٢.

[٣] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٠٤. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٢٥٤.

[٤] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥١.

[٥] ابن الزبير : هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير ويكنى بأبي جعفر، وعرف بنسبته إلى جده الأول الزبير وغلب عليه ذلك، وقد ولد بمدينة جيان بالأندلس سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م، وتوفي سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨ هـ/١٣٠٨ م)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ط١، تحقيق سعيد الفلاح، ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ١٠٠. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٢٤٥. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢١٢.

[٦] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ج١، ص ٣٧١.

[٧] ترجم له : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٢٤.

Scanned by CamScanner

محمد بن العربي سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وكانت تستخدم مع غيرها من الاسطرلابات لضبط الوقت ومعرفة أوقات الليل والنهار.[١]

٤-علم الكيمياء :

هو علم عرفه ابن خلدون بأنه: " ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك" [٢]. وقد لقي علم الكيمياء في العهد المريني انتشاراً واضحاً، بفضل الجهود الكبيرة لعلمائه، ولعل أهم ما ميز هذا العلم في هذا العهد تلك التطبيقات المتنوعة الاستخدام، والتي تداولها المختصون عن طريق الخبرة والتجربة العملية الطويلة من جهة، وما عرفه هذا العصر من علماء اختصوا به وتناولوه بالدراسة من جهة أخرى.

وأشهر علماء العهد المريني في هذا العلم هو : عبد الواحد السكسيوي (ت ٦٨٠هـ/١٢٨١م)، رئيس قبيلة هكسورة [٣] والذي قال عنه ابن خلدون واصفاً اهتمامه بهذا العلم: " كان منتحلاً للعلم واعية به، جماعة لكتبه ودواوينه.. محباً في الفلسفة، مطالعاً لكتبها، حريصاً على نتائجها من علم الكيمياء والسيمياء والسحر والشعوذة، مطلعاً على الشرائع القديمة والكتب المنزلة بكتب التوراة، ويجالس أحبار اليهود، حتى لقد اتهم في عقيدته ورمي بالرغبة عن دينه"[٤]. ولعل هذا النص يوضح لنا مدى اهتمام أحد علماء العهد المريني بعلم الكيمياء واتصاله بالعلوم الأخرى مثل السيمياء، وحتى السحر والشعوذة.

ومنهم أيضاً عبد الله بن عبد الواحد السكسيوي، الذي كان على حد تعبير ابن خلدون :"مقتفياً سنن أبيه، وخصوصاً في انتحال السحر، والاستشراف إلى صنعة الكيمياء".[٥]

---

[١] الجزنائي، **زهرة الآس**، مصدر سابق، ص ص ٥١-٥٢.

[٢] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٢٠. وانظر : التهانوي، **الكشاف**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٦٢-٦٣.

[٣] إحدى قبائل البرانس، وقد وضعها ابن خلدون مرة مع صنهاجة، ومرة مع مصمودة، وكانت مواطنهم على عهد الموحدين بالسوس بين واديه ووادي ماسة. انظر : ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٦، ص ٢٤٠، ٥٥٢. أبو بكر بن علي البيذق الصنهاجي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م)، **مقتبس الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١، ص ٣٥. ابن منصور، **قبائل المغرب**، مرجع سابق، ج١، ص ٣٢٨.

[٤] **العبر**، مصدر سابق، ج٦، ص ٢٦٢.

[٥] المصدر ذاته.

Scanned by CamScanner

كما نذكر بهذا الصدد أحمد بن شعيب الجزنائي الذي تناول علم الكيمياء بالدراسة الواسعة، حتى قيل عنه :" وتهتك في علم الكيمياء وخلع فيه العذار، فلم يحل بطائل" [١].

ومن المؤلفات التي راجت في علم الكيمياء في العهد المريني : كتاب جابر [٢]، وهكذا تطور حال العلوم، مثل الكيمياء، إذ ارتبط بالسحر والشعوذة في نهاية المطاف.

٥- علم المنطق :

عرف ابن خلدون علم المنطق بأنه : " قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات" [٣]، ولم يهتم العلماء المرينيون بهذا العلم، ويظهر ذلك من عدم عنايتهم بوضع المؤلفات الخاصة به، ولكنهم تداولوا كتب المتأخرين في هذا المجال، فقد عبر عن ذلك ابن خلدون بقوله : " وهجرت كتب المتقدمين وطرقهم كأن لم تكن، و هي ممتلئة من ثمرة المنطق وفائدته" [٤]، ولم يلق هذا العلم الاهتمام الكافي في العهد المريني ربما لأن متقدمي السلف، والمتكلمين نهوا عن تناوله وحذروا من تعلمه وتعليمه.[٥]

ومع ذلك يبدو أن بعض علماء هذا العهد اهتموا بهذا العلم وإن كان اهتمامهم به متأخرا وذلك لعلاقته بفهم العلوم الأخرى كالرياضيات والفلك. ومن هنا نجد بعض المؤلفات في المنطق في هذا العصر أهمها :(الكليات في المنطق)، لابن البناء المراكشي [٦]، و (مختصر الموجز)، و(مختصر الجمل)، والكتابان الأخيران كلاهما عن كتاب (كشف الأسرار عن غوامض الأفكار)، لأفضل الدين الخونجي [٧] وقد اختصرهما محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني.[٨]

---

[١] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ٢٧٢.

[٢] هو جابر بن حيان الكوفي، فيلسوف كيميائي له العديد من المؤلفات قيل أن عددها بلغ الخمسمائة مؤلف، وترجم بعضها للاتينية، مثل أسرار الكيمياء، وأصول الكيمياء، وكانت وفاته سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م. الوزان، **وصف إفريقيا**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٧٥.

[٣] ابن خلدون، **المقدمة**، طبعة دار الأعلى، مصدر سابق، ص ٤٨٩. وانظر : التهانوي، **الكشاف**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٦.

[٤] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٩٢.

[٥] المصدر ذاته، ص ٤٠٣.

[٦] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥١.

[٧] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٩٢. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٣٢٠.

[٨] القرافي، **توشيح الديباج**، مصدر سابق، ص ١٧٢. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤٢٧.

Scanned by CamScanner

وقد رأينا سابقاً اهتمام التعليم في المغرب بالحديث والفقه، واللغة، والأدب، فقد كانت النظرة لهذه العلوم أنها من ضروريات التربية الإسلامية التي يجب أن يتصف بها كل مثقف، أو مشتغل بالعلم، إلا أن المغرب في العهد المريني عرف بعدم اهتمامه ببعض العلوم الأخرى كالفلسفة والتاريخ.

ويبدو أن علم الفلسفة لم يدرس في المساجد والمدارس، بحيث نجد ما يشير إلى ذلك من بين المصادر المعاصرة المتوافرة بين أيدينا، وسبب ذلك يعود ربما إلى نفور المجتمع المغربي من الفلسفة، بل أن بعض المؤرخين المعاصرين كابن خلدون يرى عدم جدوى الفلسفة، ونادى بإبطالها وفساد منتحليها.[١]

ورغم هذا الموقف المعلن من جانب ابن خلدون إلا أنه لم يكن ليعبر عن حقيقة أمره من الفلسفة، فالواضح أن ابن خلدون قد اهتم بالفلسفة في فترة شبابه بوجه خاص، ويبدو ذلك من خلال الكتب التي درسها أو ألفها، فقد كان في شبابه ملازماً لأستاذه الآبلي سابق الذكر والذي كان من أهم المشتغلين بالفلسفة والعلوم العقلية.[٢] لذا فقد كان الموقف الظاهري لابن خلدون هو معارضة تعاطي الفلسفة العقلية سواء كان ذلك نتيجة اعتقاد وتحول شخصي أو لاعتبارات سياسية.[٣] وكأنه هنا يعبر عن نوع من التقية خشية على حياته معتبراً مما حل بغيره من الفلاسفة، كابن خميس مثلاً، الذي اتهم بالزندقة كما سنرى لأنه تعاطى الفلسفة، أو خاف ابن خلدون على طموحه السياسي حين اتجه لتولي المناصب السياسية في البلاط المريني بعد وفاة أبويه والطاعون الذي أصاب البلاد آنذاك. ولا بد أن نشير هنا إلى أن بعض الذين تناولوا هذا الموضوع رأوا أن عدم الاهتمام بالفلسفة قد يكون راجعاً إلى تعصب فقهاء المذهب المالكي والذي أدى إلى نتائج سلبية بالنسبة للعلوم الفلسفية على حد رأي أحد المؤرخين المحدثين.[٤]

ولم يكن التاريخ أيضاً من العلوم الأساسية في مواد التدريس في عهد بني مرين، من هنا نجد قلة تدريسه في المساجد والمدارس[٥]، ومع ذلك نال هذا العلم عناية من قبل بعض علماء هذا

---

[١] انظر : ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ص ٥١٤-٥١٩.

[٢] حسين عاصي، **ابن خلدون مؤرخاً**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ص ١٣٥.

[٣] محمد عبد الله عنان، **ابن خلدون حياته وتراثه الفكري**، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م، ص ٨٠.

[٤] محمد بن أحمد بن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية : دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م، ص ٢١٣.

[٥] غنيمة، **تاريخ الجامعات**، مرجع سابق، ص ١٦٦.

Scanned by CamScanner

العهد، وقد ألفت فيه العديد من المؤلفات في مدح بعض الأسر الحاكمة مثل :(الأنيس المطـوب)، لابن أبي زرع، و (جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس)، لعلي الجزنائي، وغيرهما.[١]

ورغم وجود الرحلات في هذا العهد مثل رحلة ابن بطوطة ورحلـة النمـيري المسـماة (فيض العباب)، ومحاولة سلاطين بني مرين توظيف المؤرخين والرحالة لخدمتهم إلا أننا لا نجـد في المصادر المتداولة بين أيدينا ما يشير إلى أن الجغرافيا قد نالت حظاً في التدريس فـي هـذا العهد.

نستنتج مما سبق أن الحركة العلمية استأنفت بصفة عامة سيرها إلى الأمـام فـي هـذا العهد، فقد عمل سلاطين بني مرين على رعايتها وتشجيعها ومـد يـد الإعانـة إلـى رجالـها وتنشيطهم حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم واضح، فكان هذا العدد الكبير من المؤلفـات الدراسية، والوفرة من العلماء، مما كان له تأثير ملفت للنظر في المجتمع المغربـي آنـذاك فـي نواح عديدة كما سنرى في الفصل التالي.

---

[١] للمزيد ينظر : كنون، **النبوغ المغربي**، مرجع سابق، ج١، ص ٢٠٧.

- Terrasse, **Histoire du Maroc**, op. cit. P.77.

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث

تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع والصلات العلمية مع البلدان الأخرى

أولاً : تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع :

١- الناحية الثقافية.

٢- الناحية الاجتماعية.

٣- الناحية السياسية.

٤- الناحية العسكرية.

ثانياً: الصلات العلمية مع البلدان الأخرى :

١-الأندلس.

٢-تونس.

٣-الجزائر (المغرب الأوسط).

٤-المشرق الإسلامي.

Scanned by CamScanner

الفصل الثالث

تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع والصلات العلمية مع البلدان الأخرى

أولاً : تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع :

١-الناحية الثقافية :

قبل أن نتناول تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع المغربي في العهد المريني، لا بد من إعطاء فكرة سريعة عن أبرز التيارات الفكرية في المغرب المريني، ومن أهمها : المذهب المالكي في الفقه، والمذهب الأشعري في الاعتقاد، بالإضافة إلى الصوفية السنية حسب طريقتي أبي مدين (المدينية)[١]، ثم أبي الحسن الشاذلي (الشاذلية)[٢]. لذا لم يكن غريباً أن تبرز أفكار مضادة لهذه التيارات انبثق عنها شبه أحزاب فكرية، يطبع بعضها تطرف واضح. ونحن بهذا العرض المختصر نشير منذ البداية إلى التنوع الفكري، وتعدد آراء العلماء حول العديد من الموضوعات الفكرية في عهد بني مرين [٣].

---

[١] هي طريقة تنسب إلى شعيب بن حسن الأندلسي البجائي، كان حافظاً للحديث خصوصاً الترمذي، وكان عالماً بمذهب مالك، توفي ودفن بتلمسان سنة ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ص ٢٩٧-٢٩٨. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ١٩٣-١٩٩. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج١، ص ٣٦٤. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ١٦٤.

[٢] طريقة تنسب إلى مؤسسها أبي الحسن الشاذلي، وهو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن علي، الذي كان من مشاهير الصوفية، وقد تنقل بين تونس ومصر والعراق ومكة. وأهم مبادئ الطريقة الشاذلية التوبة والعزلة والرضا والتوكل وجهاد النفس بالورع والزهد والأخذ بنصيب ومتاع الدنيا على أن لا يكون العبد عبداً لها. عبد الواحد محمد بن الطواح (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م)، **سبك المقال لفك العقال : تراجم وأعلام من القرنين السابع والثامن الهجريين**، تحقيق محمد مسعود جبران، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٧٦. السائح علي حسين، **لمحات من التصوف وتاريخه**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٤م، ص ٣٢١.

[٣] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٣٧٧.

Scanned by CamScanner

قد قام العلماء في العهد المريني بنقد تفسير ابن خلدون لمفهوم الفرائض، ومن هؤلاء يعقوب بن عبد الله السيتاني[١]. الذي انتقد في شرحه على القصيدة التلمسانية [٢] في كتابه : (منتهى الباني وموثق المعاني في شرح فرائض أبي إسحاق التلمساني)[٣]، انتقد تفسير ابن خلدون للفرائض الواردة في الحديث الشريف :" تعلموا الفرائض وعلموها فإنه نصف العلم...." [٤] فقد فسرها العلماء بعلم الفرائض، بينما فسرها ابن خلدون بالفرائض التكليفية[٥]، ولكن يعقوب السيتاني يصحح تفسير الكافة، ويلغي تفسير ابن خلدون.[٦]

ونوقشت في هذا العهد عدة أفكار تتصل بالتعليم، منها : نقد محمد بن إبراهيم الآبلي لكثرة التآليف، وبنيان المدارس، ويشرح هذا صاحب نيل الابتهاج على من سمع الشيخ الآبلي يقول :" إنما أفسد العلم كثرة التآليف، وأذهبه بنيان المدارس"، ويضيف التنبكتي قوله :" ذلك أن التآليف نسخ الرحلة التي هي أصل جمع العلم فكان الرجل ينفق فيها مالاً كثيراً وقد لا يحصل له من العلم إلا نزر يسير لأن غايته على قدر مشقته في طلبه، ثم يشتري أكبر ديوان بأبخس ثمن، فلا يقع منه أكثر من موقع عوضه، فلم يزل الأمر كذلك حتى نسى الأول بالآخر، وأفضى الأمر إلى ما يستخرج منه الساخر، وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة لما فيه من مرتب الجرايات فيقبل بهم على ما يعنيه أهل الرئاسة للإجراء والإقراء منهم أو من يرضى لنفسه دخوله في حكمهم، ويصرفهم عن أهل العلم حقيقة الذين لا يدعون إلى ذلك وإن وعوا لم يجيبوا وإن أجابوا لم يوفوا لهم بما يطلبون من غيرهم".[٧]

ويفهم من هذا النص أن بعض مظاهر النشاط التعليمي في هذا العهد كبناء المدارس، والذي عّد إيجابياً بشكل عام قد اتخذ مساراً سلبياً أحياناً فعكس تراجعاً في جوهر النشاط

---

[١] انظر ترجمته في : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٥٨. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٦٢١.

[٢] قصيدة في الفرائض كتبها أبو إسحاق بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التلمساني. **ابن خلدون، بغية الرواد**، مصدر سابق، ج١، ص ١٠٩.

[٣] عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. **التراتيب الإدارية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ص ٣٠٧ – ٣٠٩. محمد المنوني، **التيارات الفكرية في المغرب المريني**، ط١، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، ١٩٧٢م، ص ٤.

[٤] السندي، **سنن ابن ماجة**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣١٦.

[٥] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سبق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٥٢.

[٦] المنوني، **التيارات الفكرية**، مرجع سابق، ص٤.

[٧] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤١٤.

Scanned by CamScanner

التعليمي، فيما كان الأصل فيه أن يدفع باتجاه التقدم والتطور، وهو أمر دفع بعض الغيوريين على العلم إلى انتقاده كما سبق، حتى بولغ في هذا الانتقاد إلى حد إظهار السلبيات من بناء المدارس التي كان من شأنها، لو أحسنت إدارتها، أن تيسر على الطالب تحصيل العلم، وتعينه على إتقانه. كما انتقدت طريقة اللجوء إلى التواليف التي بالغ أصحابها فيها دون مراعاة أصول التعليم وقواعده، ولعل موقف الآبلي السابق يتفق مع ما أشار إليه أحد المؤرخين المحدثين عندما قال: إن التفكير الديني في المغرب الإسلامي بعد النهضة التي عرفها في القرن الثاني عشر، قد أقتصر على الدراسات الفقهية ومنع من أي تطور جديد.[١]

ويبدو أن تناول بعض العلماء لمثل هذه القضايا كان له أثر فكري في المغرب المريني، وقد تمثل هذا الأثر بوجود اتجاه معارض لهؤلاء العلماء، فقد أقبل عدد منهم على دراسة بعض المختصرات في أواخر العهد المريني، ثم قابلهم اتجاه يعارض بشدة الاعتماد على هذه المختصرات، كما فعل، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن الشهير بابن القباب (ت ٧٧٨هـ /١٣٧٦م)، الذي كان يرى أن بعض العلماء مثل ابن بشير وابن شاش وغيرهما قد أفسدوا الفقه، لذلك فهو لا يعتمد على التقييدات المتأخرة وإنما كان يعتمد فقط على كتب الأقدمين وخاصة المشهورين منهم[٢]، دون النظر إلى حقيقة التآليف الجديدة أو جوهرها، وهذا أمر لا يحتكم إلى أصل علمي يمكن على أساسه أن يقبل هذا العمل أو يرفض، وهو أمر كان سائداً في هذا العهد والعصور التي سبقته، وخاصة في المشرق الإسلامي كالعصر العباسي، حين كان غالبية العلماء أو طلبة العلم يثقون بالمشاهير القدماء ويفضلون القديم لمجرد قدمه بينما يرفضون الجديد لمجرد كونه جديداً في صورة أخذت طابع الجدل بين الجديد والقديم، وهي قضية اتسعت في ذلك العصر (العباسي) إلى الحد الذي أقيمت على أساسه قواعد القبول أو الرفض، وقد أعطى ذلك آثاراً سلبية انعكست على عقلية العلماء آنذاك إذ أغلقوا على أنفسهم باب الاجتهاد والتفكير[٣]، وقصروه على الأخذ ممن قبلهم وهو الأمر الذي كان من شأنه وقف حركة التطور الفكري، وتكريس حال الجمود والتراجع.

---

[1] Terrasse, Henri,**Histoire du Maroc**, T.II, ed. Atlant des Casablanca, 1950,P. P.76-77.

[٢] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٥٢.

[٣] أغلق باب الاجتهاد في بداية القرن السادس الهجري حين نادى بعض العلماء بإقفاله :" وقالوا لم يترك الأوائل للأواخر شيئاً وكانت حجتهم في ذلك قصور الهمم وخراب الذمم وتسلط الحكام المستبدين، وخشية أن يتعرض للاجتهاد من ليس أهلا له إما رغبة أو رهبة، وسداً للذرائع أفتوا بإقفال باب الاجتهاد". وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية**، ط٢. ج١، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣، ص ٤٢.

Scanned by CamScanner

أشار إبراهيم الشاطبي (ت ٧٩٠هـ/١٣٨٨م)، إلى مذهب القباب قائلاً عند حديثه مع أصحابه : ..."وأما ما ذكرت لكم من عدم اعتمادي على التآليف المتأخرة، فلم يكن ذلك مني- بحمد الله- محض رأي، ولكني اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع كتب المتأخرين، وأعني بالمتأخرين : كابن البشير، وابن شاش، وابن الحاجب، ومن بعدهم، ولأن بعض ما لقيته من العلماء بالفقه أوصاني بالتحامي عن كتب المتأخرين".[١]

يبدو أن حجج هؤلاء العلماء بالابتعاد عن كتب المتأخرين ليس له ما يبرره، ولكنها بضاعة العصر وتأثير التقليد. وكما ذكرنا من قبل فيجب النظر إلى حقيقة التآليف الجديدة دون النظر إلى عنصر الزمن في التآليف لأن هذا قد يؤدي إلى جمود فكري وابتعاد عن الاجتهاد، كما حدث فعلاً.

يبدو أن هذا الاتجاه الفكري المتمثل بنقد العلماء لبعض القضايا العلمية قد جاء بثماره في المغرب المريني. فقد كان لموقف بعض العلماء المغاربة من دراسة وتدريس المختصرات والاعتكاف عليها أثره في جعلها تطغى على كثير من المواد الدراسية وقد عالجنا ذلك في محله من البحث.[٢]

بالإضافة إلى موقف بعض العلماء من كثرة الاعتماد على المؤلفات والمختصرات عند المسلمين سواء بالقبول أو الرفض لها، نجد أن التنازع الفكري الذي نحن بصدده قد وصل درجة كبيرة في المغرب المريني عند الرد على اليهودية والمسيحية.

ولنبدأ بالرد على اليهودية. فهناك كاتب من سبته اعتنق الإسلام وسُمي بعبد الحق الإسلامي، ووضع رسالة سماها :" السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود"، وكتبها بإشارة من أبي زيد عبد الرحمن بن الحاجب أبي العباس أحمد القبائلي [٣]، وهو يذكر في افتتاحية الرسالة سبب تأليفها، ومنهجه في ذلك، وأقسامها، وصفات اليهود، وعقائدهم الباطلة.[٤]

كما أن مؤلفاً مجهول الاسم، وضع رسالة سماها :" رسالة السائل والمجيب وروضة نزهة الأديب"، وخصص أحد أبواب رسالته هذه لذكر المجادلات الدينية بينه وبين مسيحيي قشتالة، حيث يتحدث عن مجالسه التي عقدها لمحاورة المسيحيين القشتاليين بإسبانيا، والتي

---

[١] **الموافقات**، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، ج١، دار عفان للنشر والتوزيع، الخبر، العقربية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م، ص ١٤٧ وما بعدها.

[٢] انظر : الفصل الثاني، فقرة (أسباب التدريس).

[٣] انظر ترجمته في : ابن القاضي. **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٠٢.

[٤] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٣٨٥.

Scanned by CamScanner

تعددت مواضيعها لتشمل مكانة الدين المسيحي، ومسألة الحلول والاتحاد، والتجسيم، والمسيح عليه السلام نفسه، وبعض شؤون الآخرة، والفرق بين الروح والنفس.[١]

ونستدل من هذه الردود والمجادلات الفكرية على مدى الاهتمام الفكري لعلماء المغرب في الفترة التي ندرسها، حتى استطاعوا نتيجة اهتمامهم بالتعليم الوصول إلى الأدلة العقلية، أو البراهين المنطقية التي تمكنهم من المجادلة الفكرية لإيضاح الحقائق مع منافسيهم من اتباع الديانات الأخرى وفي مواضيع عدة.

وقد شمل المناخ الفكري في المجتمع المريني المناظرات العلمية والتي تناولت في معظمها الفقه المالكي إلى جانب التفسير والتصوف والكلام واللغة وغير ذلك، ونذكر هنا بعضها:

١- مناظرات تتعلق بمراعاة الخلاف في المذهب المالكي : فقد تحاور في هذه المسألة أبو العباس القباب سابق الذكر، والقاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك الفشتالي الفاسي (ت ٧٧٧هـ/١٣٧٥م)، من جهة وابراهيم الشاطبي من جهة أخرى، وقد علق التنبكتي على نوع هذه المناظرات أثناء الحديث عن القباب فقال :" وله مباحث مشهورة مع الإمام الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف في المذهب احسن فيها غاية".[٢]

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن القاضي الفشتالي تباحث أيضاً في مسائل تعليمية أخرى، تناولت ترتيب مادتي التفسير والفقه في التدريس، وقد أورد ذلك النباهي بقوله :" وكان من عادته تقديم دول [٣] الفقه على التفسير، وذهب إلى عكس هذا الترتيب الشيخ الرحال أبو إسحاق الحسناوي، أحد جلساء القاضي عند إقرائه في آخرين، فجرت بين الطلبة ... بفاس في المسألة مراجعات ومخاطبات وقفت على بعضها، فرأيت من تخلق القاضي يعني الفشتالي ، وتجمله ما ليس بنكير على رجاحة عقله، وسعة صدره" [٤].ونفهم من هذا أن النباهي كان من أنصار تقديم الفقه على التفسير، وهو أمر ربما يفسر لنا اهتمام العلماء بهذين العلمين، في حين يذهب فريق منهم كالحسناوي إلى تقديم التفسير على الفقه لأسباب لعلها تعبدية صرف. وسواء قدم الفقه على

---

[١] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ص ٣٨٧-٣٨٨.

[٢] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ١٠٣.

[٣] يقصد بالدولة الحصة الزمنية المخصصة لتدريس درس، وقد يراد بها الدرس نفسه. مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ٢٣.

[٤] **المرقبة العليا**، مصدر سابق، ص ٢١٠.

Scanned by CamScanner

التفسير أو التفسير على الفقه، فإن المحصلة هي أن الاهتمام بكلا العلمين كبير، وإن إبراز أولوية أحدهما أو فضله على الآخر إنما يعكس تفكير هذا الفريق من العلماء أو ذاك.

٢- مناظرات في مسائل من التفسير وأصول الفقه : وعددها تسعة وعشرون مسألة، وقد أجاب عنها محمد بن علي البقال سابق الذكر.[١]

٣- مناظرات في النقد الأدبي : وكانت هذه المناظرات بين ابن عبد الملك المراكشي: محمد بن عبد الملك الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣ هـ/ ١٣٠٣ م)، وابن رشيد الفهري السبتي (ت ٧٢١ هـ/١٣٢١ م)، فقد انتقد المراكشي قصيدتين إحداهما طائية، والأخرى ميمية في مثال النعل النبوي الكريم لمالك بن المرحل سابق الذكر، وقد رد على هذا النقد ابن رشيد الفهري السبتي.[٢]

ولم يقتصر التأثير على نخبة من العلماء بل نجد ما يشبه ذلك بالنسبة إلى المتصوفة أيضاً، ونحن هنا لن نتوسع في ذكر الجماعات والاتجاهات الصوفية السائدة في هذا العهد، ولكن نود الإشارة إلى أحد العلماء الذي أحدث بالمغرب مدرسة صوفية وهو أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر(ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م)، سابق الذكر الذي تتلمذ على يديه مجموعة من التلاميذ [٣]، وأسهب الحضرمي في توضيح مذهب ابن عاشر قائلاً :" .. وكان من أعلم أهل زمانه في الحلال والحرام، وبه نجح في المغرب الفقه في هذا الباب من العلم وأحيا رسمه، وقد كانت أن درست أكثر طرقه ومعالمه، وانطمست أغلب سبله وممالكه، فكان يأتي من علمه بالعجائب، ويظهر على عمله من تدقيق الأنظار فيه فنون الغرائب، ويأمر باستنساخ كتبه وقراءتها وتصحيحها حتى فشت في الناس وتعيش من نسخها جماعة مما انضاف إليه، لم يكن كسبهم إلا من نسخها ونسخ أمثالها من كتب العلم، وخصوصاً كتب الفقه والتصوف. فمن كتب التصوف كتاب (النصائح) للمحاسبي، وكان كثير المطالعة لهذا الكتاب حتى كان يجري منه مجرى الدم، وعلى قراءته كان يحض من يستنصحه..." [٤].

ويتبين لنا من خلال النص السابق أن ابن عاشر قد ساهم بعناية في الجانب التربوي العملي من التصوف، وذلك بالحث على قراءة كتب التصوف والفقه مما أدى إلى نجاح علم الفقه

---

[١] حول هذه المناظرات انظر : الونشريسي، **المعيار**، مصدر سابق، ج١٢، ص ص ٢٦٣-١٨٩.

[٢] ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، مصدر سابق، ج١، ص ٤٤. مخلوف، **شجرة النور**، ص ٢٥٠.

[٣] الحضرمي، **السلسل العذب**، مصدر سابق، ص ٤٢.

[٤] المصدر ذاته.

Scanned by CamScanner

في هذا الباب نتيجة العناية به، ونسخ كتبه وانتشارها في أوساط المجتمع وأنجب مجموعة من التلاميذ الذين أسهموا مع ابن عاشر في إيجاد مدرسة صوفية ذات طابع خاص.

وظهرت في المغرب المريني أيضاً بعض الآراء والمؤلفات الصوفية مثل : كتاب الحلال والحرام لأبي الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي.[١]

وكان من نتائج تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع المريني أيضاً استقرار أسس الهوية المغربية بحيث أصبحت اللغة العربية هي السائدة منذ هذا العهد بدلاً من اللغة البربرية التي كانت ما تزال سائدة في عهد الموحدين.[٢]

ومن الأمثلة على انتشار اللغة العربية في العهد المريني شيوع قصائد عربية طويلة في أغراض متنوعة، فقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله:" .... فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض، على ما كان عليه سلفهم المُستعربون ويأتون منه بالمطولات، مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون في الخروج من فن إلى فن في الكلام، وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم، وأكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك ينسبون، فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعي راوية العرب في أشعارهم ..." [٣].

ويمكن أن نستنتج من هذا النص مدى الخطوات التي قطعها التعريب في بلاد المغرب عموماً، مما عزز وحدة البلاد في هذه الفترة، ورسخ الهوية العربية الإسلامية تحت الراية المرينية لتكون مميزة عن غيرها، وخاصة أولئك الذين سبقوا في حكم بلاد المغرب الأقصى. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما مدى استجابة المجتمع المريني لما كان سائداً خلال هذا العهد؟ إن الإجابة على هذا السؤال قد تبدو صعبة ونحن لا نستطيع أن نجزم هنا أن تأثير المؤسسات التعليمية على المجتمع كان إيجابياً كله، ولكن نكتفي بما ذكره أحد المؤرخين المحدثين حين قال أن : "الأوضاع التشريعية والدراسية كانت منبعثة من طرف العلماء المغاربة،

---

[١] الحضرمي، **السلسل العذب**، مصدر سابق، ص ٦٥.

[٢] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ٧١. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ص ٤٢٩-٤٣٠.

[٣] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٥٨٢.

Scanned by CamScanner

وكان دور الدولة في هذا كله لا يعدو التقرير والتنفيذ، مجاراة للطابع الشعبي الذي كان يطبع السياسة المرينية في هذه المواضيع وأشباهها".[١]

٢- الناحية الاجتماعية :

أول ما نتناوله في هذا الجانب من تأثير المؤسسات التعليمية في المجتمع تلك الفئة التي تخرجت من هذه المؤسسات، حيث كان المدرسون يكونون هيئة من العلماء وأصبح لها بالتدريج دور في الحياة الفكرية والسياسية في البلاد ولا سيما في المدن، ويبدو أن هذه الفئة التي كانت تتمتع بالاحترام في المجتمع المغربي قد يكون لها سلم أدبي بل ربما سلم مهني ينظم أمورها.[٢]

ومن جانب آخر فقد ظهر في المغرب الأقصى في العهد المريني نتيجة نشاط المؤسسات التعليمية عدد من المؤلفات التي تناقش قضايا عامة في المجتمع المريني، وتقاوم البدع التي انتشرت في هذا المجتمع، ونحن هنا إذ نشير لبعض هذه المؤلفات إنما نقصد بذلك إبراز ما تركته بعض هذه المؤلفات من آثار في المجتمع، ومن هذه المؤلفات :

١- **كتاب البدع لأبي الحسن الصغير**[٣] ، وقد أشير إلى هذا الكتاب في كتاب آخر عنوانه : "أنوار التجلي على ما تضمنته قصيدة الحلي"، لعبد الله بن أبي القاسم الثعلبي الفاسي (ت٩٨٧هـ/١٥٧٩م).[٤]

وكان أبو الحسن الصغير شديداً في مقاومة البدع، وأشار لذلك ابن خلدون قائلاً : "وكان على نتج من تغيير المنكرات، والتعسف فيها، حتى لقد كان مطاوعاً في ذلك وسواس النسك الأعجمي، ومتجاوزاً به الحدود المتعارفة من أهل الشريعة في سائر الأمصار" [٥].

٢- **كتاب :" المدخل " لابن الحاج العبدري**، وكان المؤلف يهدف بهذا الكتاب إلى إصلاح المجتمع الإسلامي عموماً عن طريق مطالبة المؤمن بالسعي لتحسين مقاصده في كافة تصرفاته وسلوكه، وبين المؤلف للمؤمن البدع التي تعترض سلوكه في العبادات والعادات، وأبرز في كتابه بعض البدع في قضايا مختلفة في المجتمع آنذاك. ومن الأمثلة على ذلك : سهر الناس ليلة عيد الفطر وعيد الأضحى لا للعبادة وإنما للعناية بزخارف الدنيا وإضاعة المال بصقل القماش،

---

[١] المنوني، **حضارة المرينين**، مرجع سابق، ص ٤٣٧.

[٢] لوتورنو، **عصر بني مرين**، مرجع سابق، ص ١٧٥.انظر أيضا : التمهيد في هذه الرسالة

[٣] انظر ترجمته في : ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ص ١٠٢-١٠٣.

[٤] انظر : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٢٦. المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٣٩٣

[٥] **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٥٠٠.

Scanned by CamScanner

واجتماع الرجال والنساء في الليل في شهر رمضان المبارك[١]، وغير ذلك من الأمثلة التي لا يتسع المجال هنا لذكرها جميعا.

تناول بعض المؤرخين كتاب " المدخل" بالدراسة والتحليل، فقد أشاد به ابن حجر العسقلاني الذي قال عنه أثناء الترجمة لمؤلفه :" وجمع كتاباً سماه المدخل، كثير الفوائد، كشف فيه عن معايب وبدع يفعلها الناس ... وأكثرها مما ينكر...".[٢]

لعل مدح العسقلاني لكتاب المدخل وبيان فائدته في التنبيه على البدع التي شاعت في المجتمع المريني آنذاك يعد شهادة من أحد العلماء البارزين على أثر التعليم في العهد المريني في إخراج علماء كان لهم فضل في الاهتمام بالقضايا الاجتماعية والعمل على إصلاح ما يستطيعون منها.

بالمقابل نجد أن صاحب المدخل يعترف بدور علماء المغرب في مقاومة البدع، حين يقول :" وبسبب وجودهم (العلماء)، وتصرفهم بالسنة المطهرة .... ارتدع كثير من أهل البدع، وقل ظهورها وأهلها، ونزلت البركات، وجاءت الخيرات....".[٣]

واضح من كلام ابن الحاج الدلالة على ما كان للعلماء في العهد المريني من دور في إصلاح المجتمع حتى قلت فيه البدع العديدة، مما عاد بالفائدة والخير على الجميع.

كان للعلماء مواقف من بعض العادات الاجتماعية التي انتشرت في المغرب الأقصى خلال العهد المريني، ومن هذه العادات الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، وهي الاحتفالات التي أخذت طابعها الخاص والملفت للنظر على عهد السلطان أبي الحسن وأبنائه من بعده.[٤]

لا بد من الإشارة هنا إلى أن الاحتفالات بالمولد النبوي الشريف لم تكن ابتكاراً مرينيا، بل كانت شائعة في عصر الفاطميين بمصر، حيث كانوا يحتفلون بالمولد النبوي ضمن ستة مواليد، وهي : مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومواليد آل البيت عليهم السلام، علي بن

---

[١] ابن الحاج العبدري، **المدخل**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٨٢، ص ٢٨٦

[٢] **الدرر**، مصدر سابق، ج٤، ص ٣٥٦.

[٣] ابن الحاج العبدري، **المدخل**، مصدر سابق، ج٢، ص ٨٩.

[٤] حول وصف احتفالات أبي الحسن المريني في هذه المناسبة، انظر : ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ص ١٥٢-١٥٤.

Scanned by CamScanner

أبي طالب كرم الله وجهه، والحسن والحسين رضي الله عنهما، وفاطمة الزهراء رضي الله عنها، والسادس مولد الخليفة الحاكم.[١]

ما يهمنا من ذكر ما سبق هو موقف علماء بني مرين من هذه الاحتفالات التي اختلفت مواقفهم تجاهها، فبعضهم أنكر هذه الاحتفالات، وبعضهم لم ينكرها، ولكنهم أوصوا بالحذر من دخول بعض البدع والعادات المخالفة للشريعة الإسلامية إلى هذه الاحتفالات، مثل اختلاط الرجال والنساء.

من الفتاوى حول هذه الاحتفالات فتوى ابن عباد الرندي، والتي نص فيها على :" أن هذا اليوم عيد من أعياد المسلمين لظهور خير الخلق فيه، وسيد المرسلين، فالتزين فيه بأحسن الثياب من اللباس، واستعمال الطعام، وإظهار المحبة بالركوب على أحسن الدواب، وكثرة الصلاة عليه، وإنشاد القصائد في صفته، وتزيين الأولاد والمكاتب بما يجوز شرعاً : لا شك في جواز ذلك كله إذا سلم من البدع المحرمة التي لا يجوز تعظيم شعائر الله تعالى بها".[٢]

نفهم من هذا النص مدى قوة أهل التصوف وهيمنتهم في الحياة العملية، كما تظهر حرصهم على مجانبة البدع التي سادت كثيراً في احتفالات المشارقة مما دفع العلماء هناك إلى محاربتها وإنكارها إنكاراً شديداً، وهو ما لم يظهر في النص كما يبدو لسببين أحدهما : خلو هذه الاحتفالات من المنكرات والبدع والمخالفات الشرعية، والثاني قوة أهل التصوف، وتغلغل نفوذهم في أوساط العامة وحتى المثقفين.

علق **الونشريسي** أيضاً على كلام بعض العلماء في هذا المعنى، قائلاً : " وما أنكر من أنكر ما يقع في هذا الزمان من الاجتماع في المكاتب للأطفال، إلا خيفة المناكر، واختلاط النساء والرجال، فأما إذا أمن ذلك فلا شك في حسن ما يفعل من الاجتماع وذكر محاسنه، والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في سائر البقاع، ويحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة، ولا يجوز تعظيم نبي الله إلا بما يرضيه ويرضي الله تعالى، بل تنبغي الصدقة في السر بما يعمل في تلك الأيام من الأطعمة، فإن ذلك أسلم من فساد النيات، ومن حضور الجماعات".[٣]

ولا شك أن الونشريسي أراد بذلك مقاومة البدع التي تصاحب الاحتفال بالمولد النبوي الشريف وخاصة الاختلاط بين الرجال والنساء واستعمال آلة اللهو وبيان مخالفتها للشرع

---

[١] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ج٢، مكتبة الآداب، القاهرة، (د.ت.) ص ٣٨٤.

[٢] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٥٤٠.

[٣] **المعيار**، مصدر سابق، ج١١، ص ٢١١.

Scanned by CamScanner

الإسلامي، والاستعاضة عنها بما يرضي الله سبحانه وتعالى كالصدقة وغيرها، ولا جدال أن هذا يبين لنا دور الفقهاء من خلال اختلاطهم بفئات المجتمع ومعرفتهم لقضاياه، وخاصة في المساجد مع بيان الأمور التي تصلح المجتمع وتحميه من التخلف والفساد.

يتضح لنا مما سبق أن العلماء في العهد المريني لم يكونوا بمعزل عما يدور من أحداث في المجتمع، بل كان لهم دور واضح في تصويب الخلل الاجتماعي والأخلاقي، وتوعية أفراد المجتمع لمقاومة البدع والخرافات في حال مناقضتها الواضحة لأحكام الشريعة الإسلامية، والحرص على تنقية المجتمع من الشوائب حفاظاً على وحدته وقوته، مستهدفين بناء مجتمع قوي.

٣- الناحية السياسية :

كان للمؤسسات التعليمية تأثير في المجتمع المريني من الناحية السياسية أيضاً، فالعلماء الذين هم نتاج هذه المؤسسات قد تولى بعضهم مناصب سياسية هامة. ولدينا منهم أسماء نشير إلى بعضها فيما يلي : فهذا الفقيه عبد العزيز القروي (ت ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م): تولى في عهد أبي الحسن نظارة المارستان، وقد أمره السلطان أبو الحسن المريني بالخروج مع عامل الزكاة:" فأجابه : أما تستحي من الله أن تأخذ لقباً من ألقاب الشريعة، وتضعه على مغرم من المغارم، فغضب السلطان وضربه بخنجر في غمده كان في يده، وقال له : هكذا تقول لي ؟ فبادر إليه وزيره وأخرجه إطفاءً لغيظ السلطان، فندم السلطان ، واشتد وجع يده التي ضربه بها، فخرج وقال : ردوه علي، فردوه، واعتذر إليه السلطان، وقال له : طيب نفسك عليّ، فإني علمت أنك ما قلت إلا الحق، فأجابه، يغفر الله لي ولك، وانصرف عنه، فكان السلطان بعد ذلك يزوره في داره، حتى وفاته".[١]

هذا الموقف الذي رواه ابن القاضي بعد ما يقارب الثلاثة قرون يبين لنا إذا صح، أن بعض العلماء مثل القروي، لم يكن تقربه من السلطة الحاكمة رغبة منه في تولي المناصب السياسية، بل نراه ناصحاً للسلطان حتى كاد يفقد حياته نتيجة لهذا النصح الذي أغضب السلطان عليه.

وتولى بعض العلماء منصب المشاور وهو عبارة عن وظيفة حكومية تعرض على صاحبها مشاريع الأحكام والقوانين التي يريد السلطان إصدارها ليوافق عليها ويقرها بعد

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٥١.

Scanned by CamScanner

دراستها، فإذا كانت مخالفة لمذهب الدولة فإنهاترفض فيضطر السلطان عندها لسحب مشاريع أحكامه وإسقاطها، فإذا حاول أن يصدر هذه القوانين بعد رفضها من قبل المشاورين فإنه قد يعرض نفسه للثورة عليه، وممن شغل هذا المنصب الفقيه عيسى بن علال المصمودي (ت ٨٢٣هـ/١٤٢٠م)[١] ، ولم نجد في المصادر المتناولة بين أيدينا رغم حرصنا، مثلاً يذكر من رفض القوانين من قبل من تولوا هذا المنصب.

وتولى بعض العلماء منصب سفير[٢] الدولة المرينية، وممثلها خارج البلاد، وقد تحدثت كتب التراجم عن نماذج من هؤلاء السفراء ، منهم :

١-محمد المقري (ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م) [٣] سفير السلطان أبي عنان المريني إلى الأندلس.[٤]

٢-أبو إسحاق إبراهيم التسولي: وهو أحد سفراء الدولة المرينية إلى الأندلس أيضا.[٥]

٣-أبو الحسن الصُّغَير: علي بن محمد بن عبد الحق الياصلوتي الزرويلي ثم الفاسي (ت٧١٩هـ/١٣١٩م) : الذي أرسله السلطان سليمان المريني سفيراً له في الأندلس.[٦]

ولم يقتصر تأثير المؤسسات التعليمية على ما ذكرنا بل كان لهذه المؤسسات تأثير في المجتمع بما أنتجت من أفكار واستقلالية في الرأي.

---

[١] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٢٩٨. الكتاني، **القرويين أقدم جامعة**، مرجع سابق، ص ص ٣٤٥-٣٤٦. وانظر: ترجمة المصمودي في : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٠٢. وأيضا ابن القاضي، **درر الحجال**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ١٩١-١٩٢. شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، (ت ٨٩٨ هـ/١٤٩٢م)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، م٣، ج٦، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت.) ص ١٥٥. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٥١.

[٢] وتعني كلمة سفير لغة : الرسول، واصطلاحا : تطلق هذه الكلمة على من يعينه السلطان سفيرا لإحدى الدول، أو تكون مهمته نقل الرسائل بين حكام الدول. التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب**، مرجع سابق، ج١، ص ١٨٠. عاصم محمد رزق، **خانقوات الصوفية في مصر في عصر دولة المماليك البرجية**، ط١، ج٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٨٣٦.

[٣] هو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الرحمن القرشي التلمساني، ولد بتلمسان، وبرع في التفسير والفقه والعربية، وتولى قضاء العساكر خلال حكم السلطان أبي عنان وتولى أيضا قضاء فاس. ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٢، ص ص ١٩٨-٢٠٣. النباهي، **المرقبة العليا**، مصدر سابق، ص ٢٠٩. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ٤٢٠-٤٢٧. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٧١.

[٤] المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ٢١٤. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤٢١.

[٥] النباهي، **المرقبة العليا**، مصدر سابق، ص ١٧٢. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ص٨٤-٨٥.

[٦] ابن القاضي، **الجذوة** ، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٧٢. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٤٧.

Scanned by CamScanner

ويعد موقف محمد المقري سابق الذكر مع السلطان أبي عنان خير دليل على مـــا نقـول، ويتمثل ذلك الموقف بتلك الخصومة التي وقعت بين السلطان أبي عنان وبعض أقـــارب محمـد المقري، فقد امتنع الأخير عن الحضور معهم إلى القاضي الفشتالي لكن السلطان أجـــبره علـى القدوم حتى يحضر الحكم.

وعندما تولى قضاء فاس قام بأعباء القضاء علماً وعملاً، وحمدت ســـيرته، ولـم يكـن يجامل السلاطين المرينيين في الأحكام.[١]

وهذا الموقف من محمد المقري يدل على مكانته العلمية ومكانة أمثاله، ورفيع قدرهم هـو الذي جعلهم من الفئة التي لا ترضخ لسطوة الحكام، وعدم طاعتهم في كل الأمور خاصة إذا كان ذلك فيه إهانة للكرامة، ومخالفة لأحكام الشرع الإسلامي، وتبين ذلك من خلال توليـــة المقـري قضاء فاس، فقد كانت لا تأخذه في الله لومة لائم على ما قيل.

ومما سبق يتضح لنا أن العلماء في العهد المريني كان لهم وزن سياسي كبير إضافة إلـى وزنهم العلمي، وكانت مشاركتهم فاعلة في المجالين العلمي والسياسي.

٤- الناحية العسكرية :

أدى انتشار المؤسسات التعليمية في المغرب الأقصى إلى ظهور بعض المؤلفـــات التـــي تحض على الجهاد، وترغب فيه، وقد ذكر السلاوي أن بعضهم قد ألف " التآليف في الحض على الجهاد، والترغيب فيه، وقال الخطباء، والوعاظ في ذلك فأكثروا، ونظم الشعراء والأدبـــاء فيـــه ونثروا" [٢].

وممن ألف في هذا المعنى الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بـــن بحبش التازي (ت ٨٢٠ هـــ /١٤١٧م). فقد ذكر ابن عسكر عن الشيخ التازي المذكـــور أنـــه وقف " على تأليف ألفه في الحض على الجهاد في سبيل الله تعالى، فكان مما ينبغـــي أن يتنـــاول باليدين، ويكتب دون المداد باللجين، أودعه نظماً ونثراً، وله توشيحات وقصائد كلها رائقة".[٣]

أما الكتاب الذي ألفه الشيخ التازي في الجهاد، فقد ذكر المنوني أن المقصود بـــه علـــى الأرجح الرسالة التي تحمل اسم :" تنبيه الهمم العالية على الصدقة والانتصـــار للملـــة الزاكيـــة،

---

[١] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤٢١.

[٢] **الاستقصا**، مصدر سابق، ج٤، ص ص ١١١-١١٢.

[٣] محمد ابن عسكر الحسني الشفشاوني (ت ٩٨٦ هـــ/١٥٧٨ م)، **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م، ص ٥٩.

Scanned by CamScanner

وقمع الشرنمة الطاغية". وذكر المنوني أن من الرسالة نسختين : إحداهما كاملة موجـــودة فـــي الخزانة العامة بالرباط، والأخرى ناقصة نشرت حديثاً،[١] ولم نتمكن نحن من الاطلاع على هـاتين النسختين، أو معرفة مكان وتاريخ نشر النسخة المنشورة.

ويظهر من عنوان الرسالة أنها قد تكون في الدعوة إلى جهاد بعض الفـــرق الإســـلامية الضالة في نظر المؤلف، ومعنى ذلك أنها ليست في الجهاد ضد غير المسلمين فقط. و ربما كـان لهذه المؤلفات الجهادية الدور الهام في إحداث رد فعل ضد حملات البرتغـــال علـــى الســـواحل المغربية، فكان نتيجة ذلك أن تم تحرير الجزيرة الخضراء، والتصدي للأطماع القشتالية ما بيـــن (٦٧٧ هـــ /١٢٧٨ م- ٦٨٢ هـــ / ١٢٨٣م).

ومن أجل تحرير الجزيرة الخضراء استدعى السلطان يعقوب بن عبد الحق لهذه المهمـــة ولي عهده الأمير أبا يعقوب، فقد أمره بالخرج من مراكش على رأس قوة عسكرية أعدها لـــهذه الغاية.[٢] والتي سار (أبو يعقوب) على رأسها آمراً بإعداد الأساطيل في المدن المغربية.[٣]

وساهم سلطان غرناطة في إعداد أسطول المجاهدين عندما نقـــض العـــهد مـــع الملـــك القشتالي بعد أن ندم على مصانعته اياه ضد أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق.[٤]

وكان من نتيجة هذه الجهود أن تحقق النصر للمرينيين في البحر، وتقدمت جيوشهم نحـــو الجزيرة الخضراء لقتال الجيش القشتالي في البر [٥]، ولمـــا رأى الجيـــش القشـــتالي المحـــاصر للجزيرة الخضراء براً ما وقع من بلاء وقتل في صفوفه وفقدان قائده الملنـــد (AL- Melind) وقتل كبار القادة دب في صفوفهم الرعب، وانسحبوا من الجزيـــرة الخضـــراء[٦]، وفـــرح أهـــل الجزيرة فرحاً عظيماً بإنقاذهم، وإنقاذ بلادهم من هلاك محقق.[٧]

---

[١] **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٤٣٤.

[٢] الملزوزي، **نظم السلوك**، مصدر سابق، ص ١٣٧. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٣١٧.

[٣] ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٣١٧.

[٤] الملزوزي، **نظم السلوك**، مصدر سابق، ص ١١٣.

[٥] المصدر ذاته، ص ١١٥.

[٦] الملزوزي، **نظم السلوك**، مصدر سابق، ص ١١٧. ابن أبي زرع، **الأنيس المطرب**، مصدر سابق، ص ٣٣٨. لسان الدين بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦ هـــ/١٣٧٤ م)، **اللمحة البدرية فـــي الدولة النصرية**، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨، ص ٤٥.

[٧] الملزوزي، **نظم السلوك**، مصدر سابق، ص ص ١١٥-١١٦.

Scanned by CamScanner

وتنبغي الإشارة في هذا الصدد إلى الدور الهام الذي قامت به الزوايا كمؤسسات دينية وتعليمية في الحياة العامة في المغرب الأقصى، فقد ساهمت هذه الزوايا (وهي أصلاً رباطات) في مقاومة الإسبان والبرتغاليين عندما كانوا يحاولون الاستيلاء على أجزاء من المغرب.[١]

قامت الزوايا بتوفير الحماية للسواحل والثغور المغربية، وذكرت بعض النوازل الفقهية أن قوماً كانوا يجتمعون ليلاً عقب صلاة العشاء ومعهم قناديل يمشون بها فوق السور لإيقاظ حراسه، واستثارة انتباههم لمواجهة أي هجوم مفاجئ قد يقوم به العدو، وكانت تلك الجماعة تردد بصوت واحد " سبحان الله العظيم"، وينصرفون على تلك الصفة يمشون في الأزقة والطرق. ويذكر الونشريسي أن فائدة رفع الصوت هي :" إشعار مريد اغتيال الحصن أنهم حذرون مستعدين لدفاعه...".[٢]

وعدا الدور الذي قامت به الزوايا الثغورية (المتاخمة للحدود)، فقد قامت الأربطة الداخلية بدور كبير في توفير الأمن والاستقرار في المواضع التي تثير الخوف، فقد أمنت الطرق ووفرت الطمأنينة للمسافرين والتجار، وورد في إحدى النوازل الفقهية أن بعض الصالحين قد أسهموا في تأمين السبل حيث يقيمون في المناطق غير الآمنة التي كانت فيما مضى مأوى لأهل الفساد، وقطاع الطرق الذين كانوا يهاجمون القوافل والتجار لأجل النهب والسرقة.[٣]

لابد من الإشارة هنا لدور العلماء والطلبة في دفع الخطر البرتغالي، فبعد سيطرة البرتغال على مدينة سبتة سنة ٨١٨ هـ/ ١٤١٥م، وطنجة سنة ٨١٩ هـ/١٤١٦ م، وغيرها من المدن المغربية، ازدادت أطماع البرتغال للسيطرة على سواحل المغرب، فقد تصدت لهم الجيوش المغربية وفي مقدمتها علماء المغرب والطلبة، وتبارى هؤلاء في التصدي للأعداء ومطاردتهم، فمنهم من استشهد ومنهم من أسر ... وتحولت المجالس العلمية إلى مجامع لحض الناس على الجهاد، والترغيب في التضحية وتعبئة الطاقات لدفع الخطر عن البلاد.[٤]

نلاحظ بذلك دور جامع القرويين كمؤسسة تعليمية أدت دوراً هاماً أيضاً في رفع الروح المعنوية لدحر الخطر الخارجي، ومقاومة العدو ومنعه من احتلال بلاد المغرب والتي نذر فيها العلماء والطلبة، إضافة إلى الجيش المريني، أرواحهم رخيصة دفاعاً عن أرض المغرب الإسلامي آنذاك، ومن هؤلاء العلماء :

---

[١] زبيب، **الموسوعة العلمية**، مرجع سابق، ج٤، ص ٣٥٦.

[٢] **المعيار**، مصدر سابق، ج١٢، ص ص ٣٦١-٣٦٣.

[٣] المصدر ذاته، ج٢، ص ٤٠٣.

[٤] التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٤٢.

Scanned by CamScanner

١-محمد بن إبراهيم الآبلي (ت ٧٥٧ هـ/ ١٣٥٦ م)[١] الإمام الفيلسوف، وشيخ ابن خلدون والسلطان أبي عنان المريني، والذي حارب معه في عدة معارك مثل موقعة طريف[٢] بالأندلس.[٣]

٢-عبد الله الورياكلي (ت ٨٩٤ هـ / ١٤٨٨ م) : وهو عالم شدت إليه الرحلة لطلب العلم، وكان قد بلغ درجة الاجتهاد، وكان يقرئ الفقه بالمذاهب الأربعة، ويقارن بين المذاهب، ويرجح مذهب مالك بالدليل، فهذا العالم كان يرابط في الثغور للجهاد، وحراسة المسلمين، وأوطانهم من العدو وينشر العلم بين الطلاب، ويربي المريدين، وهو مرابط مجاهد، وتوفي سنة ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٨ م، وكان من عادته أن يشتغل بالتدريس في فصلي الشتاء والربيع بينما يخرج في الصيف والخريف فيرابط في الثغور وهي مواسم الخطر الخارجي.[٤]

وهكذا يتبين لنا أن المؤسسات التعليمية قد قامت بدور هام في المجتمع من الناحية العسكرية أيضاً، فقد كان بعض علماء المغرب خلال العهد المريني على درجة من الوعي جعلهم الطلائع لأولئك المجاهدين الذي تصدوا لحملات البرتغال والإسبان دفاعاً عن بلادهم، وهذا يؤكد أهمية نمط التعليم في المجتمع عندئذٍ، ذلك التعليم الذي أدى إلى تخريج جيل واع مدرك لما يدور من حوله من أحداث وما يتهدد وطنه من أخطار، ولا يعيش منعزلاً عنها بل مشاركاً فعالاً في مجرياتها والتصدي لها.

---

[١] عن حياته وآثاره العلمية انظر :

- Nassif, Nassar, Le Maitre d' Ibn Khaldun, AL- Abili, Stvdia Islamica, XX, G.-P. Maisonneuve – Larose. Paris, 1964, P.P.103-114.

[٢] هي إحدى المعارك بين المسلمين ونصارى الأندلس انتهت بهزيمة المسلمين سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، للمزيد انظر : ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، مصدر سابق، ص ص ٦١-٦٢. ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٢٦١-٢٦٢. ابن العماد، **شذرات الذهب**، مصدر سابق، ج٦، ص ١٢٨. عبد الحميد حاجيات، **أبو حمو الزياني: حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢م، ص ٥٤.

[٣] المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ص ٢٤٤-٢٤٨. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤١٣.

[٤] **ابن القاضي، الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣٩. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ٢٣٣-٢٣٤. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ٣٠٣. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

Scanned by CamScanner

ثانياً : الصلات العلمية مع البلدان الأخرى :

أ- الأندلس :

الحديث عن بلاد المغرب في الظروف التي نعالجها يقترن دائما بالأندلس في معظم الأحداث الثقافية والسياسية التي عرفتها المنطقة، فليس غريباً أن يكون هناك تواصل علمي بين المغرب الأقصى والأندلس خلال العهد المريني، إذ نجد كثيراً من الفقهاء والكتاب والأطباء قد انتقلوا من الأندلس إلى المغرب بل أن بعضهم قد عمل في بلاط الدولة المرينية وخاصة في بلاط أبي عنان كما سنرى، والذي اتسع العلم والترحيب بالعلماء في عهده بشكل ملحوظ، كما انتقل بعض علماء المغرب إلى الأندلس وساهموا في ربط وتمتين العلاقات بين العدوتين. وسنرى أن نمط العلاقات العلمية بين المغرب الأقصى والأندلس قد تنوع في العهد المريني، فبعض العلماء قام بزيارة علمية ثم عاد إلى وطنه أو استقر على الجهة التي سافر إليها ، وبعضهم استهوته الوظائف والمناصب السياسية في هذه الجهة أو تلك والرغبة في الحظوة والمال، وبعضهم اتجه من بلد لآخر للدراسة أو التدريس في المؤسسات التعليمية، بالإضافة إلى تبادل المراسلات والفتاوي والمؤلفات بين القطرين.

ومن هؤلاء العلماء الذين قدموا من الأندلس إلى المغرب الأقصى خلال العهد المدروس نذكر:

١-ابن سلمون : عبد الله بن عبد الله بن علي الكناني الغرناطي(ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م): فقد التقى بعلماء المغرب مثل أبي الحسن بن عتيق بن الحسن بن رشيق من علماء سبته، ومثل: أبي غالب محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغيلي الذي استقر بفاس وأصبح من علمائها.[١]

٢-محمد بن علي بن عمر الغساني الونشقي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) : أقام بسبتة فترة من الزمن، اهتم خلالها بقراءة القرآن الكريم والعربية، وأخذ العلم من بعض علمائها مثل : أبي جعفر بن الزبير وابن الفخار، كما أخذ عن بعض علماء فاس مثل : محمد بن آجروم صاحب المقدمة المعروفة الآجرومية، سابق الذكر، ثم عاد إلى الأندلس وطاف معظم بلدانها، وتصدر للإقراء، حتى تخرج على يديه كثير من طلبة العلم.[٢]

٣- أبو البركات ابن الحاج : محمد بن محمد بن إبراهيم البلفيقي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م). والذي جاء من مدينة المرية، وأخذ العلم بالمغرب الأقصى على يد مجموعة من العلماء مثل

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٣٤.

[٢] السيوطي، **بغية الوعاة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٨٦.

Scanned by CamScanner

أبي الحسن الصغير، وابن البناء المراكشي، وتبرز علاقته بالعهد المريني من خلال تنقله في فاس وقدومه إليها من الأندلس والأخذ عن بعض علمائها.[١]

٤-ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م)[٢]: الذي ارتحل إلى المغرب الأقصى وشغل خطة الكتابة في البلاط المريني أثناء حكم السلطان أبي عنان فارس المريني، وكان له العديد من المآثر العلمية التي أثارت إعجاب معاصريه من أهل المشرق والمغرب، ومن هذه الآثار معرفته في الفروع والأصول والحديث، وباعه الطويل في التاريخ واللغة والحساب والنحو والبيان والآداب، والشعر قديمه وحديثه. ومن أبرز أعماله الباقية صياغة رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار) بناء على طلب من السلطان أبي عنان المريني، مستعيناً بمسودات صديقه ابن بطوطة.[٣]

٥-الشيخ أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي (ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م) : الذي رحل إلى المغرب، واستقر في فاس مدة ثم انتقل إلى مكناسة الزيتون، ثم لم يلبث أن رحل إلى سلا وأخذ طريق الصوفية، فاعتزل الناس، وعاش عيشة الزهد والتقشف، وبقي في سلا حتى نزل برباط الفتح بزاوية أبي عبد الله اليابوري حتى وفاته سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م.[٤]

٦-ابن عباد الرندي (ت ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م) : تلميذ ابن عاشر سابق الذكر، وقد ارتحل إلى فاس من الأندلس، وقرأ الفقه بجامعة القرويين وأيضاً الأصول والعربية، ثم انتقل إلى مدينة سلا وأخذ يدرس التصوف، فكان يشرح في دروسه طريقة أبي الحسن الشاذلي بصورة مبسطة.[٥]

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٢٩٢. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٢٩. ابن إبراهيم، **الأعلام**، مرجع سابق، ج٣، ص ٣٢٥.

[٢] هو عبد الله بن محمد الكلبي، أحد علماء الأندلس، وقد عمل في البلاط المريني أثناء تواجده في المغرب، انظر عنه : المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ٥٢٦.

[٣] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٣، ص ص ٣٩٢-٣٩٤. المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ٥٢٦. التازي، **جامع القرويين**. مرجع سابق، ج٢، ص ٤٩٢.

[٤] الحضرمي، **السلسل العذب**، مصدر سابق، ص ص ٤٠-٤١. المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ص ٣٥٤-٣٥٥. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٥٣. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ٩٦-٩٨.

[٥] المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ص ٣٤١-٣٥٠.

Scanned by CamScanner

٧-محمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي (ت ٧٥٧هـ/١٣٥٦م) : أحد أطباء الأندلس، فقد رحل إلى المغرب الأقصى وعين مديراً للمارستان بفاس سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م، وبقي في منصبه هذا حتى وفاته سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م.[١]

أثر هؤلاء العلماء في الحياة العلمية في العهد المريني، وظهر هذا الأثر بشكل واضح من خلال بعض العلماء مثل لسان الدين بن الخطيب الذي وفد إلى المغرب الأقصى سنة ٧٥٢هـ/ ١٣٥١م، موفداً من قبل الأمير يوسف بن الأحمر إلى السلطان المريني أبي عنان معزياً إياه في والده السلطان أبي الحسن، ثم جاء ابن الخطيب مرة ثانية إلى المغرب سفيراً سنة ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م، من قبل محمد بن يوسف بن الأحمر الذي استنجد بأبي عنان على ملك قشتالة، وفي سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م، حل ابن الخطيب بالمغرب مرة ثالثة منفياً مع ملك غرناطة محمد الخامس الغني بالله، وخلال مدة نفيه التي قاربت ثلاث سنوات تنقل ابن الخطيب بين البلاد المغربية، واتصل بعلمائها.[٢] وألف في المغرب عدة مؤلفات منها : " اللمحة البدرية في الدولة النصرية" و " رقم الحلل في نظم الدول" و " الحلل المرقومة في اللمع المنظومة" [٣]، وكتب أيضاً أرجوزة في الطب سبق وأن ذكرناها.

نهل لسان الدين ابن الخطيب من منابع المعرفة في المغرب في بداية حياته حين أخذ عن أبي القاسم السبتي المشهور بالشريف الغرناطي الذي انتقل إلى غرناطة حيث تولى فيها منصب القضاء في أثناء حكم بني الأحمر[٤]، ومن أبي القاسم هذا ترسخت بذور مغربية في ثقافة ابن الخطيب، ولما وفد على أبي سالم بن أبي الحسن المريني مع أبي القاسم السبتي، وملك غرناطة الغني بالله محمد بن أبي الحجاج أنشده قصيدة جاء فيها :

---

[١] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٠٣. ابن شقرون، **مظاهر الثقافة**، مرجع سابق، ص ٢٢٨.

[٢] محمد بن تاويت، **الوافي في الأدب العربي في المغرب الأقصى**، ط١، ج٢، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٨م، ص ٤٧٣.

[٣] ابن الخطيب ، **نفاضة الجراب**، مصدر سابق، ص ١٨٦- ١٨٧. مخلوف ، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٣٠. أحمد العبادي، العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس في القرن الثامن الهجري، في **الكتاب الذهبي "جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف، ٢٤٥هـ-٣٧٩هـ/ ٨٥٩م-١٩٦٠م**، وزارة التربية الوطنية، إدارة الشؤون الثقافية، المحمدية، المملكة المغربية، ١٩٦٠م، ص ص ١٩٨-٢٠١.

[٤] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٢، ص ١٢٩.

Scanned by CamScanner

سلا هل لديـــها من مخبـــرة ذكر ... وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
وهل باكر الوسمي داراً على اللوى ... عفت آيها، إلا التـــــوهم والذكر
بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى ... بأكنـــافها والعيش فينـــان مخضر
وجوّي الذي ربّى جناحيّ وكـــره ... فها أنـــذا مالي جنـــاح ولا وكـــرُ[١]

ولئن كان لسان الدين ابن الخطيب في هذه القصيدة يمدح أبا سالم المريني الذي طوقـــه بالنعم الكثيرة عندما تخلص من شر النكبة التي استأصلت المال في الأندلس، فهي تـــدل علـــى تأثره واعترافه بالثقافة المغربية التي نهل من منابعها على يد أبي القاسم السبتي وغـــيره، ممـــا جعله يحن إلى المغرب، ويعجب بجماله الساحر، كما تدل القصيـــدة علـــى ازدهـــار الحركـــة الشعرية آنذاك، لأنه استهل نزوله في المغرب بقول الشعر ذي المستوى الفني الرفيع، الذي يـــدل كذلك على مستوى الحياة الثقافية في الأندلس وفي المغرب آنذاك في عهد الدولة المرينيـــة، ثـــم صار ابن الخطيب يجوب البلاد مخاطباً رجالها بالقصائد والرسائل، ومناجياً معاهدها، واصفـــاً فيها حتى براغيثها، مما كان له أثر قوي في بعث همم أدبائها، الذين كانوا كثيراً ما يطارحونـــه الشعر، ويجاوبونه بقصائدهم وأشعارهم، كما كان يأخذ بمراجعة رســـائله، ولا يـــترك التشـــبه بهؤلاء الأدباء حتى وهو بالأندلس، ولعل سبب ذلك تأثره بجمال المغرب، وحسن طبيعته وكـــرم حكامه، مما جعله يبعث بقصائده وأشعاره إلى ملوك المغرب ورجاله بشكل لا ينقطع.[٢]

نعم، كان لابن الخطيب أثر في تنشيط الحركة الأدبية في المغرب المريني، ولكن لا يفهم من هذا أن هذه الحركة كانت خامدة فبعثها، أو كسلت فنشطها، بل المقصود أنه زادها نشـــاطاً، وتجاذب أطرافها الممتدة بين رجالها، الذين كانوا بالكثرة والقوة.[٣]

ونود أن نشير هنا إلى أن الصلات العلمية لم تقتصر على رحيل بعض من ذكرنـــا مـــن العلماء من الأندلس إلى المغرب الأقصى، بل إننا نجد عدداً من علماء المغـــرب الأقصـــى قـــد رحلوا بدورهم إلى الأندلس خلال العهد المريني ومن هؤلاء العلماء:

---

[١] ابن الخطيب، **اللمحة البدرية**، مصدر سابق، ص ١٢٢.

[٢] ابن تاويت، **الوافي بالأدب العربي**، مرجع سابق، ج٢، ص٤٧٣.

[٣] المرجع ذاته، ج٢، ص ٤٧٤.

Scanned by CamScanner

١-أبو عبد الله بن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١هـ/١٣٧٩م): وهو أصلاً من تلسمان من أسرة المرازقة التلمسانيين، وقد عينه سلطان غرناطة أبو الحجاج يوسف خطيباً للمسجد الملكي بقصر الحمراء، وأستاذاً بالمدرسة النصرية بالعاصمة غرناطة.[١]

٢-عبد القادر بن سوار المحاربي (ت ٦٧٤هـ/١٣٦٢م): الذي سافر إلى غرناطة في منتصف عام ٧٥٧هـ/١٣٥٦م، وألقى فيها عدة محاضرات في الأدب العربي نالت نجاحاً كبيراً في الأوساط العلمية الأندلسية.[٢]

٣- أبو الحسن الأنصاري السبتي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) : الذي عينه أمير غرناطة محتسباً للعاصمة، ثم مقرئاً في مسجد الحمراء، وبقي في غرناطة حتى وفاته.[٣]

ولم تقتصر الصلات العلمية بين الأندلس والمغرب المريني على تبادل العلماء وإنما نجد مراسلات بين علماء البلدين وهنا يحضرنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي الذي أصبح " صاحب القلم الأعلى لهذا العهد بالمغرب"، في عهد السلطان أبي الحسن وأولاده أبي عنان وأبي سالم، وكانت له العديد من المراسلات مع لسان الدين ابن الخطيب،[٤] ومن جهة أخرى تراسل لسان الدين ابن الخطيب مع قاضي فاس محمد الفشتالي.[٥]

وتبادل علماء المغرب الأقصى والأندلس أيضاً الفتاوى، ومن أمثلة ذلك ما اجتهد به قاضي فاس عبد الله بن أحمد بن وشون في مسألة شائكة في الاستحقاق (نصيب من الأرض)، وقد وافقه أهل الفتوى بالأندلس على ذلك.[٦] وعدا ما ذكرنا فقد تبادل علماء العَدْوتين المؤلفات العلمية، ذلك أن أبا عبد الله محمد بن مرزوق عندما شرع بشرح كتاب الشفا للقاضي عياض بعث إلى الأندلس يطلب أمداح شعرائها لكتاب الشفا ليجعل ذلك مقدمة الشرح.[٧]

---

[١] ابن خلدون، **الرحلة**، مصدر سابق، ص ٥١. المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٣٨٨-٣٨٩. العبادي، **العلاقات الثقافية**، مرجع سابق، ص ص ١٩٨-٢٠١.

[٢] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج ٤، ص ١٢٨. العبادي، العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص ص ١٩٨-٢٠١. أحمد محمد الطوخي. **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٣٣٦.

[٣] العبادي، العلاقات الثقافية، مرجع سابق، ص ص ١٩٨-٢٠١. الطوخي، **مظاهر الحضارة**، مرجع سابق، ص ٣٣٦.

[٤] ابن الأحمر، **مستودع العلامة**، مصدر سابق، ص ص ٢١٣-٢١٧.

[٥] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٢، ص ص ١٨٨-١٨٩.

[٦] الونشريسي، **المعيار**، مصدر سابق. ج٩، ص ٥٨٩.

[٧] المصدر ذاته، ج١١، ص ١٤٣.

Scanned by CamScanner

وقبل أن ننهي الحديث عن الصلات العلمية بين الأندلس والمغرب الأقصى لا بد من الإشارة إلى الأجواء والظروف العلمية والسياسية التي جعلت علماء الأندلس يرحلون إلى المغرب الأقصى، ونستطيع أن نجمل ذلك بعدة عوامل :

١- تشجيع السلاطين المرينيين للعلماء القادمين إلى المغرب الأقصى. حيث عمل بعض هؤلاء في البلاط المريني كما ذكرنا سابقاً. واكتسب بهم السلاطين الأبهة والسمعة والظهور على منافسيهم النصريين والحفصيين.

٢- الظروف القاسية التي سيطرت على مملكة غرناطة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، حيث قلت الرحلات العلمية، وبرزت ظاهرة هجرة العلماء إلى المراكز العلمية في البلاد الإسلامية للبحث عن أجواء أفضل لممارسة النشاط العلمي، لذا احتضن المغرب الأقصى العديد من الوافدين من الأندلس الذين وجدوا الجو ملائماً لممارسة نشاطهم العلمي.[١]

٣- طمع بعض العلماء في المكافآت والوظائف بعد أن ذاع احتضان بلاط بني مرين لأمثالهم.

وتتضح لنا مما ذكرناه صورة عن التمازج العلمي والتبادل الثقافي بين المغرب الأقصى والأندلس في الفترة المرينية، وهو الأمر الذي كان مدار اهتمام الباحثين في تسليط الضوء على هذه الصلات التي رأوا فيها نموذجاً يحتذى به في تمتين الروابط الثقافية والتي هي عنصر هام من عناصر قوة الدولة إلى جانب الاستقرار السياسي.

ب- تونس :

بلغت الصلات العلمية بين المغرب الأقصى وتونس درجة كبيرة خلال العهد المريني، فقد تنوعت لتشمل تبادل الرحلات العلمية والإجازات، وتنقل بعض الطلبة من قطر لآخر لتلقي العلم، وقيام بعض العلماء بزيارات علمية أو الاستقرار في القطر الآخر، ومن جهتهم قام بعض علماء المغرب الأقصى باستغلال فرصة أداء فريضة الحج بإعطاء دروس علمية في تونس أو الاستقرار بها نهائياً.

وكان الرحالون قد أسهموا في تقوية هذه الصلات، ومن هؤلاء نذكر :

١-ابن رشيد السبتي : الذي بدأ رحلته في بداية عام ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م، وهو صاحب الرحلة المعنونة : "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة".

---

[١] المجاري، البرنامج، مصدر سابق. ص ٣٠.

Scanned by CamScanner

٢-العبدري : محمد بن محمد بن علي الحيحي : الذي بدأ رحلته عام ٦٨٨هـ/١٢٨٩م.[١]

فقد اتصل هذان الرحالتان وأمثالهما بعلماء تونس، وتبادلوا معهم الإفادات المختلفة قبل أن يشرعوا في تدوين رحلاتهم والتوجه إلى المشرق للحج وطلب العلم. ومما يلاحظ أن العبدري قد أعجب بالنهضة العلمية التونسية وعبر عن ذلك بقوله : "ولولا أني دخلتها لحكمت بأن العلم في أفق المغرب قد محي رسمه، وضاع حظه وقسمه، ولكن قضى الله بأن الأرض لا تخلو من قائم له بحجة، يرى سبيل الحق، ويوضح المحجة، وما من فن من فنون العلم إلا وجدت بتونس به قائماً، ولا مورد من موارد المعارف إلا رأيت بها حوله وارداً وقائماً، وبها من أهل الرواية والدراية عدد وافر..." [٢]. ولا شك أن كلام العبدري هذا يعدّ دليلاً على المكانة العلمية التي بلغتها تونس آنذاك حيث انتشرت فيها مختلف العلوم، وكان بها العديد من العلماء الذين أسهموا في المحافظة على العلم مما أثار إعجاب الرحالة العبدري فقدم شهادة منه على موقع تونس العلمي الرفيع مقارنة مع أقطار المغرب الإسلامي الأخرى آنذاك.

وتبادل علماء المغرب الأقصى وتونس الإجازات العلمية فيما بينهم، فقد كان بسبتة عدد من العلماء يروون بطريق الإجازة عن علماء تونس منهم : ابن الشاط : قاسم بن عبد الله بن محمد الأنصاري (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م)[٣]، وكذلك عبد المهيمن الحضرمي الذي سيرد ذكره.[٤]

كما تميزت العلاقات العلمية بين تونس والمغرب الأقصى بالرحلات الطلابية المتبادلة، ونذكر هنا اثنين من الطلبة كانا نزيلي تونس ثم رحلا إلى لقاء شيوخ المغرب :

١- الرصافي : أحمد بن عبد الله الأنصاري المرسي : نزيل تونس، وأصله من الأندلس، ولقي بالمغرب مجموعة من العلماء أمثال : أبي العباس العزفي اللخمي، ومالك بن المرحل، وأبي إسحاق إبراهيم بن أبي بكر الأنصاري التلمساني .[٥]

---

[١] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٤٤٣.

[٢] محمد بن علي بن أحمد العبدري (ت ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م) ، **الرحلة المغربية**، تحقيق محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، ١٩٦٨م، ص ٤٢.

[٣] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج٤، ص ص ٢٥٩-٢٦٠.

[٤] المصدر ذاته، ص ١٣. ابن فرحون، **الديباج المذهب**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٥٢.

[٥] خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم البلوي (٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨م)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، ج٢، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة (د.ت.)، ص ص ٩٥-٩٦. المجاري، **البرنامج**، مصدر سابق، ص ١٤٥. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٩٥-٩٦. عبد الوهاب بن منصور، **أعلام المغرب العربي**، ج٤، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٦م، ص ٢٨٥.

Scanned by CamScanner

٢- محمد بن جابر الوادي آشي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) : الذي رحل إلى المغرب مرتين كانت ثانيتهما عام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م، وأخذ العلم عن جماعة من علماء سبتة منهم : قاسم بن عبد الله بن الشاط سابق الذكر [١]، وكان هذا العالم نزيلاً على تونس فأصله أندلسي.

أما من جهة المغرب فقد رحل إلى تونس جماعة نذكر منهم :

١- أحمد بن محمد بن شعيب الجزنائي : الذي أخذ عن علماء تونس الطب والهيئة على يد الشيخ يعقوب الدارس كما ذكرنا سابقاً.[٢]

٢- محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي : الذي تحدث عنه ابن خلدون قائلاً : "وارتحل إلى تونس فلقي القاضي أبا إسحاق بن عبد الرفيع، والقاضي أبا عبد الله النفزاوي، وأهل طبقتهما، وأخذ عنهم وتفقه عليهم، ورجع إلى المغرب".[٣]

وهناك علماء مغاربة أقاموا في تونس، وتولوا تدريس بعض العلوم في أنحاء المدن التابعة للدولة الحفصية، ومن هؤلاء :

١-أبو سعيد بن تونارت الدكالي : الذي يقول عنه صاحب عنوان الدراية :" كان من المدرسين ببجاية، وحافظاً للفقه، محصلاً للمدونه، جيد الإلقاء، مليح التفهيم، حسن الإبتداء، والتتميم..... وكان أكثر اشتغاله بالمدونة".[٤]

٢- عبد الرحيم بن محمد اليزناسني الفاسي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) : ويقول عنه الغبريني نفسه : "ووصل إلى بجاية ... واشتهر بها، وعكف على التدريس، وكان محصلاً لمذهب مالك، ولأصول الفقه" [٥]، وقد رحل اليزناسني من بجاية إلى فاس وبقي فيها حتى وفاته.[٦]

---

[١] أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م)، **برنامج الوادي آشي**، تحقيق محمد محفوظ، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١٦٨.

[٢] ابن الخطيب، **الإحاطة**، مصدر سابق، مج١، ص ص ٢٧٢-٢٧٣. ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج١، ص ١٢٠.

[٣] ابن خلدون، **الرحلة**، مصدر سابق، ص ٦٨.

[٤] أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت ٧١٤ هـ/ ١٣١٤ م)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩م ، ص ٢٥٧. ولم يذكر هذا المصدر تاريخ وفاته واكتفى بقوله أنه من علماء القرن السابع الهجري.

[٥] الغبريني، **عنوان الدراية**، مصدر سابق، ص ٢٥٨. وذكره الغبريني باسم اليزناتي، ولكن ابن القاضي ذكر اسمه الصحيح، ولكنه سمى أباه محمد بدلاً من عمر. انظر : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤١٥. الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ٢٥٤. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

[٦] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق ج٢، ص٤١٥.

Scanned by CamScanner

٣- أبو إسحاق الحسناوي : إبراهيم بن عبد الحق التونسي (ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م)، الذي اشتغل بالتدريس في مدينة فاس [١]، ومن مشايخه أبو العباس أحمد بن موسى البطرني.[٢]

ولم يقتصر الأمر على العلماء المغاربة الذين أقاموا بمدن تونس، وساهموا في النشاط التعليمي فيها، بل إن المصادر التي بين أيدينا تشير إلى بعض العلماء المغاربة الذين زاروا تونس، وكان لهم فيها نشاط علمي.

وأول ما نشير إليه بهذا الصدد هو الحملة التي قام بها السلطان أبو الحسن المريني لتوحيد تونس مع المغربين الأوسط والأقصى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م،[٣] فقد اصطحب معه مجموعة من العلماء لم تسعفنا المصادر التي اطلعنا عليها ببيان عددهم، ولكن أحد المؤرخين المعاصرين للحملة ذكر أن أبا الحسن كان في معيته مجموعة كبيرة من أهل العلم وكان يلزمهم شهود مجلسه، وقد أقبل عليهم الطلبة ينهلون من علومهم المختلفة [٤].

ويبدو أن اصطحاب السلطان أبي الحسن لهؤلاء العلماء كان له هدف سياسي تمثل في أن نظامه الحكومي لا يناسب البلاد التي حاول ضمها ولذا كان يصعب عليه التصرف فيها مما جعله يصطحب معه من فاس وتلمسان اشهر الفقهاء والكتاب لتركيز سمعته بوصفه راعي الآداب والعلوم وحتى يدعم حضورهم نفوذه لدى أهالي إفريقيا [٥]. ولعل السلطان أبا الحسن بتصرفه هذا قد أراد أن يكسب أيضاً رضا الأهالي عنه حتى يستطيع فرض سيطرته على البلاد التونسية، ذلك أن مكانة العلماء في المجتمع كانت على العموم قوية، كما ذكرنا.

والمهم هنا هو ما كان لهؤلاء العلماء من لقاءات علمية خلال إقامتهم بتونس أثناء حملة أبي الحسن، وفي مقدمتها المجالس التي كان السلطان أبو الحسن المريني يعقدها بتونس، ويجتمع بها العلماء من مختلف أقطار المغرب الإسلامي، حيث تجري المحاورات العلمية وتكون فيها الفائدة مشتركة للعلماء المغاربة الذين اشتهروا بحفظهم الغزير، وعلماء تونس بمناقشاتهم.[٦]

وقام بعض علماء المغرب الأقصى بإلقاء دروس في تونس نشير هنا إلى بعضهم:

---

[١] النباهي، **المرقبة العليا**، مصدر سابق، ص ١٧٠.

[٢] التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤٦.

[٣] ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ٢٦٩.

[٤] ابن خلدون، **الرحلة**، مصدر سابق، ص ٢٠. ابن خلدون، **بغية الرواد**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٢.

[٥] روبار برنشفيك، **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر**، ترجمة حمادي الساحلي ، ط١، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص ١٩٨.

[٦] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٤٥٩.

Scanned by CamScanner

١- عبد المهيمن الحضرمي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) : الذي قام بالتدريس في تونس، وكان عبد الرحمن بن خلدون من بين الذين أخذوا عنه، وقد أخبر ابن خلدون نفسه عن ذلك بقوله : " لازمته وأخذت عنه – سماعاً وإجازة- الأمهات الست، وكتاب الموطأ، والسير لابن إسحاق، وكتاب ابن الصلاح في الحديث، وكتباً كثيرة، شذت عن حفظي".[١] والمعروف أن الحضرمي مات بالطاعون الشهير.

٢- أبو العباس الزواوي (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) : الذي أخذ عنه ابن خلدون أيضاً إذ قرأ عليه القرآن الكريم بالجامع الكبير (الزيتونة) القراءات السبع، من طريق الداني[٢]، وابن شويح[٣]، في ختمة لم يكملها، وسمع عليه عدة كتب، وأجازه بالإجازة العامة، وكان (الزواوي) يحضر من جهته مجلس الإمام السطي ويستفيد منه.[٤]

ولم يكن ابن خلدون هو الوحيد الذي أخذ عن الإمام السطي بل نجد العالم التونسي ابن عرفه قد أخذ عنه أيضاً، فقد قال عنه الرصاع :" .... لما قدم الشيخ السطي – رحمه الله – مع السلطان أبي الحسن، اجتمع به، وطلب منه أن يقرأ عليه الحوفي، فقال له : إني لا أجد محلاً للإقراء إلا في ساعة بين الظهر والعصر في باب جامع القصبة العلية، فكان الشيخ – رحمه الله– يبكر، ويجلس هنالك ينتظره" [٥]. أي أن ابن عرفه كان ينتظر السطي في وقت مبكر.

ومن هنا نلاحظ أصداء النشاط المغربي في هذه اللقاءات العلمية، حيث وجد المغاربة في علماء تونس أعلاماً يضيفون منهم إلى معارفهم في ميادين البحث والمناقشة، وقد وصف أحد المؤرخين المعاصرين مجالس أبي الحسن العلمية في تونس بقوله: "..... فظهر فقهاء المغرب

---

[١] ابن خلدون، **الرحلة**، مصدر سابق، ص ٢١.

[٢] هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، نسبة إلى دانية مدينة بشرق الأندلس، له كتاب : التيسير في القراءات السبع وغير ذلك من المؤلفات، ت سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م. ابن الجزري، **طبقات القراء**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٥٠٣-٥٠٥. المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٨٦.

[٣] هو محمد بن شريح بن أحمد بن محمد أبو عبد الله الإشبيلي، له كتاب : الكافي في القراءات، ت سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، ابن الجزري، **طبقات القراء**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٥٣. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٢٥٧.

[٤] ابن خلدون، **الرحلة**، مصدر سابق، ص ص ٢٠-٢١.

[٥] أبو عبد الله محمد الرصاع الأنصاري (ت ٨٩٤ هـ/ ١٤٨٨م)، **شرح حدود ابن عرفه الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية**، تحقيق محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، ط١، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م، ص ٦٨٩.

Scanned by CamScanner

في صحبة (أبي الحسن) على فقهاء تونس، لحفظهم كتاب (التهذيب) [١] عن ظهر قلب، وزعيم فقهاء المغرب – حينئذٍ- الرجل الصالح أبو عبد الله السطي... إلى أن جاءت نوبة الشيخ ابن عبد السلام، وعقد مجلسه بمحضر السلطان المذكور، ومن معه من الفقهاء والنحاة، والكتاب، والرؤساء، وتوجهت مطالبة فقهاء المغرب له، فكان ... على ما وصفه به من أرخ الواقع كأنه بحر تلاطمت أمواجه، فكان يقطعهم واحداً بعد آخر، وتلميذه ابن عرفه كذلك، إلى أن قال ولي الله المنصف : أبو عبد الله السطي للسلطان : يا علي، كذا يكون التحصيل، وكذا يقرأ الفقه، ولو لم يكن بتونس إلا هذا الإمام لكان بها كل خير!! فلا بد من ملازمة هذا لهذا المجلس، حتى ينتفع به أصحابنا وننتفع بطريقه" [٢].

ولعل في هذا النص ما يقطع أي شك في أن التحصيل العلمي كان الأساس الأول في تقديم العلماء وتوقيرهم، دون النظر إلى مواطنهم أو جنسياتهم، وهو أمر يحسب للمرينيين ويضاف إلى رصيدهم في حرصهم على توفير الأجواء المناسبة للعلماء، وإقامة الصلات الطيبة معهم مهما تباعدت الأقطار الإسلامية.

إن ما ذكرناه عن اثنين من شيوخ تونس كانا يحضران هذه المجالس العلمية وهما ابن عبد السلام، وتلميذه ابن عرفة ليس إلا إلحاحاً منا على ذكر بعض معطيات ونتائج اللقاءات المغربية – التونسية، وهي المعطيات والنتائج التي نتوقع أن يكون ما دوّنه التاريخ عنها ما هو إلا جزء يسير مما لم يدون، ولكنها مع ذلك تعد هامة لإلقاء الضوء على التواصل العلمي بين جزءين من بلاد المغرب الإسلامي في العهد المريني على حد قول بعض المؤرخين المحدثين.[٣]

ولعل الملاحظ في هذه الصلات العلمية بين المغرب الأقصى وتونس هو المناقشات المتنوعة التي كان يثيرها العلماء المغاربة مع بعض أعلام تونس والتي أشارت إلى بعضها المصادر التي أمكننا الاطلاع عليها. فقد دار بين أبي العباس القباب وابن عرفة نقاش حول منهجية تأليفه (ابن عرفه) للمختصر الفقهي، وإن كان أبو العباس الونشريسي ينكر حدوث ذلك

---

[١] هو عبارة عن ملخص للمدونة قام بتلخيصه أبو سعيد البراذعي عن مختصر المدونة الذي وضعه أبو زيد القيرواني. ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق، طبعة دار الأعلى، ص ٤٥٠. المجاري، **البرنامج**، مصدر سابق، ص ١٢٣.

[٢] المقري، **أزهار الرياض**، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٨.

[٣] المنوني، **حضارة المرينيين**، مرجع سابق، ص ٤٦٣.

Scanned by CamScanner

النقاش [١]، أما التنبكتي فقد عرض المسألة بشيء من التحفظ والحذر [٢]، ولكن هذا لاينفي إعجاب القباب بملكة العلماء التونسيين في التصرف والتحصيل.[٣]

ومن خلال حديثنا عن الصلات العلمية بين المغرب الأقصى وتونس نلحظ عدم تأثر هذه الصلات كثيراً بالأوضاع السياسية آنذاك بين بني حفص وبني مرين، ذلك أن التعاون العلمي بين الدولتين كان قائماً كما لاحظنا وهو الأمر الذي أثار انتباه المؤرخين المعاصرين للحكم المريني، ولما تميزت به هذه الصلات من شمولية في التبادل الفكري سواء بين العلماء أو الطلبة، مما أتاح الفرصة للمؤرخين لكي يلقوا الضوء على هذه الصلات، ويبرزوا حرص المرينيين على نشر العلم في بلاد المغرب الإسلامي كافة سعياً إلى توحيدها فكرياً رغم فشل محاولتهم لتوحيدها جغرافياً وسياسياً.

ج- الجزائر (المغرب الأوسط) :

تميزت الصلات الثقافية والعلمية بين المغرب الأقصى والجزائر [٤] عن غيرها من البلدان التي تحدثنا عنها، وذلك بعدم اقتصارها على تنقل وزيارات العلماء فحسب، بل شملت إنشاء المؤسسات التعليمية في الجزائر نفسها على يد المرينيين كما سنرى.

فقد عرف المغرب الأقصى بعض العلماء الذين وفدوا إليه من الجزائر، واستقروا فيه مدة من الزمن قبل أن يعودوا إلى بلادهم، أو يغادروه إلى بلدان أخرى، بعد أن أخذوا العلوم من مشائخه، كما تولى بعض العلماء الجزائريين التدريس في المغرب الأقصى، ولا يسعنا المقام لذكر نماذج كثيرة منهم، ولذلك نكتفي بالإشارة إلى بعضهم للبرهنة على ما ذهبنا إليه من قوة الصلات العلمية بين المغرب المريني والجزائر الزيانية:

١-ابن خميس : أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد (ت ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م)، كان شاعراً قوياً ومتصوفاً عميقاً، وكان بعض علماء المغرب قد اتهمه بالزندقة، فقد استدرجه بعض علماء فاس وأعلنوا على الناس زندقته وإلحاده لأنه لم يتبع مذهبهم ولا يرى في نظرهم

---

[١] المقري، **أزهار الرياض**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٥.

[٢] انظر : **النيل**، مصدر سابق، ص ١٠٣.

[٣] المقري، **أزهار الرياض**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٢.

[٤] لم تكن الدولة الزيانية ومقرها تلمسان تشمل سوى ما هو الآن المنطقة الواقعة غرب مدينة الجزائر، أما بجاية وقسنطينة وعنابة وغيرها من المدن الواقعة في شرق مدينة الجزائر فقد كانت تابعة للحفصيين. انظر الخارطة رقم (٤) خارطة دول المغرب الإسلامي خلال الحكم المريني.

Scanned by CamScanner

رأي الأشعرية[١]، ولعل هذا الموقف يفسر لنا مدى احتدام الآراء والأفكار حول بعض القضايا الفكرية بين علماء المغرب والأقصى والجزائر خلال العهد المريني. وقد توفي ابن خميس قتيلاً أثناء نكبة الوزير أبي عبد الله بن الحكيم في غرناطة.[٢]

٢- محمد بن محمد الندرومي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) : من كبار فقهاء المذهب المالكي، ولد ونشأ في بلدة ندرومة القريبة من تلمسان، وتلقى تعليمه في هذه المدينة حيث أخذ عن ابني الإمام، وعندما استولى السلطان أبو الحسن المريني على تلمسان سنة ٧٣٧هـ/١٣٣٦م، قربه إليه، وولاه قضاء عسكره، ثم قضاء كل من تلمسان وفاس.[٣]

٣- الأخوان أبو زيد عبد الرحمن (ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠ م)، وأبو موسى عيسى (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م)، وكانا يلقبان بابني الإمام (الإمام محمد بن عبد الله التلمساني) وارتحلا إلى المغرب الأقصى، واجتمعا بفاس ببعض العلماء : مثل السطي واليفرني وغيرهما[٤]. وأصبحت لهما مكانة مرموقة في المجتمع العلمي ولدى السلاطين.

٤- الشريف محمد الحسني التلمساني (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) : أحد أعلام المذهب المالكي، وأصبح فيما بعد إمامهم، ولد في قرية العلويين من أعمال تلمسان، وقد تعلم ونشأ بتلمسان، وتوجه إلى تونس طلباً للعلم، ونظراً لمكانته العلمية اختاره السلطان أبو عنان المريني لمجلسه العلمي في تلمسان، ثم رحل إلى فاس سنة ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م، وحبسه السلطان أبو عنان لمدة شهر، وأقصاه من مجلسه لأسباب ربما ترجع إلى الوشايات، ثم تراجع عن قراره، وأعاده إلى مجلسه مرة ثانية حتى وفاة السلطان سنة ٧٥٩هـ/١٣٥٧م، فعاد الشريف إلى تلمسان بعد استعادتها من قبل السلطان أبي حمو بن يوسف بن عبد الرحمن الزياني الذي قربه بدوره إليه،

---

[١] أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط١، ج٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص ٢٧٩.

[٢] العبدري، **الرحلة**، مصدر سابق، ج٣، ص ١٣. ابن خلدون، **بغية الرواد**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٠٩. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٣٤١. المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٢٧٧-٢٩٧. الحفناوي، **تعريف الخلف**، مرجع سابق، ج٢، ص ص ٣٧٥-٣٩٠. حاجيات، **أبو حمو الزياني**، مرجع سابق، ص ٥١.

[٣] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق. ج١، ص ٣٠٥. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ٤٠٥. الحفناوي، **تعريف الخلف**، مرجع سابق، ج١، ص ٤٩٨.

[٤] ابن خلدون، **الرحلة**، مصدر سابق. ص ص ٢٢، ٢٩، ٣٢. ابن خلدون، **بغية الرواد**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ١٣٠-١٣١. الحفناوي، **تعريف الخلف**، مرجع سابق، ج١، ص ص ١٠٩-١٢١. حاجيات، **أبو حمو الزياني**، مرجع سابق، ص ص ٤٤-٤٦.

Scanned by CamScanner

وزوجه ابنته، وبنى له مدرسة فانصرف لخدمة العلم حتى وفاته في تلمسان سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م.[١] ودراسة حياة الشريف التلمساني تعتبر من الأمثلة البارزة في علاقة بعض العلماء من السلاطين وعلاقة هؤلاء بالعلماء، فهي علاقة يبدو عليها الصعود والهبوط وعدم الاستقرار. ولكننا لا ندري بالضبط الظروف التي أغضبت السلطان المريني على الشريف التلمساني، وارضت عنه السلطان الزياني.

٥- أبو عثمان سعيد بن محمد العقباني (ت ٨١١ هـ/١٤٠٨م) : وهو إمام تلسمان، وعلامتها في وقته، ومن أكابر فقهاء المالكية في عصره، وقد تتلمذ على يد ابني الإمام سابقي الذكر، وكان متفنناً في العلوم، وله معرفة بالحساب، وتولى قضاء تلمسان وبجاية ووهران ومراكش وسلا.[٢] ومن هنا يبدو أن العقباني كان نموذجاً للعالم الذي لا ينتمي إلى قطر خاص.

وشهدت العلاقات بين المغرب الأقصى والجزائر خلال العهد المريني استقرار نخبة من العلماء الجزائريين نهائياً في المغرب، نذكر منهم :

١- إبراهيم بن أبي بكر أبو إسحاق التلمساني (ت ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) : وهو شاعر وأديب، وأحد فقهاء المذهب المالكي المشهورين في عصره، واستقر بسبته حتى وفاته [٣]. ولا نعرف أنه قد تولى وظيفة محددة للمرينيين.

٢- محمد بن أحمد بن عمر الدراج الفاسي (ت ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م) : ولد بتلمسان ونشأ بمدينة سبتة، وانتقل منها إلى فاس، وتم دراسته بها، وأصبح من المقربين للسلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني الذي ولاه قضاء سلا.[٤]

وهناك غير هؤلاء من علماء تلمسان الذين تعاملوا مع المرينيين في شتى الميادين ومنهم عائلة المرازقة وعائلة المقريين.

---

[١] الزركشي، **تاريخ الدولتين**، مصدر سابق، ص ١٥. ابن قنفذ، **الوفيات**، مصدر سابق، ص ٣٦٨. ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج٢، ص ٢٦٩. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق، ص ٣٣٤.

[٢] ابن فرحون، **الديباج المذهب**، مصدر سابق، ص ص ١٢٤-١٢٥. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ١٨٩-١٩٠. المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ٤٢٨.

[٣] المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق. ج٥، ص ١٢٠. الحفناوي، **تعريف الخلف**، مرجع سابق، ج١، ص ١٣. وانظر مؤلفاته في : عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين**، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٥.

[٤] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **الوافي بالوفيات**، باعتناء، س. ديدرينغ، ط٢، ج٢،نشر دار فرانز شتايز بفيسبادن. ١٩٧٤م، ص ١٤١. الوادي آشي، **البرنامج**، مصدر سابق، ص ١٣٠.

Scanned by CamScanner

ومن جهة أخرى نذكر أن عدداً من علماء المغرب قد رحل إلى الجزائر، واستقر بـــها، ومن هؤلاء :

١-إبراهيم بن حكم الكناني السلوي (ت ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م) : كان واسع الثقافـة ولـه نشـاط واضح في العلوم الإسلامية، والآداب العربية، وأصله من سلا، وأخذ شهرته فـي تلمسـان التي قدم إليها بعد عام ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م، وأخذ عن مجموعة من علمائها مثـل القـاضي محمد بن محمد المقري التلمساني الجد، وكانت وفاته بتلمسان [١]. ولا ندري إن كان قد تولـى الوظائف للزيانيين.

٢- محمد بن أبي البركات ابن السكاك العياضي المكناسـي (ت ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م) : ولـد بفاس، وقرأ بتلمسان على الأمام أبي عبد الله الشريف التلمساني والشيخ محمد بن إبراهيم الآبلي[٢] وتولى القضاء بسبتة، ولكنه رحل إلى الجزائر واستقر بتلمسان.

تميزت العلاقات العلمية بين المغرب الأقصى والجزائر بتلك المؤسسات التعليمية التـي بناها المرينيون في الجزائر وخصوصاً في تلمسان، مثل مدرسة ضريح أبي مدين والتـي بناهـا السلطان أبو الحسن المريني في منطقة العباد من تلمسان سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، ومسجد أبـي مدين في العباد نفسه من تلسمان أيضا، والذي شيده السلطان أبو الحسن المريني سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م ، وجامع القصبة، والجامع الكبير بتلمسان أيضا.[٣]

ونود أن نشير هنا إلى أن هذه المؤسسات التعليمية (وهـي مجـال بحثنـا) قـد بناهـا المرينيون عندما كان جزءاً من الجزائر (المغرب الأوسط) تحت حكمهم، ولا سيما تلمسان ومـا جاورها، فهي لا تمثل نمطاً من الصلات العلمية المتعارف عليها، ونقصد بها هنا صـلات بيـن طرفين، ولكننا ذكرناها لنعرف عمق الأثر التعليمي في العهد المرينـي فـي أرجـاء المغـرب الإسلامي آنذاك باعتبار هذه المؤسسات شاهداً على جهود المرينيين في هذا المجال.

---

[١] ابن القاضي، **درة الحجال**، مصدر سابق، ج١، ص ١٧٨. التنبكتي، **النيل**، مصـدر سـابق، ص ٤١. ابـن منصور، **أعلام المغرب**، مرجع سابق، ج١، ص ١٥.

[٢] مجهول، **بلغة الأمنية**، مصدر سابق، ص ص ٤٨-٤٩. التنبكتي، **النيل**، مصدر سابق، ص ص ٤٨١-٤٨٢. مخلوف، **شجرة النور**، مرجع سابق. ج١، ص ٢٥١.

[٣] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ص ٤٠٢-٤٠٤.

Scanned by CamScanner

د- المشرق الإسلامي :

يمكن القول إن العلاقات العلمية بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلامي لم تنقطع خلال العهد المريني بل ازدادت متانة، ويبدو أن سبب متانة العلاقات العلمية بين المشرق الإسلامي والمغرب الأقصى خلال الفترة المرينية هو الاهتمام بالحرمين الشريفين مكة والمدينة اللتين كانت لهما مكانة خاصة عند بعض سلاطين بني مرين إذ كانوا يهدون إلى الحرمين الهدايا النفيسة التي كان بعضها عبارة عن نسخ من القرآن الكريم. بالإضافة إلى أن علماء المغرب الأقصى قد استغلوا أداءهم لفريضة الحج وربطوا علاقاتهم مع العلماء بالمشرق. ونستطيع ملاحظة ذلك من خلال الرحلات العلمية المتبادلة بين المغرب والمشرق.

ومما ساعد على توطيد هذه الصلات قيام بعض علماء المشرق بالتوجه إلى المغرب الأقصى، ومن هؤلاء نذكر :

١- شمس الدين الأقشهري (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م) [١]: هو محمد بن أحمد بن أمين بن معاذ بن إبراهيم بن عبد الله الأقشهري نسبة إلى أقشهر بقونية التي ولد بها سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م. وقد أخذ العلم بالمغرب والأندلس على يد بعض العلماء، ويقول ابن حجر العسقلاني عن الأقشهري : " ورحل إلى مصر ثم إلى المغرب، فسمع من أبي جعفر بن الزبير بالأندلس، ومحمد بن محمد بن عيسى بن معنصر [٢] بفاس وغيرهما....".[٣]

٢- محمد الهادي بن أبي القاسم بن نفيس الشريف (كان حياً سنة ٧٦٠هـ/ ١٣٦٠م) : وكان عالماً أديباً حظي بمنزلة رفيعة عند العامة والخاصة في الدولة المرينية ولا سيما على عهد السلطان أبي سعيد الذي يقال إنه خرج لاستقباله بنفسه عند قدومه إلى المغرب من العراق وأكرمه وأجزل صلته.[٤]

٣- أبو عبد الله بن عبد المعطي وأولاده : فقد وفدوا على المغرب الأقصى في عهد السلطان أبي الحسن المريني، وهم من فقهاء مكة، وقد استقبلهم السلطان أبو الحسن وأكرم ضيافتهم، وأوسع لهم العطاء الجزيل.[٥] لكن صاحب المسند لم يشر إلى مناقشات علمية لهم في المغرب

---

[١] ابن حجر، **الدرر**، مصدر سابق، ج٣، ص٣٩٨.

[٢] انظر ترجمته في : ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٢١٥-٢١٦.

[٣] **الدرر**، مصدر سابق، ج٣، ص ٣٩٨. كحالة، **معجم المؤلفين**، مرجع سابق، ج٨، ص ٢٣٥.

[٤] الكتاني، **سلوة الأنفاس**، مرجع سابق، ج٣، ص ١٧.

[٥] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ١٢٠.

Scanned by CamScanner

الأقصى. ويبدو أن السلطان قد حاول الاستفادة من حضورهم نظراً للمكان المقدس الذي جاءوا منه.

٤- أبو الحسن بن فرحون : فقد وفد على المغرب الأقصى في عهد السلطان أبي الحسن المريني أيضاً، وهو من فقهاء المدينة المنورة، وقيل إنه قد صحبه عدد من أهل المدينة . وربما يكون في ذلك مبالغة ، ومهما كان الأمر فقد أكرم السلطان أبو الحسن وفادة هؤلاء، ويبدو أن اصطحاب أبي الحسن بن فرحون " لعدد كبير " من أهل المدينة يعد انتصاراً للسلطان لأن أهل المدينة فيما قيل ، كانوا يشككون في شرف أبي الحسن.[١] وربما يفسر ذلك حسن استقبال السلطان لهؤلاء وتقديره لهم ولغيرهم من الوفود، كما قد يفسر تقدير حكام بني مرين ودعمهم للعلماء من كافة الأقطار الإسلامية، وقد أشار إلى ذلك ابن مرزوق عند حديثه عن استقبالات هذا السلطان بقوله :" ... ومن الشام ومصر والعراق ....طوائف".[٢] ويدل استقبال السلطان المريني للعلماء على المنزلة الرفيعة التي كان يحظى بها علماء المشرق لدى السلطان، ومدى تشجيع السلاطين المرينيين للعلماء عموماً، ليس داخل المغرب فحسب، بل ومن غيره من البلدان، ولعل هذا يؤكد لنا أيضاً حرية تنقل العلماء المسلمين ، وعدم وجود المعوقات في وجوههم، مما عزز التبادل العلمي بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلامي.

ومن جهة أخرى قصد بعض علماء المغرب الأقصى مصر وغيرها من البلدان العربية المشرقية، وقد استقر آخرون في هذه البلدان، وأوردت المصادر أسماء بعض العلماء منهم :

١-محمد بن الحاج : صاحب كتاب (المدخل) سابق الذكر، فقد توفي في القاهرة سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م.[٣] وقد أشرنا إلى رأي العلماء فيه.

٢- شرف الدين الكركي[٤] (ت ٦٨٨ هـ/ ١٢٨٩م): ويبدو أنه كان من الشهرة العلمية بحيث انتهت إليه رياسة المالكية بالديار المصرية والشامية في ذلك الوقت.[٥]

---

[١] ابن مرزوق، **المسند**، مصدر سابق، ص ١٢٠.

[٢] المصدر ذاته.

[٣] ابن القاضي، الجذوة، مصدر سابق، ج١، ص ٥٢٨.

[٤] ولد هذا الشيخ بمدينة فاس ونشأ وتفقه بها قبل أن يرحل إلى مصر ومن ثم إلى الحجاز. وسمي بالكركي لأنه أقام بالكرك من مناطق الشام حتى صار ينسب إليها. ونود أن نشير هنا أن الكرك إحدى المدن الواقعة في جنوب الأردن اليوم. محب الدين محمد بن عمر بن محمد ابن رشيد السبتي (ت ٧٢١ هـ/ ١٣٢١م)، **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط١، ج٥، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص ص ٣٤٥-٣٤٦.

[٥] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق، ج٢، ص ٥٢٩.

Scanned by CamScanner

٣- أبو الحسين بن عبد الله بن أحمد بن أبي الربيع السبتي (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) [١]: الذي قدم إلى مصر، كان قد عاش في سبته ما يقارب النصف قرن وهو يدرس ويناظر حتى عُد عند بعض الكتاب أقدم النحاة السبتيين، وقد حضر مجالسه في سبتة العديد من العلماء : مثل ابن رشيد السبتي صاحب الرحلة سابق الذكر، وغيره من العلماء.[٢]

وأشار أحد الرحالة المعاصرين في رحلته إلى هذا العالم النحوي أثناء قدومه إلى مصر، قائلاً : " فلما وافيت مصر استصحبت معي إلى مسجدها الأعظم [٣]، .... أحد الفقراء ... يدلني على الطريق ... فبينما أنا .... أتطوف في المسجد الجامع رأيت الناس فيه حلقاً بعضها لإقراء القرآن، وبعضها للعلم.... فسلمت ودخلت الحلقة، وجلست وأنا لا أعرف الشيخ، فوجدته يتكلم في العربية، فأخذت معهم بطرف مما كانوا يتكلمون فيه، فالتفت إلي الشيخ، فقال : من أين قدومك ؟ قلت من المغرب، قال : أمن الإسكندرية ؟ قلت : من أبعد. فقال لي : فقل إذن من جوف المغرب. يعني من داخله.. قلت : نعم ، فقال : من أي بلاده ؟ قلت : من سبته. فكان أول ما فاتحني به أن قال : أيعيش سيدنا أبو الحسين ابن أبي الربيع؟ قلت : نعم . ثم قال لي : أقرأت عليه ؟ قلت : نعم . قال : وما قرأت عليه ؟ فقلت: ما يقرأ طلاب العلم والعربية، فاستفسرني، فقلت : قرأت الجمل والإيضاح ..." [٤].

ويمكن الاستدلال بهذا النص على المكانة العلمية التي بلغها بعض علماء المغرب الأقصى في المشرق حتى غدوا من المشهود لهم بدورهم في نشر العلم، وتطلع أبناء المشرق الإسلامي خاصة مصر للأخذ عنهم ، والتقاء علماء المغرب والمشرق مما ساهم في إثراء التبادل العلمي بين أطراف العالم الإسلامي.

٤-الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق الجزولي : وهو أحد علماء الحديث في المغرب، حيث رحل إلى المشرق الإسلامي وأقام فيه ما يقارب أربعين عاماً متنقلاً بين مكة والمدينة وبيت المقدس حيث التقى علماء هذه المدن ثم رجع إلى فاس وتوفي فيها.[٥]

---

[١] هو عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ، ويكنى أبا الحسن السبتي، وكان إمام العربية في وقته، وله العديد من المؤلفات منها : شرح الجمل والقوانين وغيرها. السيوطي، **بغية الوعاة**، مصدر سابق، ج٢، ص ١٢٥.

[٢] حجي، المدرسة النحوية الأندلسية. مرجع سابق، ص ٩١-٩٧.

[٣] يعني به، مسجد عمرو بن العاص.

[٤] ابن رشيد السبتي، **ملء العيبة**، ج٣. مصدر سابق، ص ص ١٠٨-١٠٩.

[٥] ابن القاضي، **الجذوة**، مصدر سابق. ج١، ص ٢١٧.

Scanned by CamScanner

٥-أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م) : وهو من أبرز علماء العهد المريني، الذين تلقوا العلم عن علماء مصر، وبلغ عدد الذين تتلمذ عليهم أكثر من أربعين عالماً [١]، وقد قابل المسندة فاطمة بنت محمد الفيومي البكري .[٢]

كما سجلت في هذا العهد عدة رحلات كتبها علماء مغاربة قصدوا المشرق ثم رجعوا منه. وهو الأمر الذي ساهم في توثيق الصلات بين المغرب والشرق. ومن هذه الرحلات:

١- رحلة ابن رشيد السبتي التي أشرنا إليها في عدة مناسبات . وكان ابن رشيد على اتصال وثيق بالحافظ الدمياطي وابن عساكر، وتتضمن رحلته مشاهداته وأخباره في مصر والشام والحجاز وعنوانها : " ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة ".[٣]

٢- رحلة ابن خلدون : الذي يعد من أشهر من رحل إلى مصر في العهد المريني فقد حل بها سنة ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، وخص الأزهر بنصيب وافر من نشاطه العلمي، حيث درّس فيه الحديث والفقه المالكي في بداية الأمر وأقبل عليه الناس بشكل كبير.[٤]

وبسط ابن خلدون على تلاميذه نظرياته في علم الاجتماع، والتاريخ، والعمران البشري ونشأة الدول ومراحلها، وعلوم اللغة والأدب وغير ذلك من الموضوعات التي عرضها في المقدمة.[٥]

وكان لنشاط ابن خلدون العلمي في الأزهر آثار في تفكير معاصريه من علماء مصر، فقد اعتمد عليه بعض أعلام الكتاب المسلمين في مصر والمعاصرين له، إذ اقتبسوا في كتاباتهم

---

[١] المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ص ٣٩٢-٣٩٥.

[٢] هي فاطمة بنت محمد بن محمد بن إسماعيل البكري، تعتبر من أفضل نساء عصرها في رواية الحديث، وقد سمعت من ابن علاق نسخة إبراهيم بن سعد، وسمع منها بمصر لسان الدين ابن الخطيب، وتدعى ست الفقهاء، وكانت وفاتها سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) . العسقلاني، **الدرر**، مصدر سابق، ج٣، ص٣٠٩. المقري، **نفح الطيب**، مصدر سابق، ج٥، ص ٣٩٥. عمر رضا كحالة، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م، ص ١٣٧.

[٣] يوسف الكتاني، " جامعة القرويين ودورها في التواصل العلمي بين الشعبين المغربي والمصري"، **مجلة دعوة الحق**، عدد ٢٩٣، الرباط، ١٩٩٢م، ص ١١٠.

[٤] عبد العزيز محمد الشفشاوي، **الأزهر جامعاً وجامعة**، ط١، مكتبة الأنجلو- المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ص ١٣٨-١٣٩.

[٥] المرجع ذاته، ص ١٣٩.

Scanned by CamScanner

من مقدمته وتاريخه، ومن هؤلاء المؤرخ أبو العباس أحمد القلقشندي.[١]

وعدا النشاط العلمي لابن خلدون في الجامع الأزهر فقد تولى التدريس بمدارس القاهرة مثل : المدرسة القمحية، وغيرها، إلى جانب قيامه بالتدريس تولى قضاء المالكية.[٢]

٣- رحلة ابن بطوطة : المسماة :" تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". وقد ذكر فيها عدداً من العلماء الذين وجدهم في القاهرة.[٣] وضمنها مشاهداته وأخباره عن مساجد مصر والمسجد الأقصى، وجامع بني أمية الكبير في دمشق، وحلقات الدرس فيه، وفقهاء مدينة دمشق، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، والمسجد الحرام بمكة. وتمثل هذه الرحلة نموذجاً للرحالة الذي ساهم بزيارات علمية لبقاع كثيرة من بلدان العالم الإسلامي خلال العهد المدروس، ومن ثمة توثيق الصلات بين المغرب والمشرق[٤].

بالإضافة إلى ذلك ينبغي الإشارة إلى البعثة العلمية الدائمة للمغرب في مصر، وهي رواق المغاربة بالأزهر الشريف الذي كان مقر العلماء والطلبة القادمين من بلاد المغرب عموماً، ومنهم طلبة المغرب الأقصى.

وهذا الرواق قد جدد على يد الملك الأشرف أبي النصر قايتباي سنة ٨٨١ هـ/ ١٤٧٦م، واحتوى على مجموعة قيمة من الكتب بلغت في تقدير بعض الأساتذة زهاء ثمانمائة ألف مجلد(؟!)، منها عدد من المخطوطات التي تعالج قضايا الفقه المالكي، وفنون العلم، والتاريخ العام والخاص، وقد أصبح الرواق بمثابة بعثة علمية ثقافية اجتماعية للجالية المغربية، وأصبحت له إدارة خاصة ترعى شؤونه، وتشرف على مرافقه، وكان يتبرع له الأغنياء المغاربة، وله أوقاف كثيرة يستحقها كل مجاور مغربي، وكان شيخ الأزهر يشرف من الناحية الأدبية على ما يجري داخل الرواق الذي ظل حلقة اتصال وثيقة بين علماء المغرب والمشرق.[٥]

---

[١] الشفشاوي، **الأزهر**، مرجع سابق، ص ١٤٠.

[٢] الكتاني، جامعة القرويين ودورها في التواصل العلمي بين الشعبين المغربي والمصري، مرجع سابق، ص ١١٠.

[٣] ابن بطوطة، **تحفة النظار**، مصدر سابق، ج١، ص ص ٣٢-٣٣.

[٤] وهناك رحلات أخرى تعود إلى هذا العهد، منها الرحلة المسماة (مستفاد الرحلة والاغتراب) للقاسم بن يوسف التجيبي السبتي، ولم يعثر منها سوى على الجزء الثاني (وهي في ثلاثة أجزاء) وقد حققه عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٩، (؟) وقد توفي التجيبي سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م.

[٥] الكتاني، جامعة القرويين ودورها في التواصل العلمي بين الشعبين المغربي والمصري، مرجع سابق، ص٩. سعاد ماهر محمد ، **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج١، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧١م، ص ٢١٧.

Scanned by CamScanner

وعدا ذلك فقد ساهمت بعض الأسر المغربية في توثيق الروابط العلمية بين المشرق والمغرب أيضاً حيث نجد بعض الأسر المغربية المتميزة بالعلم تهاجر بأكملها إلى القاهرة، كأسرة النقاش الدكالي [١].

ونستدل على عمق الصلات بين المشرق والمغرب المريني أيضاً بما ذكره ابن خلدون أن السلاطين المرينيين اعتادوا أن يكتبوا رسالة نبوية في مناسبات مختلفة ويبعثوها إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانت تقرأ بالقرب من قبره [٢] .

ومن جهة أخرى فإن ابن خلدون نفسه قد انتهز فرصة سفر وفد من قبل الظاهر برقوق سلطان مصر حاملاً (الوفد) بعض رسائل وهدايا إلى السلطان أبي الحسن المريني فأرسل مع الوفد نسخة من كتابه " العبر" وأوقفها على خزانة الكتب في جامع القرويين في فاس وقد أهداها إلى السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن، وكان ذلك سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦م،وهي تلك النسخة المعروفة بالنسخة الفارسية نسبة إلى السلطان أبي فارس المريني [٣].

كما تميزت صلة سلاطين بني مرين وخاصة السلطان أبا الحسن المريني مع الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام والحجاز بتبادل النفائس وإهداء حرم مكة والمدينة المنورة والقدس مصاحف كبرى اعتنوا بها عناية خاصة وفيها ما كتبوه بأيديهم وجمعوا الوراقين لتنقيحها وتهذيبها [٤].

ولكن الصلات العلمية بين المغرب الأقصى والمشرق الإسلامي لم تقتصر على مصر كما لاحظنا سيما عند الرحالة ابن رشيد وابن بطوطة وابن خلدون. وتحفل كتب التراجم بالإشارات إلى تنقل العلماء مثل ابن مرزوق التلمساني الذي التقى في المدينة المنورة العديد من العلماء وأخذ منهم، ومن هؤلاء عز الدين أبو محمد الحسن بن علي بن إسماعيل الواسطي (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠م)[٥]. كما التقى ابن مرزوق من علماء مكة بأبي عبد الله عيسى بن عبد الله

---

[١] الكتاني، جامعة القرويين ودورها في التواصل العلمي بين الشعبين المغربي والمصري، مرجع سابق، ص ٩.

[٢] ابن خلدون، **المقدمة**، مصدر سابق. مطبعة دار نهضة مصر، ج١، ص ٨٦.

[٣] المصدر ذاته، ص ١٠٨.

[٤] ابن خلدون، **العبر**، مصدر سابق، ج٧، ص ص ٣١٤-٣١٥. التازي، **جامع القرويين**، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٥٠.

[٥] العسقلاني، **الدرر**، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٤٩.

Scanned by CamScanner

المكي (ت ٧٤٠هـ/١٣٤٠م).[١] والتقى في بيت المقدس بنور الدين محمد بن الصائغ (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)[٢] .

وخلاصة القول أن الرحلة في طلب العلم بين علماء المشرق والمغرب الأقصى قد حققت تبادلاً ثقافياً، وتعاوناً فكرياً مما ساهم في توثيق التعاون العلمي بين البلدان العربية الإسلامية.

---

[١] تقي‌الدين محمد بن فهد المكي (٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨ م) ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ص ٤٣٤.

[٢] الصفدي، **الوافي بالوفيات**، مصدر سابق، ج٣، ص ص ٣٧٥-٣٧٨.

Scanned by CamScanner

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نود هنا إبراز أهمها، فقد مثل بناء المدارس إيذاناً ببدء مرحلة جديدة على صعيد الحركة العلمية في العهد المريني والذي يبدو أنه جاء تعويضاً عما فقده المسلمون في الأندلس والذي كان سقوطها باعثاً قوياً على إنشاء هذه المدارس.

أظهرت الدراسة أن هذه المدارس قد أنشئت – في الغالب– في فترة قصيرة لا تتعدى ستاً وثلاثين سنة، ويمثل ذلك إصرار بعض السلاطين المرينيين على نشر المؤسسات التعليمية رغم الصعاب المالية والسياسية التي واجهت دولتهم.

ورغم نجاح المرينيين في بناء المدارس إلا أن سياستهم التعليمية قد آلت إلى تبعيتها للدولة منذ منتصف القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، مما أدى إلى فقدان مهنة التدريس بتلك المدارس الرسمية مستواها التعليمي والعلمي وجعل التجربة عرضة للنقد من قبل بعض العلماء آنذاك.

كان لتعدد المؤسسات المرينية التعليمية في هذا العهد دور بارز في إثراء المعارف والعلوم، وتنشيط الحركة العلمية مع الاهتمام ببعض الجوانب التطبيقية خاصة المعارف الطبية والفلكية ونحوها، ولم تجد بعض العلوم مثل الفلسفة اهتماماً بسبب تشدد الفقهاء المالكية، واتهام من يتعاطى الفلسفة بالزندقة، لذا خشي بعض العلماء مثل ابن خلدون، على أنفسهم من هذه التهمة الخطيرة.

وعلى أية حال فقد كان للمؤسسات التعليمية أثرها الواضح في استقرار أسس الهوية العربية الإسلامية، وأهمها سيادة اللغة والثقافة العربية .

ونلاحظ أن هناك تنوعاً في الموارد المالية للمؤسسات التعليمية، وإن كانت الأحباس هي أهمها على الإطلاق، وقد كان لهذا التنوع أثره في تمكين هذه المؤسسات من أن تنهض بدورها، وتنشط في أداء رسالتها التعليمية وبالتالي الثقافية وحتى السياسية في الحياة العامة.

وقد لاحظنا أنه خلال الفترة موضوع البحث شاعت الألقاب العلمية للمدرسين الذين كانوا يتمتعون غالباً بمكانة اجتماعية مرموقة، وهي ألقاب كانت تتحدد بحسب مؤهلاتهم ودرجة تحصيلهم في معظم الأحيان.

وتوصلت الدراسة إلى أن الرواية كانت أسلوباً متميزاً من أساليب التدريس في هذه المرحلة، فالرواية مثلت النظام الأساسي الذي قام عليه التعليم آنذاك، وكانت تعتمد على الحفظ، فيما كانت الدراية و المناقشة والاعتماد على المعالجة العقلية والمساءلة بعيدة عن الاهتمام.

Scanned by CamScanner

ويستدل من المحاورات والمناظرات التي كانت تعقد بين العلماء على مدى التطور الفكري (رغم ما قلناه من قلة الاهتمام بالدراية) الذي وصل إليه العلماء في المغرب، كما تبرز قدرتهم بالرد على مخالفيهم، وخاصة من أتباع الديانات الأخرى.

وأظهرت الدراسة كذلك مدى اهتمام المرينيين بالقرآن الكريم حفظاً وتدريساً. فقد نشطت حركة التفسير وبرزت ثلة من المفسرين الكبار، مثل البقال والسكاك، فقد عرف عنهم أنهم كانوا يؤثرون التفسير بالمأثور تأسياً بمذهب أهل السنة، مخالفين بذلك نهج الموحدين الذين رأوا في مذهب المعتزلة مذهبهم في التفسير.

كما اهتم المرينيون بعلم الحديث اهتماماً بالغاً، بيد أن اهتمامهم هذا كان أوضح في بدايات عهدهم منه في آخره، فقد خالفوا المشارقة في نظرتهم إلى أصح كتب الأحاديث، فقدم علماء بني مرين صحيح مسلم على صحيح البخاري، وكان الثالث في الترتيب عندهم هو الموطأ للإمام مالك، ولعل تقديم صحيح مسلم على صحيح البخاري إنما يعود لمحاولتهم التميز عن المشرقيين من جهة، ولكون صحيح مسلم أكثر انتشاراً في بلادهم، وأكثر تداولاً كذلك بين علمائهم وفي مكتباتهم، كما كان أقل حجماً وأسهل تناولاً.

أما الفقه فقد امتاز عندهم بكونه علماً واقعياً وعملياً إذا صح التعبير، فقد تدخل الفقهاء في الشعائر والأحوال الشخصية والمعاملات، فكانت الحاجة إلى الفقه أكثر من سواه، الأمر الذي يفسر اهتمام غالبية العلماء به وإيثارهم له.

وقد بينت الدراسة المكانة المرموقة للعلماء والوزن السياسي لهم، إذ تولوا بعض المناصب الهامة منها السياسية والتشريعية والقيادية، وكان حرص السلاطين على اختيارهم وإرضائهم كبيراً إذ أن مخالفتهم كانت تعني – أحياناً – أنهم قد يدفعون ملكهم ثمناً لها، وربما حياتهم أيضاً.

وكان للمؤسسات التعليمية، ومنها الزوايا خاصة، دور في الناحية العسكرية بما تملك من قوة الدعوة إلى الجهاد، حيث كان للزوايا بالذات تأثيرها في الحض على الجهاد، وتوعية أفراد المجتمع بالأخطار الخارجية المحيطة، وكان أشياخ الصوفية وكذلك العلماء على رأس المتطوعين للقتال ضد المعتدين.

أما بخصوص الصلات العلمية والرحلات المتبادلة بين المرينيين وجيرانهم أو بينهم وبين المشارقة فقد كشفت الدراسة عن حرص المرينيين على توحيد بلاد المغرب الإسلامي سياسياً وحضارياً بالاعتماد على مؤسساتهم التعليمية من جهة والتقرب من العلماء في المنطقة من جهة أخرى.

Scanned by CamScanner

وعلى العموم فقد ظهر لنا أن المرينيين حاولوا جاهدين لملمة شتات المسلمين للنهوض بهم من جديد بعد الكوارث التي أصابتهم في الأندلس والمشرق الإسلامي على حد سواء..... وربما يسجل لهم التاريخ على الأقل في هذا المجال فضل المحاولة والمحافظة على جزء من تراث الأمة وهويتها العربية الإسلامية أمام المد الصليبي في الجهة الغربية من البحر الأبيض المتوسط.

لذا فإن الدراسة توصي، بالمزيد من البحث في تجربة بني مرين التعليمية للوصول إلى نتائج أكثر دقة وأكثر علمية.

Scanned by CamScanner

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

أ- المخطوطه

ب- المطبوعة

ثانياً : المراجع باللغة العربية

أ- الكتب

ب- الرسائل الجامعية غير المنشورة

ج- الموسوعات

ثالثاً : البحوث والمقالات باللغة العربية

رابعاً : المراجع باللغة الأجنبية

خامساً : البحوث والمقالات باللغة الأجنبية

Scanned by CamScanner

المصادر والمراجع*

أولاً : المصادر العربية :

أ- المخطوطه :

-ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد بن مسعود (ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م):

١- **روضة الأعلام بما للعربية من مكانة في دول الإسلام**، المجمع العلمي العراقي، بغداد، رقم ٦٧٢٥.

- الدكالي، محمد بن علي السلوي (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م):

٢-**الإتحاف الوجيز بأخبار العدوتين لمولانا عبد العزيز**، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، شريط رقم ٣٦١.

-الكناني، أبو عبد الله محمد بن برهان الدين بن سعد الله (ت ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م):

٣- **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، عمان، شريط رقم ١٣٩.

ب- المطبوعة :

-ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد (ت ٨١٠هـ / ١٤٠٧م):

٤- **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

٥- **روضة النسرين في دولة بني مرين**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩١م.

٦-**مستودع العلامة ومستبدع العلامة**، تحقيق محمد التركي، التونسي، ومراجعة محمد بن تاويت التطواني، منشورات كلية الآداب والعلوم السياسية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٣٣م.

٧-**نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٧م.

---

* رتبنا المصادر والمراجع حسب أسماء المؤلفين أبجديا ورقمنا عناوين المؤلفات بأرقام متسلسلة بما في ذلك البحوث والمقالات العربية والأجنبية.

Scanned by CamScanner

- ابن الأزرق، محمد بن علي بن محمد بن مسعود (ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م):

٨-**بدائع السلك في طبائع الملك**، تحقيق علي سامي النشار، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م.

- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي، (ت ٦٨٨هـ/ ١٢٦٩م):

٩- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق نزر رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.

-الأنصاري، محمد بن القاسم السبتي (كان حياً سنة ٨٢٥ هـ/ ١٤١٢م):

١٠-**اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٩م.

- البادسي، عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد (ت ٧٢٢ هـ/ ١٣٢٢م):

١١- **المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف**، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٢م.

-ابن بطوطة، محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧ م):

١٢-**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، حلب، سورية، (د.ت.).

-البلاذري، أحمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):

١٣-**فتوح البلدان**، تحقيق عبد الله أنيس الطبع وعمر أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٧م.

-البلوي، خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم (ت ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨م):

١٤- **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تحقيق الحسن السائح، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، (د.ت.).

-البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م):

١٥- **مقتبس الأنساب في معرفة الأصحاب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧١م.

Scanned by CamScanner

-التادلي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عب الرحمن المعروف بـــابن الزيـــات (ت ٦٢٧هـــ/ ١٢٢٩م).:

١٦- **التشوف إلى رجال التصوف**، تصحيح أدولف فور، مطبوعـــات إفريقيـا الشمالية الفنية، الرباط، ١٩٥٨م.

-ابن تغري بردي، جمال الدين بن يوسف الأتابكي القاهري، (ت ٨٧٤ هـــ/ ١٤٧٠م)

١٧- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمـد حسـين شـمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

-التنبكتي، أحمد بابا (ت ١٠٣٦هـــ/ ١٦٢٦م):

١٨- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم عبد الحميد عبـــد الله الهرامـــة، ط١، منشورات كلية الدعوة الإســـلامية، طرابلـس، الجماهيريـة العربيـة الليبيـة الاشتراكية العظمى، ١٩٨٩م.

-التهانوي، محمد علي الفاروقي (ت بعد ١١٥٨ هـــ/ ١٧٤٥م):

١٩-**كشاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع، المؤسســـة المصريـة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣م.

-الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت ٨٧٥هـــ/ ١٤٧٠م):

٢٠-**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق أبو محمد الغماري الإدريســـي الحسني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

-ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٢٣هـــ/ ١٤٢٠م):

٢١-**غاية النهاية في طبقات القراء**، نشره، ج. برجستراسر، ط٢، دار الكتـــب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م.

-الجزنائي، علي (ت ٧٦٦ هـــ/ ١٣٦٤م):

٢٢-**جنى زهر الآس في بناء مدينة فاس**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٧م.

-الجيلاني، محي الدين أبو محمد عبد القادر بن موسى (ت ٥٦١هـــ/ ١١٦٥م):

٢٣-**الفتح الرباني والفيض الرحماني**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القـاهرة، ١٩٦٠م.

-ابن الحاج، إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري (ت ٧٦٨هـــ/ ١٣٣٦م):

Scanned by CamScanner

٢٤-**فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى منطقة قسنطينة والزاب**، تحقيق محمد بن شقرون، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

-ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت ٧٣٧ هـ/ ١٣٣٦م):

٢٥-**المدخل إلى تنميه الأعمال بتحسين النيات**، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، ١٩٢٩م.

-حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله التركي (ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٦م):

٢٦- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ط٣، طهران، ١٩٥٨م.

-ابن حجر شهاب الدين أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):

٢٧-**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط٢، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢٨-**فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

- ابن حزم، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م):

٢٩- **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧١م.

-الحضرمي، محمد بن أبي بكر، (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م):

٣٠- **السلسل العذب والمنهل الأحلى**، تحقيق محمد الفاسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، م١٠، ج١، القاهرة، ١٩٦٤م.

- الحميري، محمد عبد المنعم (ت ٧١٠ هـ/ ١٣١٠م):

٣١-**الروض المعطار في خبر الأخبار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م.

- ابن الخطيب، لسان الدين بن محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م):

٣٢- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٧٣م.

Scanned by CamScanner

٣٣- **أوصاف الناس في التواريخ والصلات**، تحقيق محمد كمال شبانة، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، ١٩٧٧م.

٣٤- **اللمحة البدرية في الدولة النصرية**، ط٢، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

٣٥- **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث، المحمدية، ١٩٧٧م.

٣٦- **نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب**، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة،(د.ت.).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م):

٣٧- **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً**، نشر دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٧.

٣٨- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

٣٩- **مقدمة ابن خلدون**، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت، لبنان، (د.ت.).

٤٠- **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط٣، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة، ١٩٧٩م.

-ابن خلدون، يحيى بن أبي بكر محمد (ت ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨م):

٤١- **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، ١٩٨٠م.

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ/ ١٢٨٢م):

٤٢- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان. ١٩٦٩م.

- ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم القيرواني (ت ١١١٠ هـ/ ١٦٩٨م):

٤٣- **المؤنس في ذكر بلاد إفريقية وتونس**، ط٣، دار المسيرة للصحافة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

Scanned by CamScanner

- ابن رشيد، محب الدين محمد بن عمر بن محمد السبتي، (ت ٧٢١ هـ/ ١٣٢١م):

٤٤- **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

٤٥- الرصاع، أبو عبد الله محمد الأنصاري (ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م):

٤٥- **شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية**، تحقيق محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.

- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م):

٤٦- **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٤م.

- ابن زبير، أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم (ت ٧٠٨ هـ/ ١٣٠٨م):

٤٧- **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ط١، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

-الزجاجي، أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، (ت ٣٣٧ هـ/ ٩٤٨م):

٤٨- **كتاب الجمل في النحو**، تحقيق توفيق الحمد، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الأمل، إربد، الأردن، ١٩٨٨م.

-الزجالي، أبو يحيى عبد الله بن أحمد القرطبي (٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م):

٤٩- **أمثال العوام في الأندلس**، تحقيق محمد بن شريفة، فاس، مطبعة محمد الخامس، ١٩٧١م.

-ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م):

٥٠-**الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،١٩٧٢م.

٥١- **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.

Scanned by CamScanner

- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي، (ت ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م):

٥٢ - **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق محمد ماضور، ط٢، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٦٦م.

- الزرنوجي، برهان الدين (ت ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣م):

٥٣- **تعليم المتعلم طريق التعلم**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد ،مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦م.

-السبتي، القاضي عياض بن موسى بن عياض، (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م):

٥٤- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٦م.

- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، (ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٦م):

٥٥- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ت.).

- السراج، محمد بن محمد الأندلسي، (ت ١١٤٩ هـ/ ١٧٣٦م):

٥٦- **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر، (د.ت.).

- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد (ت ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م):

٥٧- **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م.

- السمعاني، أبو سعد عبد الكريم محمد (ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م):

٥٨- **الأنساب**، تقديم محمد أحمد علاق، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م.

- السندي، الإمام أبي الحسن الحنفي، (ت ١١٣٨ هـ/ ١٧٢٥م):

٥٩- **سنن ابن ماجة**، تحقيق خليل مأمون شيحة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

Scanned by CamScanner

٦٠- **بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، القاهرة ، ١٩٦٤م.

-الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، (ت ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٨م):

٦١- **الموافقات**، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار عفان للنشر والتوزيع، الخبر، العقربية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٧م.

- الشاطبي، القاسم بن فيرة بن خلف (ت ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م):

٦٢- **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، تحقيق علي محمد الضباع، مطبعة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، مصر ، ١٩٣٧م.

-أبو شامة، شهاب الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي (ت ٦٩٥ هـ/١٢٩٥م):

٦٣- **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع**، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة، مصر، ١٩٧٨م.

- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤م):

٦٤- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، تحقيق حسين بن عبد الله العمري، ط١، دار الفكر، دمشق، سوريا، ودار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

- الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر، (ت ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م):

٦٥- **كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، نشر السيد الباز العريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٦م.

-ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد (ت ٥٩٤ هـ/ ١١٩٧م):

٦٦- **المن بالإمامة : تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين**، تحقيق عبد الهادي التازي، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

- الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن أيبك (ت ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٢م):

٦٧- **كتاب الوافي بالوفيات**، باعتناء س. ريدرينغ، ط٢، نشر فرانز شتاير بفيسبادن، ١٩٧٤م.

- ابن أبي الضياف، أحمد (ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م):

Scanned by CamScanner

٦٨- **إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٦م.

- طاش كبرى زادة،عصام الدين أبو الخير أحمد مصطفى (٩٦٨ هـ/ ١٥٦٠م):

٦٩- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**، تحقيق شعبان خليفة، القاهرة، ١٩٦٣م.

- الطواح، عبد الواحد محمد (ت ٦٧٣ هـ/ ١٢٧٤م):

٧٠- **سبك المقال لفك العقال: تراجم وأعلام من القرنين السابع والثامن الهجريين**، تحقيق محمد مسعود جبران، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٥م.

- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن حبيب القرشي، (ت ٢٥٧ هـ/ ٨٧٠م):

٧١- **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق محمد الجيوي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- ابن عبد الملك المراكشي، أبي عبد الله بن محمد الأنصاري الأوسى (ت ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م)

٧٢- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق محمد بن شريفة، مطبعة المعارف الحديثة، الرباط، ١٩٨٤م.

- العبدري، محمد بن علي بن أحمد (ت ٦٨٩ هـ/ ١٢٩٠م):

٧٣- **الرحلة المغربية**، تحقيق محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، ١٩٦٨م.

- ابن عسكر، محمد الحسن الشفشاوي، (ت ٩٨٦ هـ ١٥٧٨م):

٧٤- **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م.

- ابن العماد، عبد الحي الحنبلي، (ت ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦م):

٧٥- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط٢، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

- ابن غازي، محمد بن أحمد بن محمد العثماني المكناسي (ت ٩١٩هـ/ ١٥١٣م):

Scanned by CamScanner

٧٦- **الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون**، المطبعة الملكيـــة، الربـــاط، ١٩٦٤م.

- الغبريني، أحمد بن أحمد بن عبد الله (ت ٧١٤ هـ/ ١٣١٤م):

٧٧- **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقـيق عادل نويهض، منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٩م.

- الغزالي، أبو حامد بن محمد الغزالي، (ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١م):

٧٨- **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت.).

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المدني (ت ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦م):

٧٩- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق محمد الأحمـــدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م.

- ابن القاضي، أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م):

٨٠- **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فـــاس**، دار المنصـــور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

٨١- **درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق محمد الأحمدي أبـــو النـــور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة تونس، (د.ت.).

٨٢- **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**، تحقيق محمد حجي، مطبوعـــات دار الغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م.

- القرافي، بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر، (ت ٩٦٤هـ/ ١٥٥٦م):

٨٣- **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق أحمد الشتيوي، ط١، دار الغـــرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، (ت ٦٨٤ هـ/ ١٢٨٥م):

٨٤- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

- القلقشندي، أبي العباس أحمد بن علي، (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م):

Scanned by CamScanner

٨٥- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م.

- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد الخطيب القسنطيني (ت ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧م):

٨٦- **أنس الفقير وعز الحقير**، نشر وتصحيح محمد الفاسي، وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٦٥م.

٨٧- **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.

٨٨- **الوفيات**، تحقيق عادل نويهض، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧١م.

-الكومي، علي بن يوسف الحكيم، (ت بعد ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م):

٨٩- **الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة**، تحقيق حسين مؤنس، ط١، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٠م.

- المالكي، عبد الله أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م):

٩٠- **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، تحقيق بشير البكوش، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

-المجاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٨٦٢هـ/ ١٤٥٧م):

٩١- **برنامج المجاري**، تحقيق محمد أبو الأجفان، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

-مجهول، مؤلف:

٩٢- **بلغة الأمنية ومقصد اللبيب فيمن كان بثغر سبتة في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٤م.

- المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩م):

٩٣- **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، ١٩٤٩م.

Scanned by CamScanner

- ابن مرزوق، محمد التلمساني (ت ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م):

٩٤- **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٧م.

- المغراوي، احمد بن أبي جمعة (ت ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤م):

٩٥- **جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآباء الصبيان**، تحقيق أحمد جلوي البدوي ورابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م):

٩٦- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، ١٩٨٨م.

- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م):

٩٧- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مكتبة الآداب ، القاهرة، (د.ت.).

- المكي، تقي الدين محمد بن فهد (ت ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨م):

٩٨- **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م.

- الملزوزي، أبو فارس عبد العزيز بن عبد الواحد (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م):

٩٩- **نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك**، المطبعة الملكية الرباط، ١٩٦٣م.

- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١م):

١٠٠- **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د.ت.).

- النباهي، أبو الحسن بن عبد الله المالقي الأندلسي(ت ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م):

١٠١- **المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٤م.

- النووي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف (ت ٦٧٧ هـ/ ١٢٧٨م):

Scanned by CamScanner

١٠٢- **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير**، تحقيق صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

- الوادي آشي، أبو عبد الله بن جابر (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م):

١٠٣- **برنامج الوادي آشي**، تحقيق محمد محفوظ، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٢م.

-الوزان، الحسن بن محمد الزياتي الفاسي، المعروف بليون الإفريقي (ت ٩٥٦ هـ/ ١٥٤٩م):

١٠٤- **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت،١٩٨٣م.

-الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨م):

١٠٥ - **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق محمد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م.

١٠٦- **وفيات الونشريسي**، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٦م.

Scanned by CamScanner

ثانياً : المراجع العربية :

أ- الكتب :

-أحمد، مصطفى أبو ضيف:

١٠٧-**أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين**، ط١، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٢م.

-إسماعيل، عثمان عثمان:

١٠٨-**تاريخ شالة الإسلامية**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥م.

-الأهواني، أحمد فؤاد:

١٠٩-**التربية في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، (د.ت.).

-برنشفيك، روبار:

١١٠- **تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث عشر إلى نهاية القرن الخامس عشر**، ترجمة حمادي الساحلي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

-البغدادي، إسماعيل باشا:

١١١-**هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، إستانبول، ١٩٥٥م.

-بل، الفرد:

١١٢-**الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.

-بوريبه، رشيد:

١١٣-**ابن تومرت : ترجمة عبد الحميد حاجيات**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢م.

-التازي، عبد الهادي:

١١٤-**جامع القرويين : المسجد والجامعة في مدينة فاس: موسوعة لتاريخها المعماري الفكري**، ط١، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٧٣م.

Scanned by CamScanner

١١٥-**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، المحمدية، المغرب، ١٩٨٦م.

-ابن تاويت، محمد:

١١٦-**تاريخ سبتة**، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م.

١١٧-**الوافي في الأدب العربي في المغرب الأقصى**، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٨م

- الجندي، أنور:

١١٨- **أعلام الإسلام : تراجم الإسلام البارزة من عهد النبوة إلى اليوم**، دار الاعتصام، القاهرة، (د.ت.).

-جوليان، شارل أندريه:

١١٩-**تاريخ إفريقيا الشمالية**، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣م.

-حاجيات، عبد الحميد:

١٢٠-**أبو حمو الزياني : حياته وآثاره**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢م.

-حجي، محمد:

١٢١-**الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، المطبعة الوطنية، الرباط، ١٩٦٤م.

-حركات، إبراهيم:

١٢٢-**المغرب عبر التاريخ**، ط٢، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٤م.

-حسن، حسن إبراهيم:

١٢٣-**تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٦٧م.

-حسن، إبراهيم علي:

١٢٤- **السلطان أبو الحسن علي المريني**، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

-الحسيسن، عبد الهادي أحمد:

Scanned by CamScanner

١٢٥-**مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي**، نشر صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٢م.

-حسين، السائح علي:

١٢٦-**لمحات من التصوف وتاريخه**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٤م.

-حسين، كريم عجيل:

١٢٧-**الحياة العلمية في بلنسية**، نشر جامعة بغداد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.

-الحفناوي، أبي القاسم محمد:

١٢٨-**تعريف الخلف برجال السلف**، تحقيق محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، والمكتبة العتيقة، تونس، ١٩٨٢م.

-حقي، إحسان:

١٢٩-**المغرب العربي**، منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، (د.ت.).

-الخطيب، محمد عجاج:

١٣٠-**أصول الحديث علومه ومصطلحه**، ط٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.

-رزق، محمد عاصم:

١٣١-**خانقوات الصوفية في مصر في عصر الدولة المماليك البرجية**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧م.

-زيبب، نجيب:

١٣٢-**الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس القديم**، ط١، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان.

-زمامة، عبد القادر:

١٣٣-**أبو الوليد بن الأحمر**، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٧٨م.

Scanned by CamScanner

-ابن زيدان، عبد الرحمن:

١٣٤-**إتحاف أعلام الناس بحال أخبار حاضرة مكناس**، ط١، المطبعة الوطنية، الرباط، ١٩٢٩م.

-السائح، الحسن:

١٣٥-**الحضارة الإسلامية في المغرب**، ط٢، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.

١٣٦-**الحضارة المغربية عبر التاريخ**، ط١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٥م.

-سالم، السيد عبد العزيز:

١٣٧-**تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٤م.

-سعد الله، أبو القاسم:

١٣٨-**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.

-السويسي، عبد الله:

١٣٩-**تاريخ رباط الفتح**، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٩م.

-ابن شقرون، محمد بن أحمد:

١٤٠-**مظاهر الثقافة المغربية من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر**، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٢م.

١٤١- **مظاهر الثقافة المغربية: دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٥م.

-الشناوي، عبد العزيز محمد:

١٤٢-**الأزهر جامعاً وجامعة**، ط١، مكتبة الأنجلو - المصرية، القاهرة، ١٩٨٣م.

-الصلابي، علي:

١٤٣-**دولة الموحدين**، دار البيارق للنشر، عمان، ١٩٩٨م.

-طلس، محمد:

Scanned by CamScanner

١٤٤-**التربية والتعليم في الإسلام**، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧م.

-الطوخي، أحمد محمد:

١٤٥-**مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بن الأحمر**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

-طوطح، خليل:

١٤٦-**التربية عند العرب**، المطبعة التجارية، القدس (د.ت.).

-طوقان، قدري:

١٤٧- **تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك**، ط٣، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٣م.

-الطيار، هاشم، وسعيد، يحيى:

١٤٨-**موجز تاريخ الرياضيات**، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٧٧م.

-عاصي، حسين:

١٤٩-**ابن خلدون مؤرخاً**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.

-عبد العزيز، محمد عادل:

١٥٠-**التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

-العروي، عبد الله:

١٥١-**مجمل تاريخ المغرب**، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٤م.

-عنان، محمد عبد الله:

١٥٢- **ابن خلدون حياته وتراثه الفكري**، ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م.

١٥٣-**دولة الإسلام في الأندلس**، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٥٤-**عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٤م.

- عودات، أحمد وآخرين:

Scanned by CamScanner

١٥٥ -**تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري**، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ١٩٨٩م.

-عيسى، محمد عبد الحميد:

١٥٦-**تاريخ التعليم في الأندلس**، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م.

-الغناي، مراجع عقيلة:

١٥٧-**سقوط دولة الموحدين**، ط٢، مطابع الثورة للطباعة والنشر، بنغازي، ١٩٨١م.

-غنيمة، محمد:

١٥٨-**تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**، دار الطباعة المغربية، تطوان، المغرب، ١٩٩١م.

- الغنيمي، عبد الفتاح مقلد:

١٥٩-**موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ١٩٩٤م.

-قمبر، محمود:

١٦٠-**دراسات تراثية في التربية الإسلامية**، دار الثقافة، الدوحة، قطر، ١٩٨٥م.

-الكتاني، عبد الحي:

١٦١-**التراتيب الإدارية**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د.ت).

١٦٢-**فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، تحقيق إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.

-الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس:

١٦٣-**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، المطبعة الحجرية، فاس، ١٩٠٠م.

-الكتاني، محمد:

١٦٤-**فاس عاصمة الأدارسة**، ط٢، منشورات دار إدريس للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ١٩٧٢م.

-كحالة، عمر:

Scanned by CamScanner

١٦٥-**أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

١٦٦-**العلوم البحتة في العصور الإسلامية**، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٧٢م

١٦٧-**معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧م.

-كنون، عبد الله:

١٦٨-**ذكريات مشاهير رجال المغرب**، ط١، مكتبة المدرسة، ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١م.

١٦٩-**النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ط٣، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م.

-الكعاك، عثمان:

١٧٠-**محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر**، معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية، ١٩٥٨م.

-لوتورنو، روجيه:

١٧١-**فاس في عصر بني مرين**، ترجمة نقولا زيادة، نشر مؤسسة فرنكلين، بيروت، نيويورك، ١٩٦٧م.

-لوطورنو، روجي:

١٧٢-**فاس قبل الحماية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

-ابن المؤقت، محمد:

١٧٣-**السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٤١هـ.

-مؤنس، حسين:

١٧٤-**تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، ط١، العصر الحديثة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.

-محمد، سعاد ماهر:

١٧٥-**مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، ١٩٧١م.

Scanned by CamScanner

-مخلوف، محمد:

١٧٦-**شجرة النور الزكية في طبقات المالكيـــة**، ط١، دار الكتـــاب العربـــي، بيروت، لبنان، ١٣٤٩هـــ.

-المراكشي، العباس بن إبراهيم:

١٧٧-**الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، المطبعة الجديدة، ١٩٣٧م.

-أبو مصطفى، كمال:

١٧٨-**جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - من خلال نوازل الونشريســـي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٩٧م.

-ابن منصور، عبد الوهاب:

١٧٩-**أعلام المغرب العربي**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٦م.

١٨٠-**قبائل المغرب**، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٨م.

-المنوني، محمد:

١٨١-**التيارات الفكرية في المغرب المريني**، ط١، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، ١٩٧٢م.

١٨٢-**حضارة الموحدين**، ط١، دار توبقال للنشر، الـــدار البيضـــاء، المغـــرب، ١٩٨٩م.

١٨٣ -**العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين**، ط٢، دار المغرب للتـــأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٧م.

١٨٤- **ورقات عن حضارة المرينيين**، ط٢، منشورات كليـــة الآداب والعلـــوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، المملكة المغربية، ١٩٦٦م.

١٨٥-**ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين**، الرباط، ١٩٧٩م.

-موسى، عز الدين أحمد:

١٨٦-**النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الـــهجري**، ط١، دار الشروق، بيروت، والقاهرة، ١٩٨٣م.

-النجار، عبد المجيد:

١٨٧-**المهدي بن تومرت : حياتـــه وآراؤه وثورتـــه الفكريـــة والاجتماعيـــة بالمغرب**، ط١، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م.

-النشار، سامي:

Scanned by CamScanner

١٨٨-**ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب**، ط١، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٠م.

-النعيمي، عبد الله:

١٨٩-**المناهج وطرق التعليم عند القابسي وابن خلدون**، ط٢، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ١٩٨٤م.

-نلينو، كرلو:

١٩٠-**علم الفلك وتاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، ط٢، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٣م.

-نويهض، عادل:

١٩١-**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى منتصف القرن العشرين**، ط١، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧١م.

-الوزاني، محمد المهدي:

١٩٢-**المعيار الجديد (المسمّى) النوازل الجديدة الكبرى**، فاس (د.ت.)، ١٩١٠م.

Scanned by CamScanner

ب- الرسائل الجامعية غير المنشورة:

-الكيلاني، ماجد عرسان رباع:

١٩٣- **نشأة الطريقة القادرية**، رسالة دكتوراة غير منشورة، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٧٤م.

- محمد مزاحم علاوي:

١٩٤- **الدولة المرينية في عصر أبي الحسن علي بن عثمان، ٧٣١-٧٥٢هـ/ ١٣٣١-١٣٥٢م : دراسة حضارية**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٧٩م.

ج- الموسوعات :

-البستاني، بطرس:

١٩٥-**دائر المعارف**، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، طهران، (د.ت.).

-وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية:

١٩٦-**الموسوعة الفقهية**، ط٢، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣م.

١٩٧- **موسوعة آل البيت الثقافية**، منشورات مؤسسة آل البيت، عمان، ١٩٩٦م.

ثالثا : البحوث والمقالات باللغة العربية :

-حجي، محمد:

١٩٨-المدرسة النحوية الأندلسية المغربية ودور سبته فيها، **في سبتة ودورها في إثراء الفكر الإسلامي**، تحرير جمعية الثقافة الإسلامية، تطوان، المغرب، ١٩٨٤م.

-حركات، إبراهيم:

١٩٩-الحياة الاجتماعية في عصر بني مرين، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، العددان الخامس والسادس، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٧٩م.

٢٠٠-الحياة الاقتصادية في العصر المريني، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، الرباط، العدد الثالث، ١٩٧٨م.

Scanned by CamScanner

٢٠١-"معالم من التاريخ الإجتماعي للمغرب على عهد المريني "، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية**، جامعة محمد الخامس، الرباط، العدد الثاني، ١٩٩٧م.

-أبو دياك، صالح محمد فياض:

٢٠٢-المواكب والرسوم السلطانية للدولة المرينية في المغرب الإسلامي، **مجلة المنهل**، مج ٣٥، العدد ٤٩٤، دار المنهل للصحافة والنشر المحدودة، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢م.

-الرضوان، الناجي:

٢٠٣-من تاريخ التعليم الرسمي بالمغرب : تجربة المدارس المرينية ونتائجها، **مجلة فكر ونقد**، السنة الثانية، العدد ١٩، الرباط، المغرب، ١٩٩٩م.

-شقور، عبد السلام:

٢٠٤-شعر المتصوفة المغاربة في عصر بني مرين، **مجلة دعوة الحق**، العدد ٣٠٠، الرباط، ١٩٩٣م.

-ابن الصديق، محمد علي:

٢٠٥-التصوف المغربي وتاريخه، **مجلة دعوة الحق**، العدد ٢٨٥، الرباط، المملكة المغربية، ١٩٩١م.

-العبادي، أحمد:

٢٠٦-العلاقات الثقافية بين غرناطة وفاس في القرن الثامن الهجري، **في الكتاب الذهبي " جامعة القرويين في ذكراها المائة بعد الألف، ٢٤٥هـ-٣٧٩هـ/ ١٨٥٩-١٩٦٠م**، وزارة التربية الوطنية، إدارة الشؤون الثقافية المحمدية، المملكة المغربية، ١٩٦٠م.

-القابسي، نجاح:

٢٠٧-المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد التاسع عشر، بغداد، العراق، ١٩٨١م.

-القبلي، محمد:

٢٠٨-قضية المدارس المرينية : ملاحظات وتأملات في **في النهضة والتراكم**، تحرير عبد الله العروي، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م.

-الكتاني، يوسف:

Scanned by CamScanner

٢٠٩-جامعة القرويين ودورها في التواصل العلمي بيـــن الشـــعبين المغربـــي والمصري، **مجلة دعوة الحق**، عدد ٢٩٣، الرباط، ١٩٩٢م.

-الكحلاوي، محمد:

٢١٠-المدارس المغربية " دراسة أثرية معمارية "، **مجلة العصور**، مـــج٦، ج١، لندن، ١٩٩١م.

-لواح، محمد:

٢١١-مراكز التعليم في عهد بني مرين، **مجلة دار الحديـــث الحســـنية**، العـــدد التاسع، المملكة المغربية، ١٩٩١م.

-المنوني، محمد:

٢١٢-كراسي الأساتذة بجامعة القرويين، **مجلة دعوة الحق**،العدد الرابـــع، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٦٦م.

٢١٣-نظم الدولة المرينية، **مجلة البحث العلمي**، العدد ٢، المركـــز الجـــامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٤م.

-وافي، علي عبد الواحد:

٢١٤-مقدمة ابن خلـــدون، **موســـوعة تـــراث الإنســـانية**، م١، وزارة الثقافـــة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والتراث للطباعة والنشـــر، القاهرة، (د.ت.).

رابعاً : المراجع باللغة الأجنبية :

215- Dhina. Atallah. **Les Etats De L'occident, Musulman Aux XIV Et. XV Siecles.** O.P.U. E. N. A.L, Alger. 1984.

216- Julien. Charles Andre. **History of North Africa,** Trans. By John Petrie, London. 1970.

217- Laroui, Abdallh , **The History Of The Maghrib an Interpretive essay,** translated from the French by Ralph Manneim, Casablanca. 1977.

218- Maslow. Borise. **Mosquees De Fes Et Du Nord Du Maroc.** Les Editions D'Art Et D'histoire, Paris, MCMXXXVII.

219- Terrasse, Charles, **Mederasas Du Maroc,** Paris : A.Morance, 1928.

220- Terrasse, henri, **Histoire Du Maroc,** T.II, Ed, Altant Des Casablanca, 1950.

Scanned by CamScanner

خامساً : البحوث والمقالات باللغة الأجنبية :

221- Morata, Nemesio, Un Catalogo de Los fondos arabes Ptimitivos de El Escorial, **AL-Andalus,** revista de Los Escuelas de estudious arabes de Madrid Granada, 2, 1934.

222- Nassif, Nassar, Le Maitre d'Ibn Khaldun, AL-Abili, **stvdia Islamica**, XX, G.P., Maisonneuve- Larose, Parise, 1964.

Scanned by CamScanner

الجداول

رقم الجدول	اسم الجدول
١-	قائمة بأسماء حكام بني مرين
٢-	الخط الزمني لتواريخ بناء المدارس المرينية

Scanned by CamScanner

جدول رقم (١)

قائمة بأسماء حكام بني مرين [١]

١-	عبد الحق أبي خالد محيو	٥٩١-٦١٤هـ/	١١٩٤-١٢١٧م
٢-	عثمان بن عبد الحق (الأول)	٦١٤-٦٣٨هـ/	١٢١٧-١٢٤٠م
٣-	محمد بن عبد الحق (الأول)	٦٣٨-٦٤٢هـ/	١٢٤٠-١٢٤٤م
٤-	أبو بكر بن عبد الحق	٦٤٢-٦٥٦هـ/	١٢٤٤-١٢٥٨م
٥-	يعقوب بن عبد الحق	٦٥٦-٦٨٥هـ/	١٢٥٨-١٢٨٦م
٦-	يوسف بن يعقوب	٦٨٥-٧٠٦هـ/	١٢٨٦-١٣٠٦م
٧-	عامر بن أبي عامر بن يوسف	٧٠٦-٧٠٨هـ/	١٣٠٦-١٣٠٨م
٨-	سليمان بن أبي عامر بن يوسف	٧٠٨-٧١٠هـ/	١٣٠٨-١٣١٠م
٩-	عثمان بن يعقوب (الثاني)	٧١٠-٧٣٠هـ/	١٣١٠-١٣٢٩م
١٠-	علي بن عثمان	٧٣٠-٧٤٩هـ/	١٣١٠-١٣٤٨م
١١-	فارس بن علي	٧٤٩-٧٥٩هـ/	١٣٤٨-١٣٥٨م
١٢-	محمد بن فارس	٧٥٩هـ/	١٣٥٨م
١٣-	محمد السعيد بن فارس	٧٥٩-٧٦٠هـ/	١٣٥٨-١٣٥٩م
١٤-	ابراهيم بن علي بن عثمان	٧٦٠-٧٦٢هـ/	١٣٥٩-١٣٦١م
١٥-	تاشفين بن علي	٧٦٢-٧٦٣هـ/	١٣٦٠-١٣٦١م
١٦-	عبد الحليم بن عمر بن عثمان	٧٦٣هـ/	١٣٦١م
١٧-	محمد بن أبي عبد الرحمن بن علي (الثاني)	٧٦٣-٧٦٨هـ/	١٣٦١-١٣٦٦م
١٨-	عبد العزيز بن علي	٧٦٨-٧٧٤هـ/	١٣٦٦-١٣٧٢م
١٩-	محمد بن عبد العزيز (الثالث)	٧٧٤-٧٧٦هـ/	١٣٧٢-١٣٧٤

[١] أحمد عودات وآخرون، **تاريخ المغرب والأندلس من القرن السادس الهجري حتى القرن العاشر الهجري**، دار الأمل للنشر والتوزيع، اربد- الأردن، ١٩٨٩م، ص ص ١٣٥-١٣٦. إحسان حقي، **المغرب العربي**، منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، (د.ت.)، ص ص ٩٨-١٠٠.

Scanned by CamScanner

-٢٠	أحمد بن إبراهيم وعبد الرحمن بن أبي بفلويش بن عمر وحكما معاً ثم انفرد أحمد بن إبراهيم بالحكم بعد ثماني سنوات :	٧٧٦-٧٨٦هـ/	١٣٧٤-١٣٨٤م
-٢١	موسى بن فارس	٧٨٦-٧٨٨هـ/	١٣٨٤-١٣٨٦م
-٢٢	المنتصر بالله بن أحمد	٧٨٨هـ/	١٣٨٦م
-٢٣	أحمد بن إبراهيم (تولى مرة ثانية)	٧٨٩-٧٩٦هـ/	١٣٨٧-١٣٩٣م
-٢٤	أبو فارس بن أحمد	٧٩٦-٧٩٩هـ/	١٣٩٣-١٣٩٦م
-٢٥	عبد العزيز بن أحمد	٧٩٩-٨٠٠هـ/	١٣٩٦-١٣٩٧م
-٢٦	عبد الله بن أحمد	٨٠٠-٨٠١هـ/	١٣٩٧-١٣٩٨م
-٢٧	عثمان بن أحمد (الثاني)	٨٠١-٨٣١هـ/	١٣٩٨-١٤٢٧م
-٢٨	عبد الحق بن عثمان (الثاني)	٨٣١-٨٧٦هـ/	١٤٢٧-١٤٧١م

Scanned by CamScanner

الجدول رقم (٢)

الخط الزمني لتواريخ بناء المدارس المرينية[1]

٦٧٤هـ/١٢٧٥م	٧٢٠هـ/١٣٢٠م	٧٣١ - ٧٥٢ هـ/ ١٣٣١-١٣٥١م	٧٥٢ - ٧٦٠ هـ/ ١٣٥١-١٣٥٨م
إقامة أول مدرسة مرينية بفاس في عهد يعقوب بن عبد الحق	بناء أربعة مدارس: ثلاثة بفاس وواحدة بتازه في عهد أبي سعيد عثمان	بناء إحدى عشر مدرسة بعدة مدن مخزنية: سلا / مكناس / فاس في عهد أبي الحسن	بناء مدرسة واحدة بفاس (البوعنانية) وأخرى بمكناس في عهد أبي عنان

[1] نقلا عن : الناجي الرضوان، من تاريخ التعليم الرسمي بالمغرب :تجربة المدارس المرينية ونتائجها، **مجلة فكر ونقد**، السنة الثانية، العدد ١٩، الرباط، المغرب، ١٩٩٩م، ص ٥٩.

Scanned by CamScanner

الخرائط والصور

أ- الخرائط :

رقم الخارطة	اسم الخارطة والصورة
١-	خارطة الدولة المرينية في عهد السلطان أبي الحسن المريني
٢-	خارطة توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب
٣-	فاس في عهد المرينيين
٤-	خارطة بلاد المغرب وإسبانيا (الأندلس) في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي

ب- الصور :

رقم الصورة	اسم الصورة
١-	مدرسة العطارين في العهد المريني
٢-	مدرسة مكناس (المدرسة البوعنانية)

Scanned by CamScanner

الخرائط والصور

أ- الخرائط :

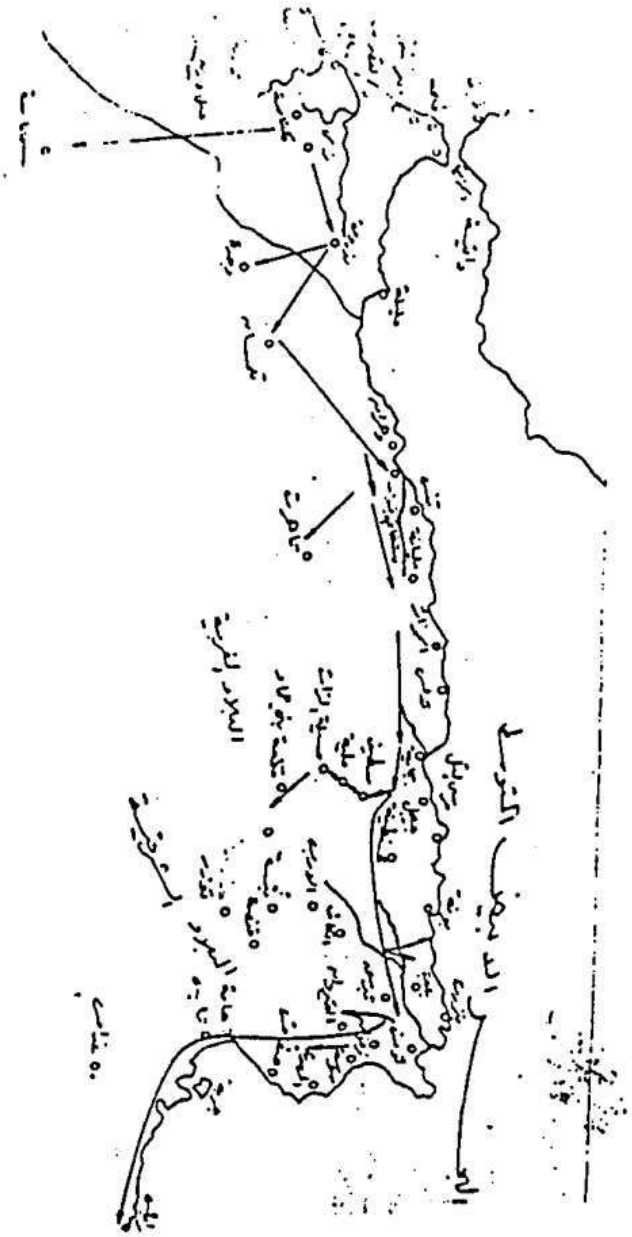

خارطة رقم (١)[١]

خارطة الدولة المرينية في عهد السلطان أبي الحسن المريني

---

[١] نقلاً عن مزاحم علاوي محمد. الدولة المرينية في عصر أبي الحسن علي بن عثمان، ٧٣١- ٧٥٢ هـ/ ١٣٣١- ١٣٥٢م، دراسة حضارية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٧٩، ص ٢٣٣.

Scanned by CamScanner

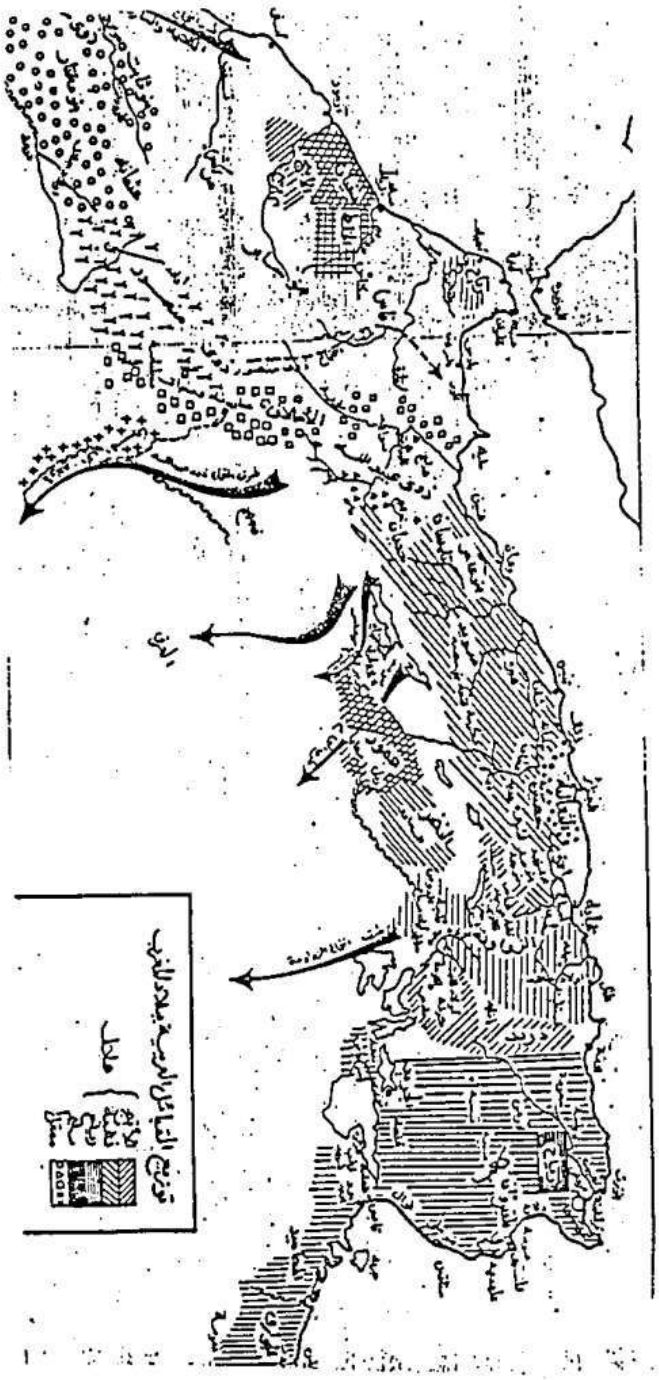

خارطة رقم (٢)
خارطة توزيع القبائل العربية ببلاد المغرب[١]

---

[١] نقلا عن : مصطفى أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبنـي مرين، ط١، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ١٩٨٣م، ص ٢٤٠.

Scanned by CamScanner

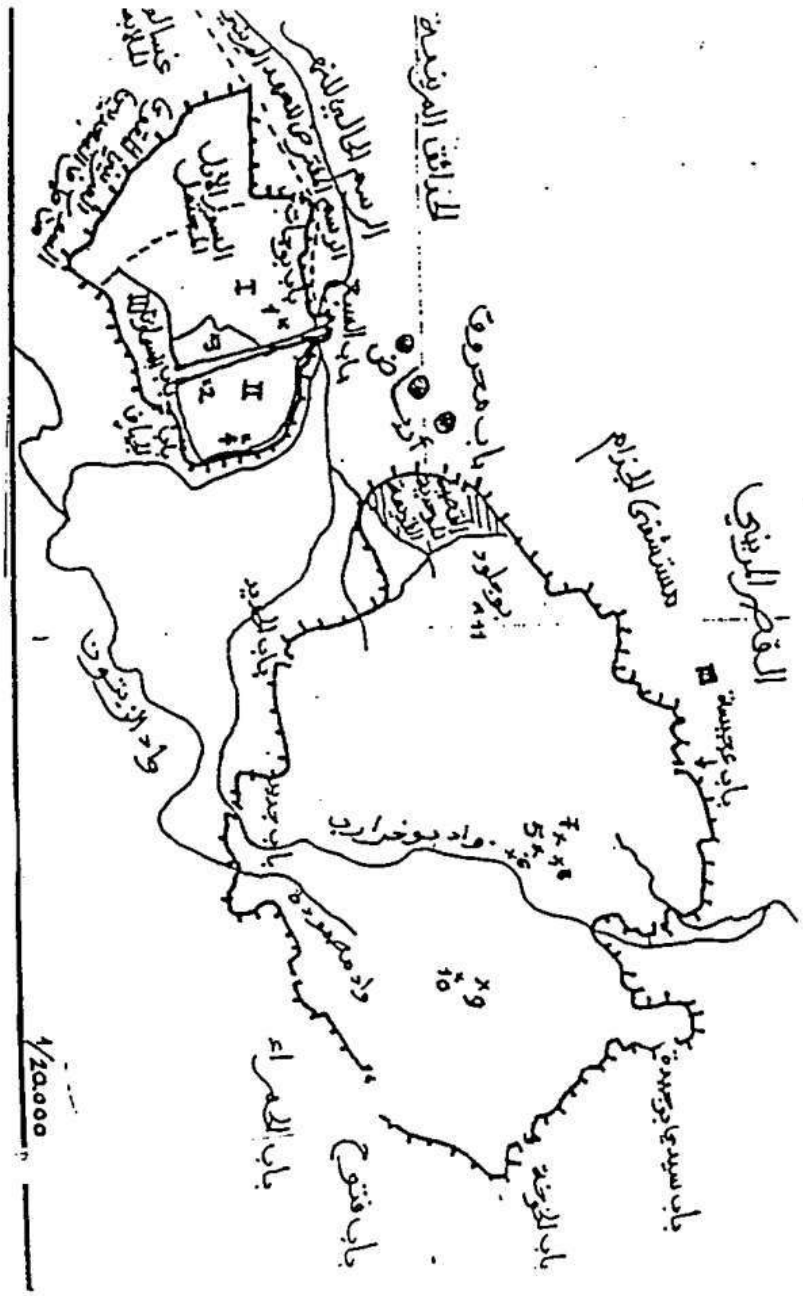

١ المدينة البيضاء II ربض النصارى III حمص

1. الجامع الكبير 2. جامع الحمرا 3. للأجامع الزهر. 4. للأغربة 5. جامع القرويين، مدرسة الصفارين 7. مدرسة المطارين 8. المدرسة الصباغية 9. جامع الأندلس 10. مدرسة الصهريج ومدرسة السبجيين 11. المدرسة البرعانية.

خارطة رقم (٣)
فاس في عهد المرينيين*

---

* نقلا عن : روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ج١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ١٠٠.

Scanned by CamScanner

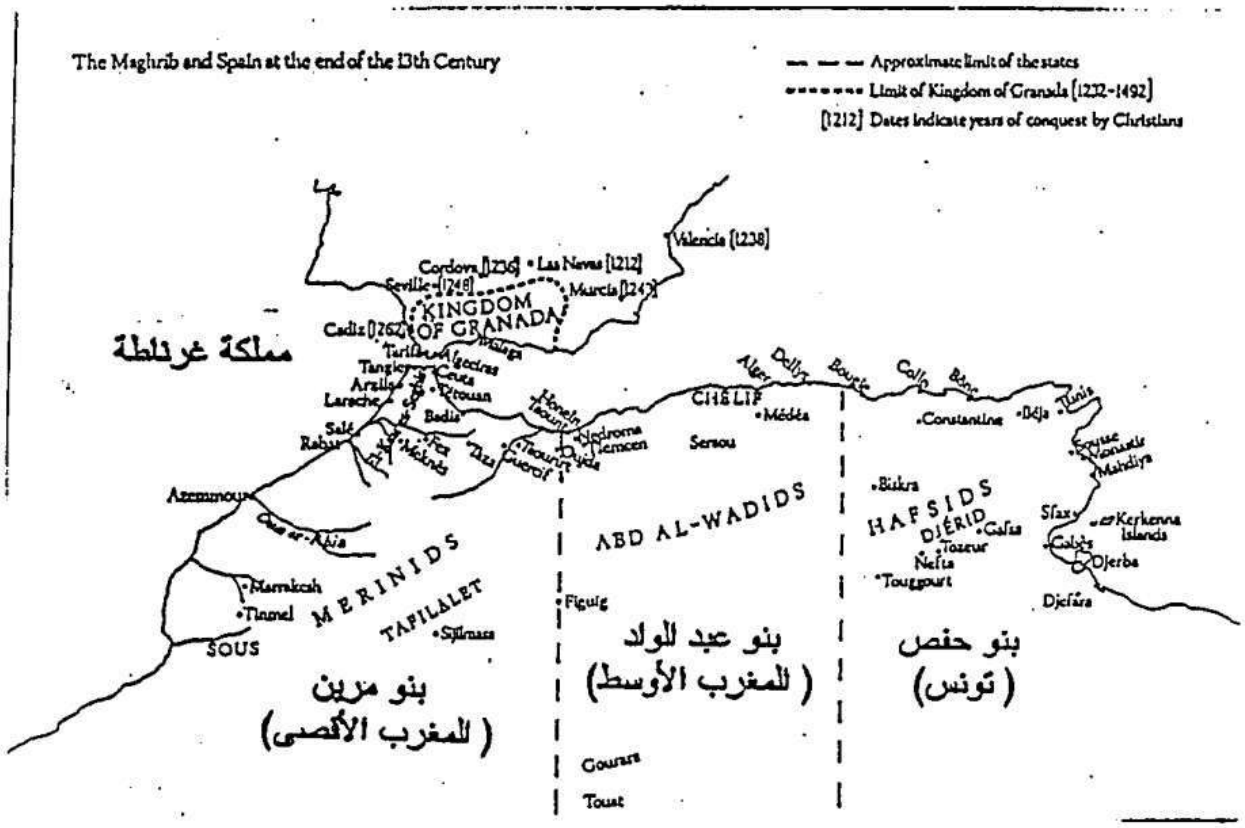

خارطة رقم (٤)

خارطة المغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي [١]

[١] Julien, Charles Andre, **History of North Africa,** Trans by John Petrie, London, 1970, P.180

Scanned by CamScanner

ب- الصور :

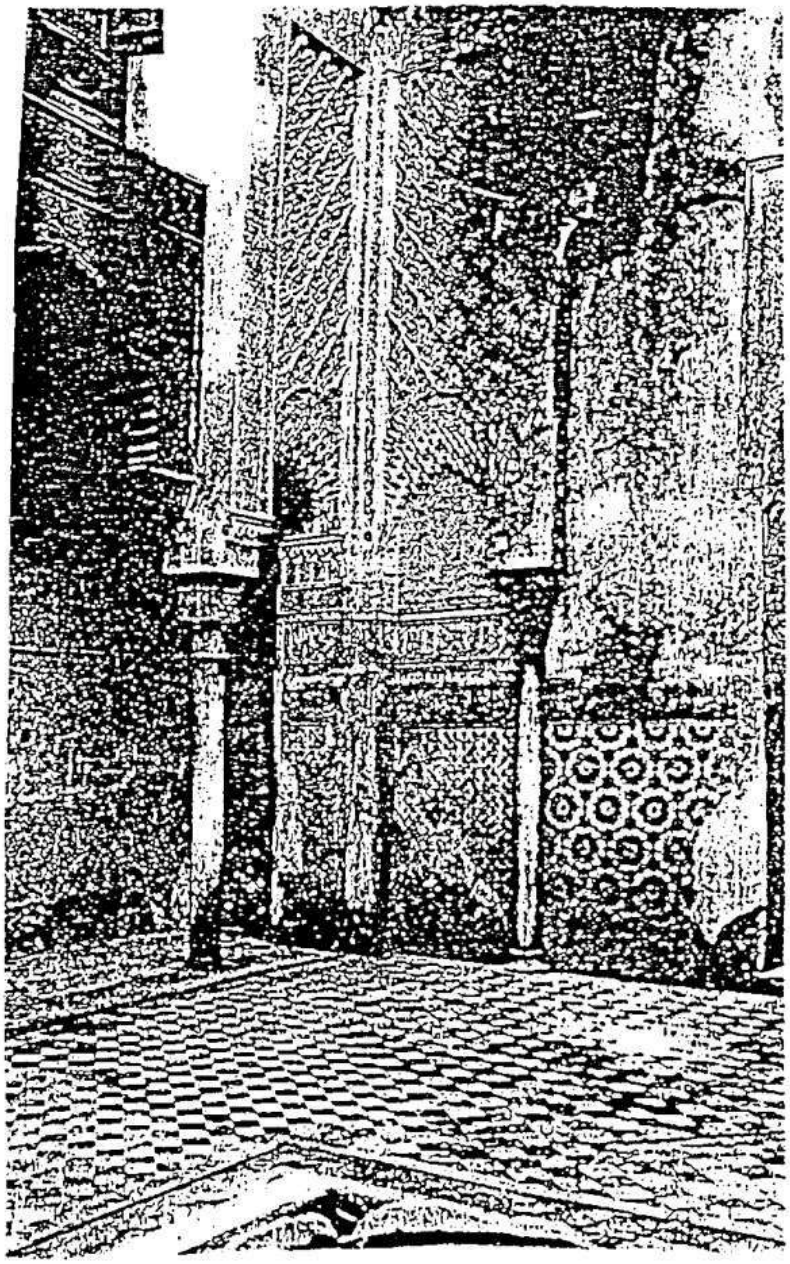

الصورة رقم (١)
مدرسة العطارين في العهد المريني*

* نقلا عن : روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ٩٠٠.

Scanned by CamScanner

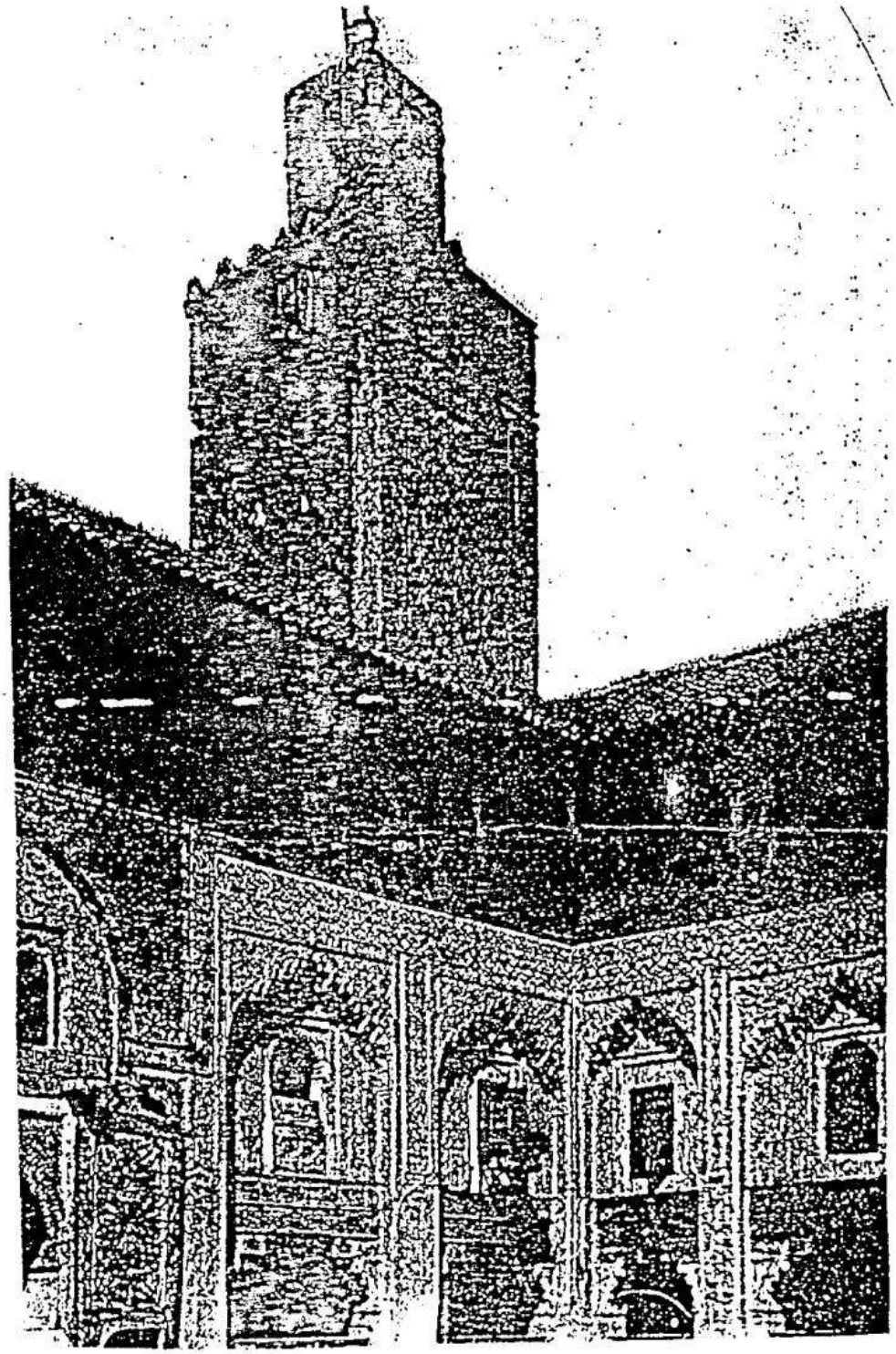

صورة رقم (٢)
مدرسة مكناس (المدرسة البوعنانية)*

* نقلاً عن روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص ٩٠١.

Scanned by CamScanner

الملاحق

رقم الملحق	اسم الملحق
١-	وثيقة تثبت عروبة بني مرين
٢-	وثيقة تحبيس على أحد مساجد فاس
٣-	وثيقة تحبيس على زاوية قرب تازة

Scanned by CamScanner

الملحق رقم (١)
وثيقة تثبت عروبة بني مرين

" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما شهد به أنجاد قيس عيلان لإخوانهم زناتة بني بر بن قيس عيلان أنا أقررنا لكم وشهدنا على أنفسنا وعلى آبائنا وأجدادنا أنكم معشر زناتة من ولد بر بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، فأنتم والحمد لله إخواننا نسباً وأصلاً ترثوننا ونرثكم، نجتمع في جد واحد، وهو قيس عيلان، فلكم مالنا، وعليكم ما علينا، لم نزل نعرف ذلك ونتوارث علمه وصحته عن آبائنا ومشايخنا، وأهل العلم بالتاريخ والمعرفة بالأنساب منا، يأخذه كابر عن كابر وعادل عن عادل ، فليعرفوا ذلك، ويلزموا أنفسهم وأموالهم معرفته امتثالاً لقوله تعالى : " واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام" ، واقتدوا بقوله (صلى الله عليه وسلم) (واتقوا الله وصلوا الأرحام)، وقد قال (صلى الله عليه وسلم)، حين خطب في حجة الوداع : أيها الناس، اتقوا الله وصلوا أرحامكم، واحفظوا أنسابكم، والله على ما نقول وكيل" [١].

---

[١] أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ١٧.

Scanned by CamScanner

ملحق رقم (٢)

" وثيقة تحبيس على أحد مساجد فاس"

" وثيقة تحبيس الشيخ ابن خنوسة وأمه فاطمة بنت الزرهوني على جامع الصابرين بفاس مؤرخة بعام ٧٩١هـ/١٣٨٨-١٣٨٩م"[١]

"نص الشيخ الأوجه الأفضل أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ الأجل المبرور المرحوم أبي عبد الله محمد بن خنوسة وأمه المصونة فاطمة بنت الشيخ الفقيه الأجل المرحوم أبي الفضل الزوهوني بأنه مهما حدث بهما حدث الموت الذي لابد منه .... فيخرج عنهما بعد وفاتهما من ثلث متروكهما من قليل الأشياء وكثيرها جليلها وحقيرها عقاراً كان ذلك أو غيره جميع الجنان الزيتون الكائن (بكذا) وحظ فاطمة الخاص بها دونه المعروف (بكذا) وجميع الساجلين المشتركين بينهما اللذين (بكذا وجميع الكذا)، ويعطى ذلك كله لأول ولد يولد حياً لولدي عبد الرحمن الموصى المذكور محمد وعائشة الصغيرين الآن ذكراً كان الولد أو أنثى على حسب السواء بين ولدي الوالدين المذكورين والإعتدال ويكون ذلك حبساً عليهما وعلى أعقابهما ما تناسلوا وامتدت فروعهم على السواء بينهم والاعتدال، فإن انقرض الشقيقان محمد وعائشة المذكوران عن غير عقب فيرجع ذلك لولدي أخت عبد الرحمن المذكور وهما حفيدا فاطمة المذكورة للبنت، محمد ورحمة ابنا الشيخ الأوجه الحاج المكرم أبي العباس احمد بن راشد بالسواء بينهما والاعتدال وعلى أعقابهما ... فإن انقرضوا وانقرض عقبهم فيرجع ذلك وقفاً مخلداً وحبساً مؤبداً على جامع الصابرين من آوزقور من داخل باب المفتوح أحد أبواب فاس المحروسة.... وعرف قدره وشهد بذلك عليهما في صحة وطوع وجواز وعرفهما، وذلك في عشى يوم الثلاثاء الخامس لرجب عام إحدى وتسعين وسبعمائة ".

---

[١] أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق محمد حجي وآخرون، ج٧، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ١٩٨١م، ص٣١١.

Scanned by CamScanner

الملحق رقم (٣)

" وثيقة تحبيس على زاوية قرب تازه "[1]

V. – CONSTITUTION DE HABOUS EN FAVEUR D'UNE ZAOUIA PRES DE TAZA 754 H. (Pl. LIX, phot. [I] 45)

Allah soit loue ! Parmi ce qu'a habouse notre Maitre la Calife, l'Imam, Al-Mutawakkil 'ala- Uah, l'Emir des croyants, le combattant pour la foi dans la voie du Maitre des Mondes, Abou " Inan, fils de notre Maitre, l'Emir des Musulmans, le conbattant pour la foi dans la voie du Maitre des Mondes Abou-'l-Hasan, fils de notre Maitre ,, L'Emir des Musulmans, le combattant pour la foi dans la voie du Maitre des Mondes Abou Sa'id, fils de notre Maitre l'Emir des Musulmans, le combattant pour la foi dans la voie du Maitre des Mondes Abou Youssef, fils de " Abd- El-Hakk – veuille Allah accepter son oeuvre et lui faire realiser des espoirs pour la gloire de l'Islam, -- se trouvent le grand verger a l'interieur de Taza, le jardin dit d'Ibn-ar- Ris, le jardin dit Tit Ageldan, et le village de Maimuna, en faveur de la Zaouia de Lamai (?), a l'exterieur de Taza, et cela en l'annee 754 ([I] 35^2-53).

---

(١) انظر صفحة ٢١٨، هامش رقم (١).

Scanned by CamScanner

تابع الملحق رقم (٣)

" وثيقة تحبيس على زاوية قرب تازه "[١]

[١] انظر صفحة رقم ٢١٨، هامش رقم (١).

Scanned by CamScanner

ترجمة إنشاء حبس خاص على زاوية قرب تازه ٧٥٤هـ/١٣٥٢-١٣٥٣م"

" الحمد لله ..... من بين ما حبس مولانا الخليفة والإمام والمتوكل على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو عنان بن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن ... يوجد البستان الكبير داخل تازة والبستان المسمى ابن أريس، والبستان المسمى طيط أجلدان، وقرية ميمونة لصالح زاوية لماية خارج مدينة تازة سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٢-١٣٥٣م".[1]

---

(1) الترجمة العربية للنص الفرنسي لوثيقة المرفقة صورة منها والتي يتعذر نقل نصها العربي لأن التصوير أخفى معالمها، وقام بترجمتها الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله، وهي مأخوذة من :

Maslow, Boris, Mosquees de Fes et du Nord du Maroc 'les Editions d'Art et D'histoire, Paris. MCM XXXVII. P.P. 176, 178.

Scanned by CamScanner